ذكر تملك جمهور الفرنساوية

الاقطار المصرية والبلاد الشامية

تاليف معلم نقولا التركى

طبع

فى مدينة باريز المحمية

بدار الطباعة السلطانية

سنة ١٨٣٩ المسيحية

فاتحة الكتاب

بسم الله الحىّ القَيّوم الابدىّ الازلى الدايم السرمدى الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لا ربّ غيره وسواه لا يُعبد من خلق السماوات وزيّنها بالكواكب السايرة والنجوم الساهرة وبسط الارض واتقنها بحكمته الباهرة وقدرته القادرة وصنع الانسان وولّاه على ساير ما ابدع فى دنياه وجمّله فى العقل الفايق والذهن الرايق وامره بالسير على الحقّ وحفظ السنن وخلوص الودّ للخلق وترك الفتن نحمده سبحانه وجلّ شانه حمدًا يليق بعزّته ذات الجلالة ما بزغ بدر واشرقت غزالة ، امّا بعد فيقول العبد الضعيف صاحب هذا التاليف انه اذ قد جرت عادة الاوايل بتاليف الكتب والرسايل وذكر ما يمرّ عليهم من الحادثات الكونيّة والحركات الكلّيّة كقيام دولة على دولة وانتشار الحروب المهولة وما يتعلّق بها من المواقع المريعة والامور الفظيعة فحقّ لنا ان نورّخ فى هذا الكتاب لانتفاع الطلّاب ما حدث من التغيير والانقلاب ممّا اجرته يد الاقدار فى هذه الامصار وممّا اذنت به العزّة الالهيّة بظهور المشيخة الفرنساويّة وما تكوّن بسببها من الفتن فى البلاد الافرنجيّة وديار الرومية وقتل سلطانهم وخراب بلدانهم

وانتشار شانهم وربحهم من بعد خسرانهم وذلك بظهور فرد افرادهم وقايد اجنادهم الليث الشديد والبطل الصنديد امير الجيوش الامير بونابرته وذكر الحروب التى ثارت بتلك الممالك وحدوث الشرور والمهالك وقهر البلاد التى اتّصلوا اليها والانتصارات العظيمة التى حصلوا عليها بانتقالهم الغريب من الغرب الى الشرق ومرورهم العجيب اسرع من البرق ونزولهم على جزيرة مالطه كالصواعق الهابطة وفتوحهم ثغر الاسكندرية واستيلائهم على الاقطار المصرية وذكر ما تمّ لهم من التمليك فى حروبهم مع جملة الغزّ(١) والمماليك ومسيرهم على الاقطار الشاميّة ومحاصرتهم لمدينة عكّا القويّة مسكن ذاك الوزير الجبّار المعروف باحمد باشا الجزّار ورجوعهم الى ارض مصر وما تمّ لهم فى ذلك العصر وكفاحهم مع الدولتين العظيمتين الدولة العثمانيّة والدولة الانكليزيّة ومصادماتهم للعساكر البرّيّة والبحريّة وخروجهم من مصر القاهرة بالتسليم من بعد حروب وافرة وهول عظيم وذلك فى مدّة ثلثة اعوام فى التمام ابتداءها شهر محرّم الحرام افتتاح عام الف ومايتين وثلثة عشر هجرية وآخرها شهر ربيع الثانى عام الف ومايتين وستّة عشر بالهجرة الاسلامية ثم يتلوه ذكر تملّك الدولة العثمانية والدولة الانكليزية من بعد خروج الدولة الفرنساوية وذكر ما تمّ لهم مع زمرة الغزّ

والمماليك المحمدية من بعد فتوحهم مصر الكنانة وبالله القوة والاعانة ۞

انه فى سنة ١٧٩٢ مسيحية الموافقة لسنة ١٢٠٧ هجرية حدث فى مدينة باريز بلبلة عظيمة اذ هاج شعب هذه المملكة هياجًا عظيمًا وتظاهر ظهورًا جسيمًا ضدّ السلطان والامراء والاشراف فى يوم كان شديد الارتجاف وابرزوا الكمين منذ اعوام وسنين وطلبوا نظامات جديدة وترتيبات حديثة وادّعوا ان وجود السلطان بصوت منفرد احدث خرابًا عظيمًا فى المملكة وان اشرافها يتنعّمون فى خيراتها وباقى شعوبها يكابدون اتعابها ومشقّاتها فلاجل ذلك نهضوا جميعهم سويةً تلك الشعوب الفرنساوية ودخلوا الى سراية الملك فخاف منهم خوفًا عظيمًا مع ارباب دولته وسألهم عن مرامهم والسبب الداعى الى قيامهم فاعلموه انه من الان وصاعدًا لا يبرز الملك امرًا او يبثّ رأيًا من تلقا ذاته بل يكون بثّ الاحكام والترتيب والنظام بموجب ديوان عظيم ومحفل جسيم ويكون الملك له الصوت الاوّل ثم من بعده مشايخ الشعب الذين عليهم المعوّل فبذلك يهون الصعب ويرتفع الظلم عن الشعب فلمّا فهم الملك لويس قيام هذا الشعب المذكور وما ابدوه من

تلك الامور اجابهم وايضًا انا اودّ عمار هذه المملكة وخيرها واطيع لما تروه مناسبًا لرفع ضرّها وضيرها فقالوا له ان كنت كما زعمت اختم لنا الشروط التي تلائم اصلاح هذه المملكة وقيام المشيخة فقبل ذلك خوفًا من الشعب وختم لهم الشروط التي قدّموها له ثم بعد ايّام جهّز الملك نفسه للهرب وخرج ليلًا من مدينة باريز وصحبته اخوه وبعض اصحابه قاصدًا الانبراطور مَلِك النمسا لانه كان نسيبه شقيق زوجته وعند ما بلغ مشايخ الشعب خروج هذا الملك جدّوا في طلبه فوجدوه في إحدى اللوسطاريات التي في الطريق فقبضوا عليه ورجعوا به الى المدينة ووضعوه في السجن مع امراته وولده وامّا اخوه فانه نجى منهم وسار الى بلاد النمسا وبدأ جميع الشعب يصيح صارخًا فليُقتل الملك بموجب الشريعة لانه نكث في عهده مع شعبه وقد هرب لكي يلتجي الى ملك النمسا الذي هو اخو زوجته التي قد تسبّب لنا هذا الخراب بسببها ثم ان بعد ما سجنوا الملك اربعة اشهر احضروه امام الشعب في يوم الاثنين في الحادي والعشرين من كانون الثاني وقد ابرزوا عليه الحكم بالموت فطلب الملك لويس ان يخاطب عيلته والمتوكّلون عليه احضروا له امراته وبنته وشقيقته واستمرّوا معه في المكان الذي كان ياكل فيه نحو ساعتين ونصف وخاطب ابنته

مريم انطونينا قائلًا لها تعلمى من مصايب والدك ولا تجزى من موتى وطلبت عيلته منه ان ينظروه عند الصباح فلم يُجبهم الى ذلك وفى الصباح اعلموا المتوكّلون عليه ان الجمهور قد حكم عليه بالموت فطلب الملك لويس دقيقة لكى ينكلّم مع معلّم اعترافه فاذنوا له بذلك ثم اعرض مغلّفًا على احد المتوكّلين وتوسّل اليه ان يرسله الى مجمع الجمهور فاجابه اننى لا استطيع هذا الامر لكونى منفوّض ان ارافقك الى منقع الدم ثم اعطى ذاك المغلّف الى شخص آخَر واوعده انه يوصله الى الجميعة وكان بذلك المغلّف وصيته

وهذه هى وصيته

باسم الثالوث الاقدس الاب والابن والروح القُدس

انا لويس السادس عشر باسم ملك فرانسا فى اليوم الذى هو الخامس والعشرون من كانون الاوّل فى سنة ١٧٩٢ اذ كان لى اربعة اشهر مسجونًا فى الحصن المسمّى طمّبل فى باريز فنعل هولاء الذين كانوا خاضعين لى وممنوعًا عن كلّ اشتراك حتّى مع عيلتى نفسها منذ احد عشر من هذا الشهر ومشتغلًا فى فحص لا يمكن يُعرف نهايته بسبب الآلام البشرية التى لا يوجد لها اعتذار ولا مثال فى شريعة من الشرايع واذ لم يكن شاهد آخَر لافكارى ولا من التجى اليه سوا الله تعالى

وحده فاوضح لدى حضرته الالهية إرادتي الاخيرة واني تارك نفسي لله سيّدي وخالقي واتوسّل اليه بان يقبلها برحمته ولا يحاسبها حسب استحقاقها بل حسب استحقاق سيّدي يسوع المسيح الذي قدّم ذاته لابيه السماوي لاجل خلاص كلّ البشر الذي انا اوّلهم (د) ولو كنت غير مستحقّ لذلك بل انني اموت بالاتّحاد مع الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية التي اقتبلت سلطانتها بتسلسُل متّصل من القدس بطرس الرسول مستودعة له من السيّد المسيح نفسه ، وانني اؤمن ايمانًا ثابتًا واعترف بكلّما هو متضمّن في قانون الايمان وفي وصايا الله وكنيسته وفي الاسرار كما تعلمه الكنيسة الجامعة وانني قد علمت دائمًا باني لم ادّع قط اصلًا في انني اقيم ذاتي قاضيًا في انواع تفسير الاعتقادات المختلفة التي تمزق كنيسة السيّد المسيح بل انني قد تصرّفت وساتصرّف دائمًا ان منحني الله الحيوة مسلّمًا للتحذيرات التي تُعطى لي من رؤساء الكنايس المتّحدين مع الكنيسة الجامعة المقدّسة الرسولية والمتّفقين معها من اتيان سيّدنا يسوع المسيح واني اندب من كلّ قلبي اوليك الذين يوجدون في الضلال انما لا اديفهم بل احبّهم سويةً بسيّدي يسوع المسيح كما ترشدني المحبّة المسيحية ، واتوسّل لله تعالى ان يغفر لي كلّ خطاياي لانني قد اجتهدت بالفحص المدقّق عنها لكي اعرفها وامقتها واتضرّع امام عزّته

تعالى بان اذ لم يمكنّي احصل على كاهن كاثوليكى فاسأل الله ان يقبل اعترافى وندامتى الخالصة لكونى وضعت اسمى وكان ضدّ إرادتى فى بعض قضايا مضادًّا الاعتقاد بالكنيسة الكاثوليكية وتهذيبها وانما قد استمريت دايمًا متّحدًا معها بخلاصة قلبى واتوسّل لله تعالى ان يقبل قصدى الثابت ان استخدم كاهنًا كاثوليكيًا حال ما يمكنّى ان منحنى الحيوة لكى اعترف بكلّ خطاياى واقبل من يده سرّ التوبة وانّى اتضرّع لكلّ اوليك الذين قد امكن ان اكون اغضبتهم بعدم الانتباه اذ لم يبكّتنى ضميرى انى سبّبت لاحد ادنى اهانة والذين قد امكن ان اكون قد اعطيتهم مثلًا رديًا او شكوكًا فاتوسّل اليهم ان يسامحونى بالشرّ الذى يظنّون انى سبّبته لهم وانّى ايضًا اتوسّل لكلّ اوليك المحبّين ان يصنعوا تضرّعاتهم مع تضرّعاتى لكى انال من الله مغفرة اثامى وانّى اغفر من كلّ قلبى لاوليك الذين قد اعلنوا ذواتهم اعداء لى من دون ان يسبق لهم منّى ادنى سبب يوجب ذلك واسأل الله ان يسامحهم ويغفر لهم ولاوليك الذين قد صنعوا معى شرًّا عظيمًا امّا من قبل غيرة كاذبة ام من قبل جهل وانّى استودع لله امراتى وبنىّ وشقيقتى وإخوتى وعمّاتى وكلّ اوليك المرتبطين معى بارتباط الدم او بنوع آخر واتوسّل لله ان ينعطف برحمته نحوهم وان يقوّيهم بنعمته على افتراض

فقدهم اياى كلّ الزمان الذى يستمرّونه فى هذا وادى الدموع وانى استودع بنىّ لامراتى ولا ارتاب اصلًا بحنوها الشفوق نحوهم واوصّيها بالخصوص ان تهذّبهم تهذيب المسيحيين الكاملين وان تصيّرهم بان يعتبروا عظمة هذا العالم كخيرات خطرة قابلة الفقد والانقلاب وان يرفعوا لحاظهم نحو المجد الثابت الحقيقى وانى اتضرّع الى شقيقتى ان تستمرّ ملاحظة بنىّ بحنوها المعتاد وان تقوم مقام والدتهم ان حصلوا على فقدها من قبل التعس وانى اسأل امراتى بان تسامحنى بكلّ الشرور التى احتملتها بسببى وبكلّ غيظ قد يمكن ان اكون سبّبته لها فى مدّة اقتراننا وليكن محقّقًا عندها اننى لست بواجد عليها شيئًا من الاشياء وانى اوصّى بنىّ بكلّ حرارة انهم من بعد ان يتّقوا الله اذ كان تعالى واجب ان يتقدّم اكرامه على كلّ شىء ويكونوا متّفقين دائمًا مع بعضهما بعض وخاضعين لوالدتهما وحافظين نحوها كلّ معروف وان يعتبروا شقيقتى كوالدة ثانية وانى اوصّى ابنى على افتراض انه اذاما حصل على التعس اى اضحى سلطانًا ان يفتكر بانه يلتزم ان يوجّه كلّ اهتمامه نحو سعادة اهل بلاده وانه يلتزم ان ينسى كلّ بغض وضرر خاصّةً لاولئك الذين سبّبوا الىّ ما انا احتمله الان وانه لا يستطيع ان يصيّر الشعوب سعداء ان لم يحكم حسب

الشرايع وانني اوصّي ولدي ان يهتمّ بكلّ اوليك الاشخاص الذين كانوا متعلّقين بي وان يفتكر باني قد حصلت على التزام مقدّس نحو اولاد واقرباء اوليك الذين ماتوا لاجلي والذين قد حصلوا على التاعسة بسببي واني عالم انه كان يوجد اشخاص كثيرون من اللذين كانوا متعلّقين بي ولم يسلكوا معي بحسب التزامهم بل اظهروا عدم المعروف معي فانا اسامحهم من كلّ قلبي واسأل ولدي انه اذا تقدّمت له الفرصة لا يفتكر سوا بسعادتهم والخير لهم وانني اودّ ان اظهر معروفي نحو اوليك الذين قد حفظوا تعلّقًا حقيقيًا نحوي من دون نفعهم الخاصّ كما انني قد شعرت بالم من قلبي رداوة بعض اشخاص لم يظهر مني نحوهم ونحو اولادهم واصدقائهم الّا كلّ جودة وخير وهكذا قد شعرت بتعزية بنظري ما قد ظهر من تعلّق حقيقي من كثيرين نحوي ثم اسألهم ان يقبلوا شكري لافضالهم اذ كنت في هذه الحال لا استطيع ان ابدي المعروف نحوهم انما اوصّي ولدي ان يستقصي الى الفرصة الملائمة الى مكافاتهم وانني اظنّ اني قلّلت اعتباري للطايفة الفرنساوية ان كنت لا اوصّي صريحًا ولدي باوليك الذين انعطافهم الخاصّ نحوي قد جذبهم لينحبسوا معي ويطوّحوا ذواتهم بخطر الموت لاجلي واوصّي ولدي بكلري الذي ليس لي سبيل عادل ان لا امدح اهتمامه وخدمته نحوي منذ

الملوك يعرّفونهم عن تأييد مشيختهم وهذا ما تضمّنته كتاباتهم ان كلّ من يقرّ بمشيختنا فهو حبيب لنا ومن لم يقرّ بمشيختنا فهو عدوّ لنا ويستعدّ الى محاربتنا لاننا قد استعدينا ان نحارب المسكونة باسرها ثم كتبوا مثل ذلك الى الدولة العثمانية وقد كانت هذه الدولة المذكورة من قيامها متّحدة مع الدولة الفرنساوية دايمًا فقبلت كتابتهم وقرّت بمشيختهم واما الملوك الافرنجية حين وصلتهم كتابة الفرنساوية نهضوا جميعًا باتّفاق على قدم وساق وعزموا على حرب ذلك الشعب الخارج عن الاسلوب ليلاّ تتشبّه به بقية الشعوب فاوّل من اشهر عليهم بالحروب ملك النمسا الانبراطور لانهم قد قتلوا شقيقته وزوجها ملكهم ثم نهضت ضدّهم دولة الانكليز ثم سلطان اسبانيا ثم سلطان ايطاليا ثم البابا سلطان مدينة رومية العظيمة وباقي سلاطين بلاد اوروبا ولكون ان شعب هذه المملكة هو اوفر عددًا من ساير الشعوب فاعتصبوا جميعهم عصبة واحدة واستعدّوا لحرب جميع مضادّيهم وخرجوا من مدينة باريز الى قتال اعدائهم الواردين عليهم من كلّ ناحية وابتدوا يحاصروا مدينة بعد مدينة ومملكة بعد مملكة وهم في عساكر كالبحار الزاخرة بالات الحرب الوافرة والقوّات القادرة الى ان اشتهر بأسهم واقتدارهم وانتشر تملّكهم وانتصارهم وتملّكوا حصونًا وقلع وبلدان وضيع

واستولوا على ممالك بلاد ايطاليا وكانت حكم احد عشر سلطانًا وامتلكوا عدّة قلع من بلاد النمسا وكان ذلك الانتصار والتملّك عن يد ذلك الليث الظاهر والاسد الكاسر الفرد الفريد والبطل الصنديد امير الجيوش بونابارته وكان هذا من بعض كبار المشيخة الفرنساوية وكان قصير القامة رقيق الجسم اصفر اللون باعه اليمين اطول من اليسار مملوًّا من الحكمة مشمولًا بالسعد والنعمة يبلغ من العمر ثمانية وعشرين سنة وهو اطلياني الاصل من جزيرة كورسيكا وتربيته فى مدينة باريز كرسىّ دولة الفرنساوية وعند ما اقتربت تلك الجيوش الفرنساوية الى كرسىّ مملكة الانبراطور اى ملك النمسا عقد امير الجيوش بونابارته صلحًا مع الملك الانبراطور على شروط مكتومة غير ظاهرة ونهض من هناك سايرًا الى مملكة البندقية ودخل دخولًا عجيبًا لان مدينة البندقية هى بكر الابكار لكون انها من حين ما بنيت وقامت مشيختها قطّ ما دخلها داخل ولا سطا عليها عدوّ واستولى على جميع مدنها وجزايرها وتملّك على كنوزها وذخايرها ثم انّه سلّم مدينة البندقية الى ملك النمسا وابقى جزيرة كورفو له ووضع بها ستّة الاف صلدات ومن هناك سار بالجيوش الى مدينة رومية العظما وبعد حروب شديدة وايّام عديدة مع عساكر البابا تملّك رومية وهزم البابا واستولى على كنوزه وذخايره وسلب اموال

اهل الجزيرة وخرب نظام تلك المدينة الجليلة واهان طغمة الاكليريكين والرهبان وازدرى بالذخاير والصلبان وكان اضطهاد عظيم على المسيحيين وكثير من اهل رومية تبعوا رأى الفرنساوية ومكث مدّة فى رومية واتى الى مدينة باريز وكان مدّة حروبهم فى البلاد الافرنجية ستّة سنوات وطاعت هم غالب البلاد المذكورة وقد كانت الفرنساوية جهّزت عمارة عظيمة فى طولون وكان عدّتها اربعماية وخمسين مركبا وعدّة عساكرها ستّين الفا وروٴساء العساكر ستّة وعشرون رجلا معروفين بالشجاعة والقوّة والبراعة وعدّة الصلدات الحربية ستّة وثلثون الفا وباقى العساكر فيسالية واصحاب صنايع ونوتية وحين تمّت العمارة ركب بها وصار طالبا جزيرة مالطه وعندما وصل اليها حاصرها مدّة قليلة وافتتحها فى شهر ايار المطابق الى شهر ذى القعدة سنة ١٢١٢ هجرية بعد قيام تلك المشيخة بخمسة سنين وقيل ان ذلك كان بولس الكوليرية الفرنساوين الذين كانوا موجودين بها وبعد توليهم على مدينة مالطه رفعوا منها الحكّام الكوليرية الذين كانوا من قبل ساير الملوك الافرنجية واطلقوا المأسورين بها من الاسلام وارسلوهم الى بلدانهم بالسلام واوعدوهم بان ما عاد يسير استيئسار على الاسلام من المالطية على الدوام ثم امرهم ان يبشّروا بذلك فى جميع بلدان المسلمين ويشكروا

بذلك فضل الفرنساوية وبعد ذلك وضع فى مدينة مالطه ستّة الاف مقاتل من الفرنساويين واخذ عوضها من المالطيين وصار فى تلك النية قاصدًا مدينة الاسكندريـة هذا ما كان من امير الجيوش بونابارتـه وامّا الانكليـز لمّا بلغهم خروج هذه العمارة العظيمة وظنّوا انهم قاصدون بلدانهم تحصّنوا ثغورهم ومكاناتهم ولمّا حقّقوا انهم قصدوا الديار المصرية جهّزوا اربعة عشر مركبًا بكلك كبار وصاروا الى محاربتهم لانه كان بين الانكليز والفرنساوية عداوة عظيمة وحقود قديمة وقد تسلّموا بعض بلدان فى الهند كانت للفرنساويين وبهذا السبب كان مسير الفرنساويين الى الديار المصرية مؤملين انه بعد تملّكهم الامصار المصرية يستسيرون فى بحر السويس الى بلاد الهند لان المسافة قريبة وحين دخلت مراكب الانكليز ثغر الاسكندرية ارسلوا قاربًا يطلبون حاكم المدينة فتوجّه الى مقابلتهم مكرجى الاسكندرية السيّد محمد كريم الذى كان متروّسًا من قبل الامير مراد بيك وبعد وصوله للمراكب سألهم عن سبب قدومهم فاخبروه انهم طالبون عمارة الفرنساوية لكى يصدّوها عن الدخول الى ثغر الاسكندرية فارتاب السيّد محمد كريم وقال فى نفسه ما هذا الّا خداع عظيم واجابهم ان الفرنساوية غير ممكن انهم يحضروا لبلادنا ولا لهم فى ارضنا شغل ولا بيننا وبينهم

عداوة ولا جلبنا عليهم رداوة وهذا كلام غير ممكن ان
نصدّقه وان حضروا كما تزعمون فنصدّهم عن الدخول وليس
لهم الينا وصول واما انتم فليس لكم الاقامة بهذه الديار
وانما اذا جئتم تاخذون شيئاً من الماء والماكل فلكم الاختيار
فاجابوه الانكليز انتم لستم فى هذا الحين كفؤا لصد
الفرنساويين ولكن سوف تندمون على عدم قبولكم ايانا وعلى
ما يحلّ بكم تتحسّرون وفى الحال اقلعوا من مقابل الاسكندرية
وكان ذلك فى ثلثة عشر من شهر محرّم افتتاح سنة ١٢١٣ ﻫ
فرجع السيّد محمد كريم وهو حاير من ذلك البلاء العظيم
وفى الحال اعرض ذلك الامر الى مراد بيك الى مصر وفى ثالث
الايّام من بعد قيام مراكب الانكليز من ثغر الاسكندرية عند
العصر نفد مركب عظيم فى البحر ولمّا قرب الى البوغاظ ارسل
قارباً الى اسكلة الاسكندرية يطلب قنصل الفرنساوية ولمّا
بلغ اهل المدينة خافوا خوفاً عظيماً وعقدوا ديواناً واتّفق
رأيهم على عدم توجّه القنصل وكان يوميذٍ مركب الريالة (3)
فى البوغاظ وقبطانه فى المدينة فامرهم ان يطلقوا القنصل وقال
لهم وان حصل سؤال عن ذلك فعلىّ الجواب وسار فى القارب
الى المركب ثم ما اغربت الشمس الّا واقبلت العمارة العظيمة
التى ليس لها عدد فسقط على اهل الاسكندرية خوف عظيم
وهمّ جسيم حين نظروا وجه البحر تغطّى من المراكب وحرّر

السيّد محمد كريم يعلمُ مراد بيك عن قدوم تلك العمارة في هذه الالفاظ سيّدي ان العمارة التي حضرت مراكب عديدة ما لها اوّل يُعرف ولا آخِر يوصف لله ورسوله داركونا بالرجال وفي تلك الليلة ارسل ثلثة عشر ساعيًا بلا خلاف وقد ايقنوا بالموت والتلاف واما الفرنساوية بقوا تلك الليلة ينقلون العساكر من المراكب الى البرّ بالقوارب الى مكان يقال له العجمي (٨) بعيدًا من مدينة الاسكندرية مسافة ساعتين وعند الصبح نظرت اهالي البلد الى العساكر في البرّ ليس لهم عدد ولا لهم على حربهم جلد فتأهّبت الاسلام الى الحصار ومحاربة تلك الكفّار واطلقوا المناداة اليوم يوم المغازاة ولكن اذ كانت المدينة مأمنة من تلك الحوادث وغير مستعدّة لمثل هذه النواكس فما وجد في قلع هذه المدينة الا قليل من البارود واكثره كالتراب من طولة الايّام وعند طلوع الشمس هجمت عليهم تلك العساكر كالبحار الزواخر والاسود الكواسر فما مضى نحو ساعتين من النهار حتّى تملّكت الافرنج الاسوار ودخلت المدينة قوّةً واقتدارًا وكان ذلك في ١٥ محرّم سنة ١٢١٣ الموافق لشهر حزيران سنة ١٧٩٨ وطلبت الامان الرعيّة من العساكر الفرنساوية فاعطاهم امير الجيوش الامان وعدم المعارضة والعدوان وكان قد قُتل في ذلك النهار من المسلمين مائة قتيل ومن الفرنساوية شيء قليل وانجرح جرحًا

كبيرًا الجنرال كلبير ثم حضرت قدّام امير الجيوش اعيان البلد فتوسّلوا اليه فترحّب بهم وامّنهم واختار منهم سبعة انفار من الاعيان الكبار وهم الاستاد الفاضل والحاذق العاقل الشيخ محمد المسيرى العالم العلّامة والمشهور بالفضل والمكرمة ثم السيّد محمد كريم عين الاعيان ورئس الديوان ومعهم خمسة انفار من اهالى الاسكندرية الاخيار وقلّدهم زمام الاحكام وما يحتاج اليه البلد من النظام وان كلّ يوم يعملوا ديوان مشهور ويحكموا بما بينهم من الامور وقال لهم انه على مقتضى الحرّية يجب ان تتقلّد الاحكام عقلاء الرعيّة لان الخلق عند الله كلّ بالسوية وليس يتفضّل احد على الآخر الا بالعقل والنيّة وبعد ذلك امر باحضار المطابع التى احضرها معه من مدينة رومية وكانت تطبع فى اللغة الفرنساوية ولغة اللاتينية واليونانية والسريانية والعربية وكتب فرمانات وطبّعها فى العربية ووزّعها على الديار المصرية وهذه صورتها حرفًا بحرفًا

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الّا الله لا ولد له
ولا شريك بملكه

من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على اساس الحرّية والسر عسكر الكبير بونابارته امير الجيوش الفرنساوية نعرّف اهالى

مصر جميعهم ان من زمان مديد السناجق الذين يتسلّطون فى البلاد المصرية يعاملون بالذلّ والاحتقار فى حقّ الملّة الفرنساوية ويظلمون تجّارها بانواع البلص والتعدّى فحضرت الآن ساعة عقوبتهم وحسرتٌ من مدّة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الاباذا (5) والكرجستان يُفسدوا فى الاقاليم الاحسان ما يوجد فى كرّة الارض كلّها فاما ربّ العالمين القادر على كلّ شىء قد حتم فى انقضاء دولتهم يا ايّها المصريون قد يقولوا لكم اننى ما نزلت فى هذا الطرف الّا بقصد ازالة دينكم وذلك كذب صريح فلا تصدّقوه وقولوا للمفتريّن اننى ما قدمت اليكم الّا لكيما اخلّص حقّكم من يد الظالمين واننى اكثر من المماليك اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيّه محمد والقران العظم وقولوا لهم ايضًا ان جميع الناس متساويّن عند الله وان الشىء الذى يفرقهم عن بعضهم بعض فهو العقل والفضايل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين وتستوجب ان يتملّكوا وحدهم كلّما تحلو به حيوة الدنيا حيثما يوجد ارض مخصبة فهى للمماليك والجوار الجمال والخلل الحسان والمساكن الاشهى فهذه كلّها لهم خاصةً فان كانت الارض المصرية التزام للمماليك فليوردوا الحجّة التى كتبها لهم الله ربّ العالمين هو رؤف وعادل على البشر

بعونه تعالى من اليوم وصاعدًا لا يُستثنى احدًا من اهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبّروا الامور وبذلك يصلح حال الامّة كلّها سابقًا فى الديار المصرية كانت المدن العظيمة والخلجات الواسعة والمتجر المتكاثر وما زال ذلك الّا لطمع وظلم المماليك ايّها القضاة والمشايخ والائمّة ويا ايّها الشوربجية (٥) واعيان البلد قولوا لأُمّتكم ان الفرنساوية ايضًا مسلمين خالصين واثباتًا لذلك قد نزلوا فى رومية الكبرى وخرّبوا بها كرسى البابا الذى كان دايمًا يحثّ النصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكولرية الذين كانوا يزعمون ان الله يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك الفرنساوية فى كلّ وقت كانوا محبّين الخاصّ لحضرة السلطان العثمانى واعداء اعدايه ادام الله ملكه وفى الخلاف المماليك امتنعوا من طاعة السلطان غير ممتثلين الى امره فما طاعوا اصلًا الّا لطمع نفوسهم طوبى ثم الطوبى الى اهل مصر الذين يتّفقون معنا بلا تاخير وينصلح حالهم وتعلا مراتبهم طوبى ايضًا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مبالين لاحد من الفريقين المحاربين ان يعرفونا بالاكثر يسرعون الينا بكلّ قلب لكن الويل ثم الويل للذين يتّحدوا مع اوليك المماليك ويساعدوهم فى الحرب علينا فما يجدوا طريق

الخلاص ولا يبقى لهم اثار ، المادّة الاولى جميع القرى القريبة ثلث ساعات عن المواضع التى يمرّ بها العسكر الفرنساوى ترسل للسارى عسكر بعض وكلاء لكيما يعرّفوا المشار اليه انهم اطاعوا ونصبوا السنجق الفرنساوى الذى هو ابيض وكحلى واحمر ، المادّة الثانية كلّ قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تُحرق بالنار ، المادّة الثالثة كلّ قرية تطيع العسكر الفرنساوى الواجب عليهم نصب السنجق الفرنساوى وايضًا نصب سنجق السلطان العثمانى محبّنا ادام الله بقاه ، المادّة الرابعة المشايخ فى كلّ بلد يختموا حالًا جميع الارزاق والبيوت والاملاك متاع المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكى لا يضيع ادنى شىء منها ، المادّة الخامسة الواجب على المشايخ والقضاة والايمّة ان يلازموا وظايفهم وعلى كلّ من اهل البلدان يبقى فى مسكنه مطمأنًا وكذلك تكون الصلوة قايمة فى الجامع على العادة والمصريون باجمعهم يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى لانقراض دولة المماليك قائلين بصوت عالٍ ادام الله تعالى اجلال السلطان العثمانى ادام الله تعالى اجلال العسكر الفرنساوى لعن الله المماليك واصلح الله حال الامّة المصرية تحريرًا فى عسكر اسكندرية ، فى ثلثة عشر من شهر مسيدور سنة ست من اقامة الجمهور الفرنساوى اعنى اواخر شهر محرّم سنة ١٢١٣ هجرية

ثم انه توجهت تلك الفرمانات الى الديار المصريه وفى ثانى الايام ارسل امير الجيوش بونابارته العساكر من الاسكندرية الى دمنهور وبندر رشيد وعندما بلغ اهالى رشيد قدوم الفرنساوية خرج الى لقاهم علماء واعيان البلد فسلموهم البندر خوفا من الضرر وتسلم بندر رشيد الجنرال منو حاكما به وهذا الجنرال كان بطلا من الابطال الكبار

وكنا ذكرنا ان السيد محمد كريم قد اخبر مراد بيك بذلك البلاء العظيم والخطاب الجسيم ولما وصلت النجابة الى مصر واخبروا مراد بيك بقدوم الفرنساوية الى مدينة الاسكندرية طرح الكتاب من يده وصاح على عساكره وجنده واحمرت عيناه واضطرمت النار فى احشائه وامر باحضار الخيل للركوب وسار الى منزل ابراهيم بيك على ذلك الاسلوب وشاع الخبر واضطربت البشر وهاجت تلك الأمم على ساق وقدم وحل فى القوم الاسف والندم واجتمعت الكشاف والامراء والاشراف لقصر ابراهيم بيك بلا خلاف وحضر باكير باشا من القلعة السلطانية الى المعنية وحضروا جميع السناجق والاعيان مثل ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك الكبير ومصطفى بيك الكبير وايوب بيك الكبير وابراهيم بيك الصغير ومراد بيك الصغير وسليمان ابو دياب وعثمان بيك الشرقاوى ومحمد بيك الالفى ومحمد بيك المنوفى وعثمان بيك البرديسى وعثمان

بيك الطنجى وقاسم بيك المسكوبى وقاسم بيك ابو سيف وقاسم بيك امين البحر والامير مرزوق ابن ابراهيم بيك الكبير وعثمان بيك الطويل وشروان بيك . وحضر من العلماء الشيخ محمد السادة والشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ محمد المهدى والشيخ خليل البكرى والسيد عمر نقيب الاشراف والشيخ العربى والشيخ محمد الجوهرى واما العلماء الصغار فلا نقدر نعدهم لكثرتهم فهولاء السناجق المذكورين مع العلماء المشهورين والوزير السلطانى باكير باشا العثمانى عقدوا الديوان وحضرت السبع اوجاقات وعدة من الاغاوات وجملة من العوام ارباب الصوت والكلام وبدوا يتداولون بامر الفرنساوية ودخولهم الى الاسكندرية ويستغربون من هذا الخطب المهول والامر المجهول فامير اللواء مراد بيك بما انه عارف ان خاطر الدولة العلية متغير عليه فالتفت الى الوزير وقال له ان هولاء الفرنساوية ما دخلوا على هذه الديار الا باذن الدولة العثمانية ولا بد الوزير عنده علم بتلك النية ولكن القدرة تساعدنا عليكم وعليهم فاجابه الوزير لا يجب عليك ايها الامير ان تتكلم بهذا الكلام العظيم ولا يمكن ان دولة بنى عثمان تسمح بدخول الفرنساوية على بلاد الاسلامية فدعوا عنكم ذلك المقال وانهضوا نهوض الابطال

واستعدّوا للحرب والقتال ثم اتّفق رأيهم ان يسجنوا القنصل والتجّار الموجودين من الفرنساوية في مصر القاهرة خوفًا من الخون والمخامرة وسجنوهم جميعًا في قلعة الجليلة وبعد ذلك اتّفق الجميع الكبير منهم والوضيع على القتال والصدام وان مراد بيك يسير في العساكر المصرية لملاقاة الفرنساوية عند دمنهور وابراهيم بيك الكبير وباكير باشا الوزير مع بقيّة العساكر والقواد والدساكر يقيمون في المدينة وكان قد هاج اكثر العلماء والاعيان وقالوا لا بدّ نقتل بالسيف جميع النصارى قبل ان نخرج لا حرب الكفّار وقال الوزير وشيخ البلد ابراهيم بيك غير ممكن اننا نُسلم الى هذا الغرم والرأى لان هولاء رعيّة مولانا السلطان صاحب النصر والشان وامّا النصارى فوقع عليهم وهم عظيم وخوف جسيم وبدوا الاسلام يتهدّدوهم بالقتل والسلب ويقولوا لهم اليوم يومكم قد حلّ قتلكم ونهبكم وسلبكم وكانت مدّة مهولة مرعبة ونار ثايرة ملهبة ولكن بالمراحم المولى عزّ شانه اذ انه قد عطف وحنّن عليهم قلب الوزير وشيخ البلد وكانوا في كلّ يوم يرسلوا اليهم سليم اغا اغة الانكشارية حالًا يطمّنوهم (7) على ارواحهم واموالهم ويطلق المناداة في كلّ البلد على حفظ الرعايا وعدم المعارضة لهم فلنرجع الى ما كنّا في صدده وهو ان مراد بيك جمع الفرسان والغزّ والعربان واهل تلك الاطراف ما يفوق

عن عشرين الف مقاتل من كلّ فارس وراجل وسار فى العساكر كالبحور الزواخر نهار الجمعة فى ارض الرحمانية وهى بلاد بالغرب من رشيد وكان قد ارسل الجبخانات والذخاير مع عسكر كريد فى بحر النيل وكان صحبتهم علىّ باشا الجزّار الذى كان مطرودًا من جزاير الغرب ومقيمًا فى مدينة مصر وناصيف باشا ابن سعد الدين باشا العظم مطرودًا من الدولة فهولاء كانوا ملتجيين فى مراد بيك فى ذلك الوقت فارسلهم مع الذخاير والجبخانات وسار مراد بيك مع العساكر على شاطى النيل امامهم وعندما وصلوا فى اراضى الرحمانية فقابلوا الجيوش الفرنساوية قادمين كالسيل القاطر وكانت غلايطهم سايرة تجاههم بحرًا وعندما نظروا الغلايط فى تلك المراكب التى بها الذخيرة فتجاروا اليهم ووقع الكون بينهم وارموا بعضهم بالمدافع والقنابر فسقطت احدى القنابر على المركب الذى كانت به الجبخانة فطار البارود واحترق المركب والذى بقربه من المراكب وكانت الناس تتطاير بالجوّ كالطيور ووصلت فى الجبخانة التى على البرّ فشعلت فيها وانزعجت العساكر لما شاهدت تلك النار واستغولوا من الانكسار وايقنوا بالعدم والدمار وفى ذلك الوقت دهمتهم العساكر الفرنساوية وانزلت بهم البلية فولّت العساكر المصرية مدبرين والى النجاة طالبين ولا زالوا راجعين وفى

مسيرهم مُجدّين الى ان وصلوا الى محلّ يقال له الجسر الاسود واقاموا هناك فى غاية الذلّ والنكد فهذا ما كان من مراد بيك وذلك التدبير وما اصابه عسكره من الزلّ والتدمير وامّا ما كان من باكير باشا وابراهيم بيك الكبير فانهم بعد مسير مراد بيك نزلوا الى بولاق ونصبوا الخيام والسوطاق وابتدوا يبنوا المتاريس على شاطى النيل وعندما اتتهم الاخبار بما قد حصل بعساكر مراد بيك من الدمار والانكسار من الاعداء الكفّار الفرنساوية الاشرار فتقطّعت ظهورهم وحاروا فى امورهم ووصلت الاخبار الى مصر فكان يومًا مهولًا وقامت اهالى البلد بالسلاح والعدد وتهدّدوا النصارى وصاحوا اليوم قد حلّ قتلكم يا ملاعين وصرتم غنيمةً للمسلمين ثم ارسل ابراهيم بيك الى مراد بيك ان يحضر الى امبابة تجاه بولاق ويبنوا المتاريس على شاطى البحر(8) ويضعوا المدافع ويبقى ابراهيم بيك وعسكره فى بولاق ومراد بيك وعسكره فى امبابة تجاه بعضها والبحر بين الجهتين احتسابًا بان الفرنساوية اذا اتوا بحرًا يتلقّاهم ابراهيم بيك واذا اتوا برًّا يتلقّاهم مراد بيك وفى نهار الجمعة سادس عشر يوم من شهر صفر صعدت علماء مصر وعامّة الناس الى القلعة السلطانية واحضروا البيراق النبوى بضجيج عظم واحتفال جسيم واتوا به الى مدينة بولاق وهم يموجون كالبحر الدفّاق

وجميع تلك الاقاليم فى الوجل العظيم ويضجون بالدعا المستديم الى الرب الكريم وقد صعدوا الى المنابر وفتحوا المصاحف وهم فى غاية المخاوف ونهار السبت سابع عشر صفر اقبلت الجيوش الفرنساوية برًّا وبحرًا وتقدّمت العساكر المصرية واستعدّوا لحرب الفرنساوية وقرعوا طبول الحرب ووطدوا نفوسهم على الطعن والضرب وتقدّم الى المحاربة الجبّار العنيد والمُعدّ فى الحرب بالف صنديد الجنرال دُبوى فتلاطما العسكران وتصادما الجيشان وتهاجمت الشجعان وفرّ الجبان وبان القوىّ من الجبان وجادت العربان وتقدّموا الى الضرب والطعان وتجارت الفرسان الى حومة الميدان وعجّت بالمناداة اليوم يوم المغازاة ثم انقضّت السناجق كانقضاض البواشق بالسيوف البوارق والرماح الخوارق والخيول السوابق واطلقوا المدافع كالصواعق وثار العجاج وزاد الهياج وقد هجم فى ذلك الوقت البطل المغوار والاسد الهدّار ايوب بيك الدفتردار وحمى بحصانه وسط الغبار وصاح فى الاعداء ويلكم يا لئام ساقكم الغرور لفتح هذه الثغور اليوم نملى منكم القبور ونجعله عليكم يومًا مشهور وفى مثل هذا الاوان تبان الشجعان وتبلغ المنازل العالية الفرسان وتكسب الحمد والثناء فمن مات منّا احتوى بالجنان ومن عاش ربح من دون خسران وكان بدنياه سعيد ومن مات راح بالله شهيد ولمّا

طال الحرب واشتدّ البلاء والكرب ودام الطعن والضرب فعند ذلك الوقت قرعت الفرنساوية الطبول النحاسية وهجم ذلك البطل الذى ذكره تقدّم الجنرال دبوي المعظّم ولا زالوا يلتقون الكلل فى صدورهم ويدوسون بجروحهم ومقتولهم حتّى ملكوا المتاريس وكان ذلك على الغزّ انكيس وبدوا يطلقون المدافع على الاسلام ويورثوهم مواريث الاعدام وجادت الافرنج فى القتال لما ملك دبوى المتاريس وكانت الافرنج ثلاثين الف مقاتل ما بين فارس وراجل وكان كلّ من هولاء الصلدات فى كلّ دقيقة يطلق الرصاص سبع دفعات فعند ذلك صاحت الغزّ الفرار الفرار من حرب هولاء الكفّار وولّت العربان وانهزمت الشجعان واذ ضاق عليهم ذلك السبيل القوا ارواحهم فى بحر النيل فما سلم منهم الّا القليل وكان قد سقط قتيل وداسته الخيل ذلك الجبّار والاسد المغوار ايوب بيك الدفتردار ولم يبان له علائم ولا اثار بعد ان قتل جمعًا غفير وثبت قدّام تلك الجماهير واما مراد بيك فرّ فى رجاله وابطاله طالب النجاة لنفسه العزيزة ودخل الى الجيزة وقد احرق مركبه الكبير الذى كان انشاه خوفًا ليلّا تكسبه اعدائه ثم سار نحو الصعيد وكان باكير باشا وابراهيم بيك حين انهزموا من بولاق وقلوبهم بنار الاحتراق ودمعهم ينحدر من الاماق وقلوبهم مغتمات بالحسرات وهم يتاسّفون على ما فات ثم

اخذوا اعيالهم ورجالهم وخرجوا من المدينة من باب النصر قاصدين البرّية والديار الشامية وبقت بقيّة اهل القاهرة تلك الليلة بمخاوف وافرة وعند الصباح اجتمع القاضى والاعيان وقالوا ان الحكّام ولّت واحوالهم اضمحلّت فالتسليم لنا اصلح وحقن دماء الاسلام اوفق وارجح وقد كنّا ذكرنا ان القنصل والتجّار الفرنساوية تحت اليَسَق فى قلعة الجبل فاحضروهم وطلبوا منهم ان يسيروا معهم الى بولاق ويأخذوا لهم الامان فاشار عليهم القنصل ان يتوجّه اثنان من التجّار ومحمد كتخدا ابراهيم بيك وساروا الى برّ امبابة وفى وصولهم تقدّموا الى مقابلة الجنرال ديوى وترحّب بهم وسألهم عن احوال مدينة وما هو مراد اهلها فقالوا له ان الحكّام ولّت والرعيّة ذلّت وقد اتينا من قبل علماء البلد والاعيان نطلب لهم الامان فاجابهم الجنرال ديوى من القى سلاحه حُرم قتاله فلهم منى الامان ومن امير الجيوش ومن كلّ من فى هذا المكان وانّما يلزمكم فى هذه الليلة ترسلوا المعادى والقوارب لتنقل بهم العساكر لان مرادى فى هذه الليلة ادخل البلد ثم رجعوا محمد كتخدا والتجّار واعلموا العلماء بتلك الاخبار فامرت العلماء والحكّام البلد حالًا بمسير القوارب والمعادى الى برّ امبابة ونزل الجنرال ديوى بماية وخمسين صلدات الى بولاق حيث كانت العلماء بذلك الاتّفاق وحين

تقابلوا اعطاهم الامان وساروا قدّامه بالمشاعيل الى ان دخلوا المدينة والمنادية تنادى امامه بالامان على الرعيّة والاعيان وجلس الجنرال دبوى فى منزل ابراهيم بيك الصغير وارسل بعض الصلدات تسلّمت قلعة السلطان واتّقدت تلك الليلة النار بمنزل مراد بيك وكان ذلك من الذين ينهبون وهم من اولاد البلد فنهض الجنرال دبوى واطفا تلك النار وعند الصباح فى تاسع صفر نهار الاثنين ابتدأت تنتقل العساكر من برّ الجيزة وامبابة الى مصر فعندما قدم امير الجيوش بونابارته فخرجت العلماء والاعيان والنصارى والاسلام لملتقاه وكان يترحّب بهم ويلتقيهم بالبشاشة والاكرام ويوعدهم بالخير والنظام ثم امر ان يفرشوا له منزل بقرب النيل ففرشوا له منزل محمد بيك الالفى الكاين على شاطى بركة اليزبكية ونزل كبير الاقباط المتسلّمين الاقاليم المصرية وهو جرجس الجوهرى وباشر بفرش المنزل وفى يوم الثلاثة دخل الامير الجيوش ونزل بذلك المنزل ودخلت جميع تلك العساكر التى ليس لها اوّل من آخر وامر امير الجيوش ان جميع اهالى مصر يضعوا على رؤسهم ام صدورهم علامة المشيخة وهذا النشان هو من الحرير الابيض والكحلى والاحمر قدر زهرة الورد وقد وضعتها جميع الناس من الرجال والنساء واطلق المناداة ان كلمن دخل من دون علامة يجب له القصاص وحين دخلت

العساكر الغرنساوية كانوا ينهبون من بيوت الغزّ والمماليك فامر امير الجيوش برفع النهب وكانت الغزّ قد دفنت اموالها تحت الارض ولم يبق سوا الفرش والامتعة وقد نهبت اهالى المدينة من هم شيء كثير وفى ١٢ ارتفع النهب واطمانت الناس فى اماكنها فهذا ما كان من دخول الغرنساوية واما ابراهيم بيك وباكير باشا فانهم بعد خروجهم من مصر ساروا الى مدينة بلبيس وهم فى الذلّ والتعكيس واما مراد بيك فسار الى اراضى الصعيد وفارقت الغزّ الكنانة وبليوا بالذلّ والاهانة وقد وقعوا بالشتات والخبال وانتهب اموالهم وسُبيت اعيالهم وباحوا على فراق مصر وتفرّقهم فى كلّ قطر وارموا من روسهم القواويق الصفرآء ولم يبق القووق الاصفر فى مملكة مصر اثار وذاقوا من الغربة امرّ كاس وبقوا كعامّة الناس وكان امير الجيوش بونابارته بعد دخوله الى ارض مصر احضر تجّار ديوان البهار المعروف بديوان البنّ الوارد من الاقطار وطلب منهم الف وستّماية كيس وطلب من الاقباط المباشرين الدواوين الف وستّماية كيس ومن تجّار النصارى ثمان ماية كيس وتسلّم تلك الاربعة الاف كيس فى ستّة ايّام واوعدهم بوفائها عندما يروق الحال ويتّسع المجال وبعد ذلك ابتدأ فى النظامات فى مدينة مصر كما ياتى ذكره فاحضر اوّلًا خمسة انفار من العلماء الكبار وهم الشيخ عبد

الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ محمد المهدى والشيخ سليمان الفيومى واحضر معهم اثنين من الاوجاقات وواحد من التجّار وهم على كتخدا باشى ويوسف شاوش باشى والسيّد احمد المحروقى وافرز الى هولاء محلًّا معيّنًا وعيّن لهم علايف شهرية واقامهم رؤساء فى ديوان خصوصى وكانوا فى كلّ يوم يجتمعون واقام معهم رجلًا فرنساويًا مترجمًا من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية ثم ان امير الجيوش بونابارته رتّب ديوانًا ثانيًا سبعة انفار من التجّار ومعهم رجلًا فرنساويًا مترجمًا وذلك ليكون ديوان البحر وافرز لهم محلّات معلومة لاستماع دعاوى التجّار والمتسبّبين واحضر امير الجيوش محمد كتخدا المسلمانى فهذا كان اصله ارمنيًا واسلم وترقّى فى زمان المماليك الى ان صار كتخدا ابراهيم بيك الصغير الذى غرق فى النيل يوم الحرب فجعل هذا الرجل اغة الانكشارية واحضر ايضًا رجلًا من الاوجاقات وجعله على الاحتساب واحضر ايضًا رجلًا يسمّى علىّ اغا وجعله واليًا على البلد ثم امر امير الجيوش بان تُفرز محلات معيّنة لاجل المطابع التى احضرها معه من رومية وهى تطبع بجميع اللغات كما تقدّمنا ذكره وجعل لذلك محلّات على شاطى البزبكية ثم ان امير الجيوش قسم البلد خطوطًا وجعل لكلّ خطّ حاكمًا فرنساويًا وكانت الوُلاة من الفرنساوية

واقفين على باب المدينة ليلًا ونهارًا وخارجًا الى حدود
بولاق ولا حدود الجيزة وانقطعت جنس اللصوص والخطّافين
والعربان والسرّاقين وكانت حكّام الخطوط في كلّ سبة يطلقون
المنادات على الرعايا بكناسة الطرقات والشوارع ورشّ الماء لاجل
النضافة ونظام الطرقات ورسموا ان على كلّ باب بيت او باب
وكّالة (a) يكون قنديلًا شاعلًا كلّ الليل وكانت حكّام الخطوط
تدور في الليل فكلّ باب لم يجدوا عليه قنديلًا فكانوا
يضربون عليه مسمارًا وفي الغد يقع على صاحبه القِصاص
وكانت المدينة تضيء في الليل كالنهار ثمّ ان امير الجيوش
احضر مصطفى اغا كتخدا باكير باشا وآمنه والبسه فروًا
وجعله امير الحاجّ وامره ان يباشر لوازم الحاجّ وما يحتاج
اليه وقال لماذا الوزير فرّ هاربًا مع المماليك ألم يعلم اننا
متّحدين مع الدولة العثمانية ونحن ما حضرنا الى هذه
الامصار الّا بالاذن من السلطان سليم والاختيار ثمّ امر الى
مصطفى اغا ان يحرّر الى باكير باشا بان يرجع الى القلعة
كما كان وله الكرامة والامان ورجع مصطفى اغا من امامه وهو
منشرح الصدر مستغربًا هذا الامر ثمّ ان امير الجيوش
شغّل الضربخانة في القلعة كما كانت وامر ان يضع اسم
السلطان سليم حسب العادة وامر ايضًا امير الجيوش ان
يفرزوا محلّات للمرضى والمجروحين المعروف بالاسبستار وافرزوا

لذلك قصر المعني الذى على شاطى النيل بين القاهرة ومصر القديمة فجعلوا اماكن لاجل صنع الادوية واقام هناك رئيسًا للاطبّاء ورئيسًا للجراحية وبعد ذلك امر امير الجيوش بونابارته بتفريق الجنراليات على الاقاليم المصرية فاقام الجنرال ديزه على اقليم بلاد الصعيد وكان هذا الجنرال برج مشيد وبطل عنيد ثم اقام الجنرال مورا وكان من الابطال الشداد وقلّده احكام اقليم القلوبية وكان شابًّا بالسنّ بديعًا بالحسن ثم اقام الجنرال لانوس الرجل الوديع المانوس وكان خبيرًا بالحروب ومقدامًا على الشدايد والخطوب وقلّده اقليم المنوفية من الجهة الغربية ثم احضر الجنرال دُكا لحسن السورة صاحب الوقايع المشهورة وقلّده احكام المنصورة وهي بلد مشهورة واقليمها واسع وبرّها شاسع ثم احضر الجنرال ويال وكان حميد الخصال وبطل من الابطال وارسله الى مدينة دمياط وصحبته ثلثماية نفر صلدات وسار بسرعة ونشاط الى ان دخل البلد فالتقوه العلماء والاعيان واعطاهم الامان ثم نظم اقليم دمياط احسان ممّا كان امّا ذاك البطل العنيد والليث الصنديد صاحب العزّ والنصر المشيد الذي كان بين تلك الجيوش فريد الجنرال دبوى فان امير الجيوش اقامه شيخ البلد مكانًا ابراهيم بيك لان ذاك الانتصار وفتح تلك الامصار كان عن يد هذا الجبّار ثم ان امير الجيوش احضر احد

الكوميسارية الكبار المسمّى بوسلنج وقلّده مُعاطاة الاقلام الميرية وضبط مداخيل الاقاليم المصرية واقامه فى بيت الشيخ البكرى الكاين فى بركة اليزبكية وكان المصريون يدعونه الوزير اى وزير المشيخة الفرنساوية وارتقى هذا الى رتبة علية وكان عالمًا بعلم الحسابات كاملًا بجميع الصفات ولفظة كوميسارية هم الذين لا يتعلّقون بامور الحرب بل فى مُعاطاة الكتابة والحسابات والصنايع وما ماثل ذلك ثم ان بونابارته اقام خزنه دار الى المشيخة احد الكوميسارية المدعو استيفو وهو كان عالمًا بعلم الحسابات وجميع الامور تصل اليه ثم امر امير الجيوش ان العلماء الفرنساويين والفلاسفة يسكنون فى البيوت التى الى قاسم بيك وحسن بيك وما حولهم من بيوت الكشّاف التي هي فى باب الناصرية النافذة الى مصر العتيقة ثم ان امير الجيوش بونابارته امر ان يفرزوا محلّات معيّنة خارجًا من المدينة بحفظ الكرنتنا وكذلك فى مدينة الاسكندرية ثم فى مدينة رشيد ثم لمدينة مصر تكون الكرنتينا فى بولاق ثم لمدينة دمياط فتكون الكرتينا فى مدينة القرية وشرعوا فى بناية المحلّات المعلومة وذلك لمنع رايحة الطاعون المسمومة كما جرت العادة فى بلادهم ثم ان امير الجيوش من بعد ما رتّب الترتيب المقدّم ذكره اخذ جانب من العساكر وسار بهم قاصد مدينة بلبيس لمحاربة الوزير

باكير باشا وابراهيم بيك وخرج فى شهر صفر وحين قارب مدينة بلبيس بلغه ان الباشا وابراهيم بيك هربوا الى الصالحية فتبع اثرهم وهناك التقت بهم خيالة الافرنج وهجمت عليهم فى تلك المرج وابتدأ الحرب واشتدّ البلاء والكرب واذ كانت الفرنساوية على الخيل لا يستطيعون مقاومة الغزّ المصريين فرجعوا عنهم مكسورين فمات منهم جملة مقتولين ولمّا وصل الخبر الى امير الجيوش فسار فى الحال وحين بلغ الغزّ قدومه فولّوا منهزمين ولم يزالوا سايرين الى ان وصلوا لمدينة غزّة ورجعت العساكر الفرنساوية الى مصر وهم مايدين بالسعد والنصر وبعد ذلك ابتدأ ابراهيم بيك يحرّر الى الاقاليم المصرية ويحثّهم على القيام على الفرنساوية ويستخرج لهم البيورلديات (١٥) من الجزّار وباكير باشا وكان جميع الغزّ يهيجون العربان والفلّاحين على العصاوة والقيام ضدّ الفرنساوية فاحضر امير الجيوش بونابارته امراء الديوان وهم المقدّم ذكرهم وشرح لهم السبب الداعى الى حضورهم لتلك الديار وان ذلك باتّفاق مع الدولة العثمانية وان الدولة الفرنساوية مساعدة الى الدولة العثمانية على قهر الدولة المسكوبية وصدّها عن مطلوبها المبين واسترجاع ما تولّوا عليه بالتغلّب من بلاد المسلمين وكتب لهم صورة كتابات ان يطبعوها بالعربية ويرسلوها الى الاقاليم المصرية ففعلوا

ما امرهم به من المامورية وهذه صورة كتابات من العلماء مصر والاعيان الى الاقاليم والى البلدان

نخبّركم يا اهل المداين والامصار وسكّان الريان والعربان كبارًا وصغارًا ان ابراهيم بيك ومراد بيك وبقيّة دولة المماليك ارسلوا عدّة مكاتبات ومخاطبات الى ساير الاقاليم المصرية لاجل تحريك الفتن بين المخلوقات ويدّعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه وذلك كلّه كذب وبهتان وسبب ذلك انه حصل لهم شدّة الغمّ والكرب والهمّ واغتاظوا غيظًا شديدًا من علماء مصر ورعاياهم حيث ما وافقوهم على الخروج معهم وترك اعيالهم واوطانهم وارادوا ان يُوقعوا الفتن والشرّ بين الرعيّة والفرنساوية لاجل خراب البلاد وهلاك كلّ الرعيّة والعباد وذلك لشدّة ما حصل لهم من الكرب الزايد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين وانها من حضرة سلطان السلاطين لكان ارسلها جهارًا مع اغاوات من طرفه معيّنين ونخبّركم ان الطايفة الفرنساوية بالخصوص عن بقيّة الطوايف الافرنجية دايمًا يحبّون المسلمين وملّتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم وهم احباب لمولانا السلطان قايمين بنصرته واصدقاء له ملازمين لمودّته ومعونته ويحبّون من والاه ويبغضون من عاداه وكذلك بين الفرنساوية

والمسكوب غاية العداوة الشديدة لاجل عداوة المسكوب للاسلام واهل الموحّدين ولعلمهم ان المسكوب يتمنّى الاخذ لاسلامبول المحروسة ويعمل انواع الحيل والدسايس المعكوسة في اخذ ساير الممالك العثمانية الاسلامية لكنّه لا يحصل على ذلك بسبب اتّحاد الفرنساوية ومحبّتهم واعانتهم الى الدولة العلية ويريدون يستولون على اياصوفية وبقيّة المساجد الاسلامية ويقلّبوها كنايس للعبادة الفاسدة والديانة القبيحة الردية والطايفة الفرنساوية يُعينون حضرة مولانا السلطان على اخذ بلادهم ان شاء الله ولا يبقون منهم بقيّة وننصحكم يا ايّها سكّان الاقاليم المصرية انكم لا تحرّكوا الفتن ولا الشرّ بين البريّة واياكم تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من انواع الاذية فيحصل لكم الضرر والبلية فاذًا لا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا كلام المسرفين بالفساد في الارض الغير مصلحين فتصبحون على ما فعلتم نادمين وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكلّ الملتزمين لتكونوا في اوطانكم سالمين وعلى اعيالكم واموالكم آمنين لان حضرة السرعسكر الكبير امير الجيوش بونابارته اتّفق معنا انه لا ينازع احدًا على دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شُرع من الاحكام ويرفع عن ساير الرعيّة الظلم ويقتصر عن اخذ الخراج ويُزيل ما ابدعته الظلمة من المغارم ولا تعلّقوا امالكم

بابراهم ومراد وارجعوا الى مالك الممالك وخالق العباد فقد قال نبيّه ورسوله الاكرم الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها بين الأمم عليه افضل الصلوة والسلام

الداعى لكم الفقير السيد خليل البكرى نقيب الاشراف عفى عنه	الداعى لكم الفقير عبد الله الشرقاوى عفى عنه
الداعى لكم الفقير مصطفى الصاوى عفى عنه	الداعى لكم الفقير محمد المهدى الحفناوى الشافعى عفى عنه
الداعى لكم الفقير محمد الامير مفتى المالكى عفى عنه	الداعى لكم الفقير احمد العريشى عفى عنه
الداعى لكم الفقير سليمان الفيومى المالكى عفى عنه	الداعى لكم الفقير محمد الدواخلى الشافعى عفى عنه
الداعى لكم الفقير موسى السرسى الشافعى عفى عنه	الداعى لكم السيد مصطفى الدمنهورى عفى الله عنه

ثم ان امير الجيوش بعد ما طرد ابراهيم بيك وباكير باشا

فى شهر سفر ورجع الى مصر احضر القنصل كارلو وامره ان
يتوجّه الى مراد بيك فى الصعيد ويتكلّم معه ان يُقدم
الطاعة الى امير الجيوش ويكون عضوًا من اعضاء المشيخة
ويتقلّد احكام مدينة جرجة واعمال الصعيد ويكتسب راحته
وراحة البلاد والعباد ويكون له الامان فسار القنصل الى مراد
بيك بذلك الخطاب وفى وصوله ترحّب به مراد بيك غاية
الترحيب وقابله مقابلة الحبيب لان كان هذا القنصل له
مدّة مستطيلة فى مصر وكان محبوبًا من ساير السناجق
ولا سيما من مراد بيك وكان له عنده مبلغ من المال ثم ان
مراد بيك سأله مستخبرًا عن احوال مصر فاخبره القنصل
بكلما دبّره امير الجيوش ثم قال له ان بونابرته ارسلنى اليك
لاجل الاعتماد على اجراء الحبّ والوداد وان تحقن دما العباد
وتكتسب راحة البلاد فقال مراد بيك الى القنصل ارجع
وقل له يجمع عساكره ويرجع الى الاسكندرية وياخذ منا
مصروف عسكره عشرة الاف كيس ويكسب دما اجناده
ويُريحنا من كفاحه وجلاده فرجع القنصل الى مصر واخبر
بونابرته بما سمعه من مراد بيك فغضب امير الجيوش من ذلك
وفى الحال امر الجنرال ديزه المعيّن على اقلم الصعيد بان يسير
بالعساكر الى حرب مراد بيك فاخذ الجنرال اربعة الاف
مقاتل وسار بها الى الصعيد فنرجع ان امير الجيوش بونابرته

فى ابتداء قدومه اخرج العساكر من المراكب الى البرّية فى ثغر الاسكندرية وامر الى سرعسكر البحر انه يبقى مقيمًا فى البوغاظ لحماية الحصون لانه قد احتسب ان لم يتوفّق له فتوح مصر فيحتاجوا الى العمارة واوصاه ان لا يلقى مراسيه فى الميناء بل دايمًا يطوف امام اسكندرية وهو مُشرّع القلوع ثم بعد ان امير الجيوش فتح مصر ارسل الى السرعسكر نجابًا يامره بالقيام وقيل ان ذلك النجاب مات فى الطريق ثم ارسال له نجابًا ثانيًا فلم يصله من العربان وكان السرعسكر ارمى مراسيه فى منية بوقير واطمأن وكانت مراكبه الكبار الحربية ثلثة وعشرين مركبًا ومنهم مركب عظيم وهو المدعو بنصف الدنيا وكان محوله مائة وثمانون مدفعًا وفيه الف من العساكر وكان فيه اموال جزيلة وذخاير ثمنية اسلبوها من تلك الممالك التى تملّكوها كما قدّمنا ذكرها وعند ما كانت تلك العمارة رابطة فى البوغاظ وغافلة عن الايقاظ فدهمتهم مراكب الانكليز على بغتةٍ وبدوا يطلقون عليهم القنابر والمدافع واشتدّ عليهم الحرب يومًا وليلةً فاحترق من تلك العمارة العظيمة اربع مراكب كبار ومن هم تلك السفينة العظيمة والقلعة الجسيمة المسمّاة بنصف الدنيا واستمرّت تتّقد فى البحر اربعة ايّام ومات من فيها من العسكر وسرعسكرها الذى بسوء تدبيره قد هلك واهلك معه نفوسًا كثيرةً

واحتوت الانكليز على اكثر تلك المراكب واستأسرت من فيها من العساكر واكثرهم هلكوا من ضرب المدافع والقنابر ولمّا وصل ذلك الخبر المريع والخطب الشنيع الى امير الجيوش فصار كالمدهوش وصفّق بكفّه ودبّ برجليه واحمّرت مُقلتاه وتسخّط على ذلك الجنرال لعدم اطاعته والامتثال وقال جزاه ما حلّ بهٖ من الوبال وصاحت الفرنساوية ياالها من بلية لقد خابت الامال وهلكت الرجال وذهب الحال والمال لقد امتنع عنّا الامداد وخرمت علينا البلاد وشمتت بنا الاعداء والحسّاد وطمعت بنا الاسلام وزاد علينا الخصام وكان ذلك بدوّ الانكيس واوّل التعكيس وقد ايقنت الفرنساوية بالتهلكة بعد كسب المملكة لحجر الامداد عنهم ونفور الاسلام منهم لان الفرنساوية قد استعملت احتيالات كثيرة وسلكوا مسالك غريرة لاجل الصيرورة كاشتهارهم بالاسلامية ونكرانهم النصرانية واظهارهم للحرّية واقرارهم بالاتّحاد مع الدولة العثمانية وانهم باذنها دخلوا الديار المصرية وانهم مع الاسلام على اخلص طويّة واصلح نيّة ويرغبون راحتهم ويحبّون ديانتهم وكان الفرنساوية مؤانستهم غريبة وطولاتهم عجيبة وكانوا احسن سلوكًا من ساير الجنوس واشتهروا بالامن وطولة البال وطيبة النفوس ونشروا العدل وحسن الاحكام وقد احتووا الشرايع الحقيقية على التمام ومع كلّ ذلك

قلوب الاسلام غير آمنة والاحقاد فى ضمايرهم كامنة ويشتهون لهم المهالك والوقوع فى اضيق المسالك فهذا ما الجاء امير الجيوش الى المخافة فبدأ الاحتيال بحسن الرقّة واللطافة لجذب القلوب وتحصيل المطلوب وكان هذا الامير المشتهر اسد من الاسود ونادرًا فى الوجود رهط من الارهاط العظام حكيمًا عليمًا بمكايد الايّام ۞

ذكر ما صنعه امير الجيوش فى جريان النيل

انه من بعد دخول الفرنساوية الى القاهرة بمدّة قليلة جبر النيل السعيد فاحضر امير الجيوش علماء الديوان وسألهم عن العوايد فى جريان النيل والقوانين وخرّرها عنده ثم امر باخراج العساكر من المدينة الى خارج البلد وان يصطفّوا صفوفًا فى مراتبها واحضر لديه اعيان المدينة وعلماءها والحكّام والتجّار من النصارى والاسلام وركب من منزله الكاين على البركة اليزبكية وركبوا جميعهم معه وخرجت اهالى مدينة القاهرة من ساير الملل وكان موكبًا عظيمًا ومحفلًا جسيمًا يُذكر جيلًا لجيلًا وفرّق مالًا غزيرًا وضُربت فى ذلك النهار مدافع كثيرة من ساير الاماكن ومن القلعة الكبيرة وصنعت الفرنساوية فى تلك الليلة حراقات عظيمة لم تكن صارت فى المدن القديمة وكان امان شاملًا

لكلّ الناس وتخرج النساء والرجال من دون باس وصنع امير الجيوش وليمةً عظيمةً لساير الاعيان والعلماء واهل الديوان والجنرالية والفيسالية وحكّام الخطوط المصرية وقد اعجبت اهل القاهرة تلك الاحوال الباهرة والامور الصايرة

ذكر ما صنعه امير الجيوش فى مولد النبىّ الواقع فى ١٢ ربيع اوّل سنة ١٢١٣

ان اميرالجيوش بعد تملّكه القاهرة فى اثنى عشر ربيع اوّل كان مولد النبىّ محمد فصنع فى ذلك الاوان مولدًا عظيمًا على بركة اليزبكية كعادة اهل القاهرة وكانت ليلة عظيمة لانه صفّ جميع العساكر الموجودة داخل القاهرة صفوفًا بطبولهم والآلات الموسيقية وامر بحراقات عظيمة وضرب مدافع كثيرة وكان احتفالًا عظيمًا ومولدًا فخيمًا وحضر فى الوليمة بمنزل الشيخ خليل البكرى لان هذا المولد مختصّ بالسادات البكرية وذلك مع كامل الجنرالات والفيسالية والعلماء والاعيان واصحاب الديوان ثم اولى الشيخ خليل البكرى منصب النقابة عوضًا عن السيد عمر مكرّم نقيب الاشراف لانه قد كان هرب مع الغزّ الى الشام وقد كان الشيخ خليل البكرى محبًّا لجمهور الفرنساوية فلاجل ذلك بغضته الاسلام المصرية

ذكر العيد الذى صنعه امير الجيوش للمشيخة في ربيع ثانى سنة ١٢١٣

انه حين دخل شهر ربيع الثانى صنعت الفرنساوية عيدًا عظيمًا للمشيخة فى البركة اليزبكية وذلك انهم اصطنعوا عامودًا طويلًا مرصّعًا وغرسوه فى البركة اليزبكية وصوّروا عليه صورة سلطانهم وصورة زوجته اللذين قتلوهما فى مدينة باريز ثم جعلوا من العامود الى البرّ اخشاب مثلّثة الالوان وصوّروا عليها صورة الموقعات التى حدثت فى برّ امبابة وفتوح القاهرة وصورة الاشخاص المحاربين من الفريقين وصورة ايوب بيك المقتول فى هذه المعركة ومن مات من الغزّ وانهزامهم وكلما تمّ فى هذه المعركة وكانوا يقولون ان هذه شجرة الحرّية واما اهالى مصر كانوا يقولون ان هذه اشارة للخازوق الذى ادخلوه فينا واستيلايهم على مملكتنا واستمرّ هذا العامود نحو عشرة اشهر وحينما رفعوه استبشرت اهل مصر وابتهجت بالفرح وكانت الفرنساوية تصنع هذا العيد اينما وجدوا بفرح عظيم فى كل سنة

ذكر امير الحجّ لما خرج فى الحجّ قبل دخول الفرنساوية

انه فى سنة ١٢١٢ خرج الحجّ الشريف من مدينة مصر وكان صالح بيك اميرالحجّ وبعد رجوعه من الزيارة الشريفة فى الطريق وصلت له الاخبار عن دخول الفرنساوية

الى الديار المصرية وخروج الغزّ فبكا صالح بيك على خراب اوطانه وتفرّق خلّانه وذهاب ماله وسبى اعياله وغاص فى بحر الافكار وخاف من رجوعه الى تلك الديار وصار حايرًا من تلك المصايب وفرقة الحبايب وقطع رجاه والامل ولم يعرف كيف العمل واخذ بالمشورة مع اصحابه وخلّانه فثبت رأيه ان يتوجّه الى القدس الشريف محبته الحجل المنيف (١١) ولم يزل سايرًا بعزم ضعيف الى انْ وصل الى القدس الشريف فحينما شاهدوه اهالى المدينة بدوا يشتمون ويقولون لعنكم الله يا ملاعين ويا اظلم الظالمين سلّمتم مدينة الاسلام الى الفرنساوية اللئام وهربتم من وجه الكفّار وابتديتم تخربوا هذه الديار فلما سمع صالح بك تلك الشتايم المغمّة والالفاظ المسمّة فاتّقدت بقلبه النيران وغاص فى البحران ونزل فى منزله وهو مثل النشوان ومرض جملة ايّام من قهره ثم توارى فى قبره وهكذا جرا الى ابراهيم بيك ولمن معه لما حضروا الى اراضى الشام فكانوا يسمعون من الناس غليظ الكلام وقد ذاقوا المشقّة والاتعاب وقضوا الاهانة والعذاب فى البرارى والقفار من الذلّ والاضرار وكانوا اهالى الشام يعيّرونهم فى الكلام ويلومونهم وهم لا يستحقّون الملام وما كانوا يدرون بما قاست الغزّ فى الحرب والصدام من الكفرة اللئام وكانوا يظنّون ان الغزّ هربت من تلك البلدان من

دون حرب ولا طعان ولم يدروا ما جرى عليهم من اوليك الشجعان فهذا ما كان من الغزّ بارض الشام واما ما كان من امير الجيوش فان بعد قيام الفرنساوية بمدّة طويلة في مصر علموا ان عداوتهم في سراير الاسلام مستكنّة فلذلك لم تكن قلوبهم مطمأنة وكانوا يخشون تسلم كتاباتهم للسعاة من اهل تلك البلاد فامر امير الجيوش بابطال السعاة من مصر الى البنادر وكانوا يرسلون المكاتيب في المراكب وكانوا يضعون فيها عدّة من الصلدات لان المراكب كانت لاهل تلك البلاد والنوتية منهم ومن كون ان اهل تلك البلاد عازمين على ضرر الفرنساوية ومصمّمين على تلك النية فكانوا يضيعون كثيرًا من الصلدات مع الذين يسافرون الى البنادر فالتزم امير جيوش ان يبطّل ذلك ورجّع السعاة من اهل البلاد كالمعتاد وقد كنّا ذكرنا ان امير الجيوش حينما تسلّم مدينة الاسكندرية قلّد السيد محمد كريم لتدبير امور البلد كعادة في ايّام مراد بيك ففي ذلك الزمان وقع منه مكاتبة الى مراد بيك يحثّه على الحضور الى الاسكندرية لكي يسلّمه البلد فلما وصلت تلك المكاتيب الى امير الجيوش فسّرهم وفهم ما فيهم وفي الحال ارسل الى الجنرال الحاكم في الاسكندرية بان يقبض على السيد محمد كريم ويرسله له وحين حضر السيد محمد كريم قدّام امير الجيوش سأله عن

تلك الكتابات فانكر ذلك فاخرج له اياهم وحين نظر كتاباته
صار مذهولاً ولم يعلم ماذا يقول فامر امير الجيوش بارساله الى
شيخ البلد وقد اتت العلماء والاعيان يترجّونه باطلاقه
فاجابهم ان قد عرض امره على الشريعة وحكمت عليه بالموت
ودفعوا عنه خمسين كيس فلم يقبل ذلك وقال لهم ان
شريعتنا لا تقبل الرشوة ولا يقدر احد ان ينقذه من الموت
حتّى ولا امير الجيوش لان الشريعة اذا حكمت على احد
بالموت فلا بدّ له من ذلك ثم اعرض عليهم تلك الكتابات
واحضر السيد محمد كريم وقال له هذا خطّك قال نعم
ثم رجّعه الى السجن الى ان انصرفت العلماء وامر بان يمضوا
بالسيد محمد كريم الى ساحة الرملة ويطلقوا عليه الرصاص
وكان وهو ساير ينادى يا امّة محمد اليوم بى وغدا بكم وحين
قتل كان حزن عظيم عند المصريين ومن ذلك الوقت تنافرت
قلوبهم بالزيادة وقد كانت الانكليز بعد تملّكهم عمارة
الفرنساوية قد ربطت عليهم البواغيظ وحاصرتهم فى الديار
المصرية فارسل سرعسكرهم واعلم ملكهم بذلك الاقتدار
فهاجت المملكة واستبشرت بالانتصار وهيجوا معهم الدوَل
الافرنجية واستنهضوا لمحاربة الفرنساوية ومن حيث ان
الجمهور الفرنساوى قد قهر ساير الممالك الافرنجية وظفر بهم
وسلب اموالهم وتملّك منهم مُدُناً وقِلاعًا حصينةً وذلك

ببطش مقدمهم وناشر اعلامهم الغرد الظاهر والليث الظافر امير جيوشهم بونابرته وقد ترك فى ساير الاقاليم الافرنجية مخافة قلبية سيما بعد اطلاعهم على التملك فى الديار المصرية ولكن حين بلغهم ما فعلت بهم الانكليز وان قد ربطت عليهم البواغيظ فقويت قلوبهم واملوا بنيل مطلوبهم فصمموا النية على طرد العساكر الفرنساوية التى قد كان تركها فى الاقاليم الافرنجية واشهر الحرب ملك النمسا واستنهض معه ملك بروسا ونهضت ممالك ايطاليا مع رومية الكبرى هذا ما كان وسياتى الكلام عنه فى غير مكان وقد ذكرنا ان الفرنساوية حين تملكوا مالطه ابقوا بها ستة الاف من العسكر واصحبوا عوضها وفى هذه الايام توجهت الانكليز الى تلك البواغيظ وحاصرت مدينة مالطه اشد حصار الى ان اضر بهم الجوع وايقنوا بالجوع فتسلموا الانكليز المدينة بالامان وقويت شوكة الانكليز فاشتد باسهم فى تملك مالطة لانها بالقرب من الاسكندرية

ذكر ما تم فى ممالك الدولة العثمانية

انه عندما شاعت الاخبار بان الفرنساوية تملك الديار المصرية هاجت جميع ممالك الاسلام لمحاربة الفرنساوية اللئام وصاحوا يا غيرة الدين وحماية المؤمنين واستنهضت الدولة

العلية والسدّة الملوكية لاستخلاص الديار المصرية وابرزت الاوامر والاحكام وساير الباشاوات والحكّام تستنهضهم للمغازاة عن دين الاسلام وقد حضرت الاوامر الشريفة الى احمد باشا الجزّار بالمغازاة على هولاء الكفّار ويكون سردار العسكر وكان امير الجيوش بونابرته حين بلغه استنهاض الاسلام الى تلك الديار فاستدرك الامر بكتابات الى الجـزّار واستدعا باحد الكوميسارية وارسله الى دمياط لكى يسير فى مركب الى عكّا وكتب كتابًا الى الجزّار على هذه الصورة بعد الترجمة انه من المعلوم عندكم اتّحاد الدولة الفرنساوية مع الدولة العثمانية بالحبّ والصدوقية منذ اعوام عديدة ثم لا يخفاكم عداوتنا مع دولة الانكليز وسطاها على بلدانينا التى فى اراضى الهند فاضطرنا الى الحضور الى هذه الاقطار المصرية وذلك باذن الدولة العثمانية وبارادتها الكلّية اوّلًا لقطع شجرة المماليك العُصاة على الدولة العلية ثانيًا لكى بعد قطع هولاء الظالمين وتمهيد المملكة وخلاصها من يد القوم الفاجرين فنسير الى الاقطار الهندية لتخليص بلادنا وارضنا من الدولة الانكليزية وها نحن مباشرين فى قرض المماليك العصاة على السلطان وما اتينا الّا اننا نحامى عن المسلمين ونرفع شرايع الدين ونسيّر محمل الحجّ الشريف الى المقام المنيف ونبقى السكّة والخطبة باسم حضرة محبّنا السلطان سليم دام بالعزّ

والتنعم فبنا على ذلك اصدرنا لكم هذا الكتاب لتعلموا منا حقيقة السبب الداعي لهذا الاياب وتكونوا من قبلنا في حين الامان وغاية الاطمأن وتفتحوا البنادر وتسيّروا المتاجر لعمار البلاد وراحة العباد والسلام ثم توجه ذلك الكوميسارية المدعو باظان من مصر الى دمياط ومن هناك توجّه في مركب احمد باشا الجزّار الذي كان رابطا في الميناء واصحب معه ترجمانا. واثنين من التجّار ولما وصل الى اسكلة عكّا فكتب الكوميسارية باظان الى الجزّار يعلمه عن قدومه من طرف امير الجيوش بونابرته ونزل القبطان الى عكّا وحينما دخل امام الجزّار فسأله عن مصر وعن احوالها وعن سبب خلاصه من مدينة دمياط فاجابه القبطان ان الفرنساوية اطلقوا سبيلي وحضر معي كوميسارية من طرف سرعسكرهم بكتابة وهو الان معي في المركب ثم اعطاه كتاب الكوميسارية باظان فلما فهم الجزّار ذلك الخطاب اشتدّ به الغيظ والغضب وقال للقبطان وجّه هذا الكافر ودعه يسافر وان لم يرجع في الحال من هذه الديار احرقته بالنار ثم سأله من الذي اتى معه فقال له القبطان ليس معه سوى ترجمانه واثنين من التجّار وهم نصارى من ابناء العرب فقال الجزّار اخرج التجّار بارزاقهم الى البلد ودع الكافر حالا يسافر ورجع القبطان الى المركب واعلم الكوميسارية بما سمع من الجزّار وفي الحال احضر

له مركبًا صغيرًا ورجع الى دمياط من غير تأخيـر وقبض الجزّار على تلك التجّار وكان بين الجزّار وبين الفرنساوية عداوة قديمة وبغضة جسيمة من طرد قناصلهم من بلاده فلهذا السبب ما كان يودّ منهم اماتًا ثم ان الجزّار ابتدا يحرّر الى ساير الاقاليم المصرية ويستنهضهم على القيام على الفرنساوية وكانـوا الغزّ الذين حضروا الى برّ الشام تهيّج الفلّاحين والعربان لذلك المرام ويكتبوا لهم على النهوض والقيام وقد تظاهرت المصريون فى العصاوة والاسيّة على الطايفة الفرنساوية وقامت الاربع اقاليم المصرية القبلـيـة والبحريـة والغربـيـة والشرقية وكان فى كلّ وقت يقع الخصام بينهم وبين الجنرالية من الاربع الجهات المصرية وتُحرق البلاد وتهلك العباد الى ان هلك عربان كثيرة العدد ومن فلّاحين البلد وامّا ذلـك الكوميسارية الذى رجع من عند الجزّار فانه وصل الى دمياط وفى الغد سار الى مصر واخبر امير الجيـوش بمـا تمّ له من الجزّار فاشتدّ بالغضب من ذلك السبب وبدأ من ذلك الحين يباشر بتجهيز السفر وما يحتـاج اليه من الاستحضار وقد كنّا ذكرنا ان فى المنصورة اقام من الفرنساوية ما ينيف عن مأية وثلاثين صلدات وفى ذلـك الوقـت بـدت أهـالى البلد يتشاورون على قتلهم واذ كانت هذه البلدة بعيدة عن مدينة مصر وبرّها مُتّسع وعربانها كثيرة وقد كان

فى كلّ جمعة نهار الخميس يصير السوق ويجتمع فيه كثير من الناس لاجل البيع والشرا ففى احد الايّام قامت اهالى المدينة وكبسوا اوليك الصلدات الفرنساوية وانتشب الحرب بينهم واذ تضايقت الفرنساوية وكاد يخلص ما عندهم من البارود فخرجوا الى البرّ ونزلوا فى احدى المراكب فتكاثرت عليهم اوليك العوالم المجتمعة فى يوم الخميس وقد كان ذلك الوقت ايّام جبر النيل فلم تسير معهم المراكب والترموا بالرجوع الى البرّ وقصدوا يسيروا برًّا الى مصر فلم تمكّنهم اوليك الامم واورثوهم مواريث العدم ولم يزالوا يكافحون وعن ارواحهم يدافعون الى ان قُتلوا عن آخرهم ولم يبق بقيّة من اوليك الصلدات الفرنساوية وحين وصلت الاخبار فاشتدّ بامير الجيوش الغيظ والغضب وامر الجنرال دوكا بان يتوجّه الى المنصورة ويُحرقها ويقتل كلّ من بها فسار الجنرال بثلثة الاف صلدات وحينما بلغ اهالى المنصورة قدومه فهربوا منه ولم يبق الّا القليل وحين وصوله رأى البلد خرابًا وتقدّم اليه اوليك الباقون وابتدوا يعتذرون له بقولهم انّ اهالى المدينة ليس لهم ذنب بذلك الصنيع وانما صدر ذلك من الفلّاحين والعربان لكثرتهم فى ذلك الميعاد من كلّ البلاد وان اهل المدينة حيث تحقّقوا ان ليس لهم اقتدار عن منع اوليك الاقذار فرّوا هاربين خوفًا من الفرنساويين فلمّا سمع الجنرال

ذلك الكلام قبل اعتذارهم وعفى عن خراب ديارهم وامرهم في الرجوع والطاعة والخضوع ثم ان الجنرال دوكا صنع ديوانًا وقال لهم انني مامور من امير الجيوش بان أُحرِق هذه المدينة واقتل كلّ من وُجِد بها ولكنني قد قبلت عذركم وصفحت عن ذنبكم ولكن من حيث ان قبل ما تقع هذه الشرور ما اعرضتم عنها انتم مُطّلِعين عليه من حقايق الامور مع انكم تعرفون رداوة اهل البلاد وما هم عليه من العناد فيلزمكم ان تدفعوا جريمة قصاصكم اربعة الاف كيس فدًا دماكم فقبلت الرعيّة ذلك المقال وفي مدّة قليلة اوردوه المال وبعد ذلك ارسل الجنرال دوكا واعرض على امير الجيوش ما تدبّر فرجع له الجواب بان يامر اهل تلك الاقاليم ان يرفعوا بيراق الفرنساوية على روس المواذن وكلّ بلد لا ترفع ذلك السنجاق حالًا تُحرق وقد كنّا ذكرنا انه حين دخل امير الجيوش الى القاهرة ورتّب امورها وقلّد الجنرالية الاحكام في الديار المصرية وارسل الجنرال ويال الى مدينة دمياط فهذا الجنرال كان ذا مكر واحتيال وبطل من الابطال فلمّا استقرّ في مدينة دمياط احضر اليه سبعة انفار من التجّار الكبار واقامهم لتدبير البلد وتلك الديار ثم رتّب اغا انكشارية واقام واليًا للبلد ومحتسبًا للديوان ورتّب الترتيب القديم واحضر شيخ قرية الشعرا وهي بالقرب من مدينة دمياط والبسه فروًا وقلّده

سيفًا واحضر لديه شيخ اقليم المنزلة المعروف بالشيخ حسن طوبار وقلّده سيفًا مذهّبًا وهذا الشيخ المذكور كانت اهالى تلك الاقاليم تمتثل رأيه وتقتدى به وبعد ما تقلّد ذلك الالتزام اتت اليه الكتابات من احمد باشا الجزّار ومن ابراهيم بيك وبها يحثّوه ان لا يقبل الفرنساويين فى ارضهم وان يستنهض اهالى الاقاليم ضدّهم ويكون مجاهدًا فى حربهم وكانوا فى كتاباتهم له يوعدوه بسرعة وصولهم اليه بالعساكر الوافرة ومن ذلك السبب تشاهر هذا الشيخ المذكور فى خبث النيّة ضدّ الفرنساوية وقد استنهض اهل تلك القرايا الذين حوله وعقدوا رأيهم ان يجتمعوا فى قرية الشعرا بالغرب من دمياط ويكبسوا الفرنساوية ليلًا واوصلوا العلم مع اهالى دمياط واتّفقوا جميعًا على ذلك الرباط وفى شهر ربيع الثانى كبست الرجال البلد ليلًا وقد كان مسكن الفرنساوية فى الوكايل التى على البحر وهجموا بضجيج عظيم وعجيج جسيم وهم ينادون اليوم يوم المغازاة من هولاء الكفّار ومن يتبعهم من النصارى اليوم ننصر الدين ونقتل هولاء الملاعين فانتبهت الفرنساوية من المنام واستعدّوا للحرب والصدام والتقوا فى تلك الامم واورثوهم مورث العدم واصطفّوا صفوف وضربوهم بالرصاص والسيوف ومنعوهم عن الدخول وكانت ليلة مرعبة ونار

ملهبة فلله درّهم من الرجال ما اشدّهم بالحرب والقتال لان كانت تلك الامم تدرهم اضعاف فكسروهم بلا خلاف واوردوهم موارد التلاف وقبل ان يطلع النهار اخرجوهم من البلد قوّةً واقتدارًا الى البرّ والقفار ورجعوا الى قرية الشعرا خاسرين وفي امورهم حايرين وكان قد وصلت الاخبار عند طلوع الشمس الى اهالى الغربة وهي قرية صغيرة عند بوغاظ البحر المالح ان المسلمين كبست دمياط وقتلوا اوليك الكفّار ولم يبقوا منهم اثار وقتلوا جميع نصارى البلد ولم يبقوا منهم احد وكان في قرية الغربة خمسة انفار من الافرنج فهجموا عليهم وقتلوهم وقدم مركب فيه ثلثة انفار فقتلوهم ثم هجموا على قلعة الغربة وكان بها عشرين من الفرنساويين فاغلقوا الابواب وارموهم بالرصاص فرجعوا عنهم خاسرين وعند نصف النهار تحقّقت الاخبار بان الرجال المسلمين رجعوا منكسرين والفرنساوية في دمياط مقيمين فندم اهل الغربة على تلك الفعال وخافوا على الحريم والعيال وفي ساعة الحال جمعوا اموالهم واخذوا عيالهم وانحدروا في المراكب هاربين والى نواحي عكّا قاصدين ووصل الخبر الى دمياط بما صار في الغربة من الاختباط فركب الجنرال وبال الى الغربة فلم يجد بها احدًا فنهبوا ما وجدوه واحرقوها بالنار ورجع الى دمياط وابتدات الافرنج تبني في الغربة حصونًا للعساكر ثم بعد

رجوع الجنرال ويال الى دمياط بلغه ان لم تزل اهل تلك البلاد مجتمعين وفى قرية الشعرا متيمين فعزم الجنرال ويال على المسير اليهم والقدوم عليهم وامر بان المجاريح والمرضى من الافرنج ينزلوا الى المراكب خوفًا من مسلمين البلد ومما يتجدد وحين شاهدت النصارى ان الفرنساوية عازمين على تخلية البندر فساروا الى ذلك السرعسكر وقالوا له ما يحل لك ايها الجنرال ان تذهب وتلقينا بايدى هولاء الاشرار لانّنا قد سمعنا منهم امرارًا قايلين اقتلوا النصارى قبل الفرنساوية لانّهم متّحدين معهم سويّةً فلمّا نظر الجنرال ويال ما حلّ بالنصارى من الخوف والوبال انثنى عزمه عن القتال وكتب الى الجنرال دوكا حاكم مدينة المنصورة يطلب منه الاسعاف فوجّه له ماية وخمسين صلدات وحين حضروا سار بهم الى قرية الشعرا بعد ما ترك اجناده فى دمياط وحين وصل الى الشعرا انهزمت منه تلك الجموع فاحرق البلد وقتل من وجد بها ورجع الى دمياط بقوّة ونشاط وصنع شنلك عظيم ونشر البيارق علامة الانتصار ونكس البيراق العثمانى الذى كان ناشره سابقًا حيث كان قد امر امير الجيوش ان فى كلّ مكان توجد الفرنساوية فلينشروا سنجاق الدولة العثمانية وبعد ايّام يسيرة حضر الجنرال دوكا الى دمياط وعقد المشورة مع الجنرال ويال على اخذ الجيزة وبلدة

المنزلة ثم رجع الجنرال دوكا الى المنصورة ومن هناك سار بالعساكر الى البحر الصغير قاصدًا اقليم المنزلة فخرجت له عربان ذلك البرّ فى محلّة يقال لها الجملة والتقى فى جماعة وفيّة وفرسان قويّة فصادمهم هذا الشجاع والقرم المنّاع وشتّت عسكرهم وافنى اكثرهم واحرق تلك البلدة ثم سار الى المنزلة فحين بلغ الشيخ حسن طوبال قدوم ذلك الاسد المغوار فارتج رجةً عظيمةً وطلب الهزيمة وفرّ من ساعته الى الاقطار الشامية وعندما وصل الجنرال دوكا الى بلدة المنزلة التقته اهلها وقدّموا له الطاعة واخبروه بانهزام الشيخ حسن طوبال فاعطاهم الامان واحضر اخا الشيخ حسن طوبال واقامه شيخًا على تلك الديار وضبط القوارب التى كانوا يسيرون بها من المنزلة الى دمياط فى البحيرة المالحة وارسل تلك القوارب الى دمياط وكانت كثيرة فى العدد تنوف عن خمسة الاف وقد امنت الافرنج فى دمياط من نواحى اقليم المنزلة لان قد كان حسن طوبال منتظرًا قدوم عساكر الجزار ليركب بتلك القوارب ويأتى بها الى مدينة دمياط وبعد ايّام يسيرة رجع الجنرال دوكا الى المنصورة من بعد ما حارب فى طريقه عربانًا كثيرة الذين كانوا يقصدون حربه ويقفون فى دربه واستمرّ اقليم المنزلة وبرّ دمياط طايعًا للفرنساوية والعداوة فى ضمايرهم مخفيّة وقدّمنا الشرح فى تحكّم

الجنرالات الفرنساوية فى الاقاليم المصرية فكان لجنرال ميراد قد قلّده امير الجيوش احكام اقليم القليوبية وكان هذا الجنرال ذا شجاعة فى القتال قوىّ البطش فى الحرب والجدال وحين سار فى العساكر القوية الى اقليم القليوبية وكان هذا اقليم اصعب الاقاليم لكثرة عربانه العُتاة وقومه العُصاة وبراريه الواسعة ووديانه الشاسعة فهذا البطل الشجاع اطاعته آل تلك البقاع والاصقاع من بعد ما اذاقهم حروب شديدة واحرق بلدان واهلك عربان وبحروب كثيرة افنى قبايل غزيرة وكان شيخ هذا الاقليم يدعى الشيخ الشوارنى وكان يجمع خلقًا وافرًا وبلده كان بعيدًا يومًا عن القاهرة وكان من القوم الجبابرة وعربان اقليمه فاجرة فالتزم ان ينكس هامًا ويطيع قهرًا وارغامًا ثم ان هذا الجنرال من بعد ما تملّك هذا الاقليم جمع الاموال الميرية والترتيبات السلطانية ورجع الى مدينة مصر بكلّ عزّ ونصر وامّا الجنرال لانوس حاكم الاقليم المنوفية والجهات الغربية فهذا الجنرال سار الى مدينة منوف ومكث بها وجمع الاموال منها ومن القُرى والجبال وفرّق عساكره على بلدانها واطاعته جميع سكّانها وهذا الاقليم كان الين الاقاليم واهونها واجملها واحسنها ولم يحتاج هذا الجنرال النبيل الّا لحرب قليل لان كان اغلب اهالى الارض المصرية هابت شجاعة الفرنساوية ورجعت قلوبهم من شدّة

حروبهم لان الفرنساوية من بعد دخولهم الى الديار المصرية وحريق عمارتهم على بوغاظ الاسكندرية انقطع امالهم من الامداد مع ما شاهدوه من الكره من اهالى البلاد وما لهم فى قلوبهم من البغض والاحقاد فكانوا ينفّسون الصُعداء من صميم الفواد ويهجمون ولا يهابون كثرة العدد ويحاربون بامور حكمية وفنون علمية وقلوب صخرية غير هايبين الموت ولا خاشيين الفوت ومكث هذا الجنرال فى اقليم المنوفية مدّة وفيّة وجمع الاموال الميرية ومهّد البلاد وطمّن العباد ورجع الى مدينة مصر بعزّ ونصر وقد ترك فى مدينة منوف وكيلاً عوضًا عنه وقد ذكرنا ايضًا ان الجنرال ديزه تقلّد من امير الجيوش بونابرته اقليم الصعيد وقد تعيّن بالعساكر لحرب مراد بيك وبعد ما فرّ مراد بيك الى الصعيد قد ذكرنا عن توجّه القنصل لعنده من امير الجيوش فى الخطاب وما كان من الجواب فامر امير الجيوش الجنرال ديزه بالمسير بالعساكر اليه وكانت اربعة الاف مقاتل وكان مراد بيك قد تجمّع عنده الجيوش من الهوارا (١٥) والفلّاحين والعربان الى المنية وكانت مسافة ثلاثة ايام عن القاهرة واجتمع اليه ما ينيف عن عشرين الفًا وكان فى برّ الصعيد عدّة من المماليك الهاربين تحضروا لعنده وحضر ايضًا حسن بيك الجرداوى وعثمان بيك مماليك على بيك الكبير وهولاء كانوا مطرودين من الغزّ

وعندما تقابلوا مع مراد بيك تصالحوا واخلصوا الوداد وتركوا الاحقاد وغفروا السيئات وصفحوا عما فات وقراوا الفواتح على المغازاة فى سبيل الله وصاحوا يا غيرة الدين ونصرة المسلمين الله اكبر على هولاء الكافرين واستعدوا غاية الاستعداد لملاقاة الاعداء والاضداد وكانت الغز افرس الفرسان فى ركوب الخيل والحرب والطعان وكان الجنرال ديزه ساير اليهم فى العساكر وهو غير فاكر الى ان وصل اليهم وكشف عليهم فوجدهم جيوش كثيرة وطموش غزيرة فصفّ عسكره صفوف بالترتيب الموصوف وقرع الطبول النحاسية وتقدّم بالعساكر الفرنساوية واطلق مدفعًا واحدًا للتنبيه ثم امر باطلاق ثانية فنهضت الغز والعربان نهوض الاسود والشجعان بالسيوف الهندية والرماح السمهرية على ظهور الخيل العربية وانقضّت انقضاض الغربان الى حومة الميدان وصرخوا اليوم يوم المغازاة وترك النفوس والمعاداة وحملت العربان والغز والفرسان واندفقت على الفرنساوية اندفاق البحور العرمرمية وتساقطت من الجبال سقوط الصواعق العلوية حتّى خيل للناظرين ان الجبال تزعزعت والتلال تمزّقت وانتشب الحرب والقتال وابتدا ذلك الجنرال يروغ روغ المحتال حتّى تملّك فى المجال ودهمهم بالقنابر والكلل والرصاص الغير المحتمل وبدأ يريهم فنون الحرب الغريبة وانواع الاهوال العجيبة التى لم

تدركها العربان ولا تعرفها الغزّ والفرسان وصاح بهم صيحة الاسد الغضبان فى تلك الجبال والوديان حتّى لم يعودوا يقدروا على الثبوت تجاه ذلك الهموت وزجمتهم اوليك الاسود حتّى ملكوا متاريسهم واشهروا تنكيسهم وشتاتهم فى الجبال والتلال بشدّة الحرب والقتال وملكوا مدافعهم واعلامهم ومضاربهم وخيامهم وكسروا تلك الجماهير بقوّة العزيز القدير وذهب مراد بيك مع عزوته الى اعلا الصعيد وهو متحيّر من صلابة هولاء الصناديد وقوّة قلبهم الشديد وفنونهم العجيبة وشجاعتهم الغريبة ودخل الجنرال ديزه الى مدينة المنية واقام بها وحصّن قلاعها وابراجها وبدأ يسيروا مراد بيك مرحلة بعد مرحلة الى محلّ يقال له الاهون وهناك حدثت بينهم وقعة عظيمة وكان قد تجمّع مع مراد بيك جموع كثيرة وطموش غزيرة فشتّتهم ذلك الجنرال فى البرارى والقفار ولم يزل ذلك الجنرال يقاتل فى اقليم الصعيد حتّى اطاعه الشيخ والوليد وهابته الاسياد والعبيد وهرب منه مراد بيك الى مدينة اصوان ثم الى بريم ومن هناك رجع الجنرال ديزه الى الصعيد ودبّر الاقليم المذكور برأيه السديد وامر فى بنيان الحصون الرفيعة فى جميع تلك المدن المنيعة ثم انه جبى الاموال الميرية والمعالم السلطانية ورتّب الصعيد ومهّد ذلك الاقليم غاية التمهيد وكلّ مراد

بيك من حروب الفرنساويين من بعد حروب عديدة واهوال شديدة وكان حينما بلغ اهالى الحجاز دخول الفرنساوية الى الديار المصرية فارتجّت سكّان تلك الارض وماجت واضطربت وهاجت فتحرّك من الاشراف السيّد محمد الجيلانى وقد جمع سبعة الاف اماجيد وحضر بهم الى الصعيد واجتمع اليه العربان من اهل تلك البلدان عشرة الاف من غير خلاف وظهر امره واشتهر خبره فبلغ الجنرال ديزه قدوم ذلك العسكر فما هابه ولا تفكّر بل انه كبس عليهم بالليل بكلّ قوّة وشدّة وحيل فما سلم منهم غير القليل والذى سلم تشتّت فى البرارى والقفار وبليوا بالذلّ والدمار ومات فى تلك الوقعة السيّد محمد الجيلانى اذ كان هو على نفسه جانى لانه كان يزعم انه يحذف الرمال والغبار فى وجوه الكفّار ويُعمى منهم الابصار ويقبض عليهم باليد فخاب منه الكدّ والجدّ ثم بعد مدّة تجمّع الذين سلموا ورجعوا يُفسدون فى البلاد ويستنهضون بالعباد فارسل عليهم الجنرال ديزه شردمة من العسكر فهزموهم فى البرّ الاقفر وبعد ذلك راق الصعيد من محاربين الفرنساوية واطمأنّ حال الرعيّة واحبّوا الجنرال ديزه محبّة عظيمة لاجل سلوكه واحكامه المستقيمة وكان يحبّ العماير الملاح كريم بالعطاء والسماح وكان رهطًا من الارهاط العظام ونظم اقليم الصعيد احسن

نظام وقد كان عنده من الاقباط المباشرين يعقوب الصعيدى وهو رجل شديد البطش مشهورًا بالفروسية والهمّة القوية وهو الذى عند سليمان بيك وكان الذين خدموا من النصارى اوّلهم الرجل السافرلى المدعو باترو وهذا الذى كان يدعونه اهل مصر فريد الزمان لما عنده من العلوم والفصاحة والقوّة والشجاعة وكان يعرف فى جميع اللغات وفاق بالحسن عن حدّ الصفات وكان قد خدم عند الفرنساوية وانقاد اليه جماعة من الغزّ المماليك واحتموا به ثم الرجل الرومى المدعو نقولا قبودان فهذا المذكور كان خادمًا عند مراد بيك ومتروّسًا على عدّة عساكر ومراكب فى بلدة الجيزة وكان شابًّا موصوفًا بالشجاعة وهذا المذكور كان متسلّم المتاريس فى عسكر الاروام حين دخلت الفرنساوية الى برّ امبابة وامتلكوا القاهرة ولمّا امتلكت الافرنج المتاريس التى نفسه فى بحر النيل وطلع الى مصر ثم خدم المشيخة واما الذين خدموا الفرنساوية من الاسلام فهم كثيرون فى العدد كالمقدّمين والقواصة والمترجّمين

ذكر ما حدث بمصر

انه من بعد ان مكثت الفرنساوية فى المملكة المصرية مقدار ثلاثة اشهر فكان المسلمون يظنّون ان تورد لهم الاوامر من

الدولة العثمانية بتقريرهم على المملكة حسبما كانوا يشيعون انهم حضروا الى مصر بارادة السلطان سليم وكانوا يوعدونهم في وزير الى القلعة السلطانية من طرف الدولة العثمانية وقد كان يخبّر امير الجيوش بقدوم عبد الله باشا العظم من الشام الى مصر واعدّ له منزلًا لينزل به وامر بتدبيره وفرشه واذ مضت المدّة المعيّنة ولم يحضر احد فتسبّب من قبل ذلك اسباب كثيرة للنفور وابداع الفتن والشرور من قتل السيّد محمد كريم لانه كان احد الاشراف ومن ورود المكاتيب من الامراء المصريين بالاستنهاض الى اهل تلك الاقاليم وكتابات احمد باشا الجزّار الى البلدان المصرية واستنهاضهم على الفرنساوية وان قادم عليهم العساكر العثمانية ثم قيام اهالي برّ دمياط والحوادث التي بدّتها العرب والفلاحين وعفو الفرنساوية عنهم وعدم القصاص لهم وقد كان الفرنساوية يُخرجون النساء والبنات المسلمات مكشوفات الوجوه في الطرقات ثم اشتهار شرب الخمر وبيعه الى العسكر ثم هدم جوامع ومنارات في بركة اليزبكية لاجل توسيع الطرقات لمشي العربانات وكان المسلمون يتنفّسون الصُعداء من صميم القلوب ويستعظمون هذه الخطوب وصاحوا لقد آن اوان القيام على هولاء اللئام فهذا وقت الانتصار الى الاسلام فشعر امير الجيوش بما في ضمايرهم وما

اكتموه فى سرايرهم فابرز امرًا لساير حكّام الخطوط بان كلّا منهم يامر بخلع الابواب المركّبة فى الشوارع وفى يوم واحد خُلعت تلك الابواب العظام وبعضها اُحرقت بالنيران فركب امير الجيوش واخذ معه المهندسين ومنهم الجنرال كفرال الملقّب ابو خشبة لان كانت رجله الواحدة مقطوعة من ساقه ومصطنع له رجل من خشب فهذا الجنرال كان اعظم المهندسين فى مملكة الفرنساوية وبدأ امير الجيوش يجول بهذا الجنرال على ساير الاماكن التى حول دايرة مصر وغرس على راس كل مكان بيرقًا اشارةً لبناية القلع فاذا شاهدت الاسلام هذا الاهتمام تحرّكت للقيام وبدوا ينادون متبادرين الى الجامع الاكبر المعروف بجامع الازهر وهناك عقدوا المشهورة وابرزوا ما بالضماير المُضمرة وارسلوا احد الفقهاء فى شوارع مصر ينبّه المسلمين بالمبادرة الى الجامع الازهر حيث اجتمع العسكر وبدأ ذلك الشيخ المذكور يدور وينادى بالجمهور كل من كان موحّدًا ياتى لجامع الازهر لان اليوم المغازاة بالكفّار ونزيل عنا هذا العار وناخذ منهم الثار فبادر المسلمون واقفلت الحوانيت والوكايل لما سمعت صوت القايل ووصلت الاخبار الى ديوى الجنرال بان قامت اهالى البلد من الشيخ الى الولد وكان ذلك فى عشرة جماد الاوّل نهار الاحد فنهض الجنرال المومى اليه والشرار تتطاير من عينيه ظانًّا ان

هذا القيام عليه وان هذا القتال لاجل ما طلب منهم من المال وسار بثمانية انفار ليطمّن اهل تلك الديار ويفرق تلك الجماهير ويسكن روع الكبير والصغير ولم يعرف ان ليس ذلك علّة المال فقط بل هي علل كثيرة الشطط وغزيرة النمط واحقاد كامنة في جوارح القلوب وعداوة لا يدركها سوى ربّ الغيوب وفيما هو ساير في سوق النحّاسين فبرز اليه احد الاتراك وضربه بخشبة على خاصرته فسقط عن ظهر جواده مغشيًّا فحملوه اصحابه ورجعوا به الى جنينة الافرنج القديمة وفي وصوله مات هناك وشرب كاس الهلاك وكانت العساكر الفرنساوية متفرّقين في المدينة ولعدم معرفتهم باللغة العربية ما يكونوا يدرون ما هي الحادثة في المدينة فهجمت عليهم تلك الجماهير من كل ناحية وكانوا يقتلون كل من وجدوه في طريقهم من الافرنج الفرنساوية والملّة النصرانية من المعلّمين والرعيّة وكان يومًا مهولًا عظيمًا وخطبًا جسيمًا ثم هجمت جماهير الاسلام على طور سينا (١٥) فقتلوا البعض من الرجال ونهبوا بيوت النصارى واخذوا ما احبّوا من الحاجات وسبوا النساء والبنات واحتموا بقوّة الرجال داخل دير الطور وكان يومًا مشهورًا وكان اولئك الامم هايجين هيجات وحشية فتهاربت الفرنساوية الى البركة البربكية وكان في ذلك الوقت امير الجيوش في مدينة الجيزة فحضر لما بلغه تلك

الهيجة وفى دخوله التقى مع ذلك الجمهور فولّوا من امامه ووصل الى بركة اليزبكية وفرّق العساكر حول البلد وامر ان تضرب من القلعة المدافع والقنابر وكانت جماهير الاسلام فى باب النصر والنحاسية وخان الخليل وخطّ الازهر والغورية والحمّامين خطّ المغاربة وهذه المحلّات داخل البلد وكانت الاسلام قد بنت متاريس فى تلك الاماكن المذكورة فسقط خوف عظيم على الفرنساوية ودعرهم هذا القيام وداخلتهم الاوهام لمعرفتهم بكثرة الخلايق التى فى مصر لانها كانت تجمع مليونًا من الناس ولا لكثرتهم قياس وضربت الفرنساوية اوليك الجيوش الكثار بالقنابر والمدافع الكبار فتضايقت الاسلام من كثرة الكلل والقنابر والرصاص المتكاثر واستقام الحرب ثلاثة ايّام وفى اليوم الرابع كبست الفرنساوية على جامع الازهر فهربت الاسلام بالذلّ والتعكيس وامتلكوا منهم المتاريس وابلوهم بالضرر وملكوا منهم الجامع الازهر وسلبوا ما كان فيه من الودايع والذخاير وابتدوا بعد ذلك يمتلكون مكانًا بعد مكان الى ان تملكوا اكثر المدينة واختفت الاسلام فى المنازل والجدران والقوا سلاحهم وصاحوا الامان وكانت الفرنساوية كل من يرونه بلا سلاح لا يعارضوه والذى يكون متسلّحًا يقتلوه وحينما نظرت علماء الاسلام ان جيوشهم انكسرت والفرنساوية انتصرت فساروا الى امير الجيوش بعقل

مدهوش وقلب مرعوش واخذوا يترامون عليه بقيام العسكر من الجامع ورفع الحرب من كل مكان والمواضع فبكتهم امير الجيوش بذلك الفعل الذميم والخطب العظيم وكانوا يقسمون له بالله ان ليس عندهم من ذلك اثار ولا علم ولا اخبار بل علة الحال طلب المال وما ثار الا اوباش الرجال فابى امير الجيوش تصديقهم وانكر تحقيقهم ولم يسمح لهم بتخلية الجامع من العساكر واحرف وجهه عنهم وهو متعكر الخاطر فانصرفوا من امامه وهم باكين وعلى احوالهم نايحين وتأسفوا على جامع الكنانة وخراب الديانة ثم في ذلك النهار ارسلوا له الشيخ محمد الجوهري وكان في كل حياته ما كان يقابل احدًا من الحكام ولا يعترض الى امور العوام وفي دخوله قال له ما قابلت حاكمًا عادلًا كان ام ظالمًا والان قد اتيت متوسلًا اليك ان تامر باخراج العسكر من الجامع الازهر وتغفر ذنب هولاء القوم الفجر واتخذني مدا العمر داعيًا لك ناشرًا فضلك فانشرح امير الجيوش من ذلك الخطاب وانعطف وجاوب قائلًا انني عفوت وصفحت عن احبابك لاجل خطابك ثم امر امير الجيوش برفع العسكر من الجوامع واطلق المناداة في المدينة بالامان وعقد الفحص عن الذين كانوا مجتمعين في المشورة على قيام تلك الامور المنكرة فقبض على شيخ العميان الشيخ سعيد والشيخ الذي نادى في المدينة بجمع ذلك الجيش

القديد وعدة فقهاء واناس قلتيه واخذوهم الى القلعة واذاقوهم كاوس المنية وقد كان مات بهذه الوقعة الفين صلدات ومن اهالى المدينة ما ينيف عن خمسة الاف وقد خسرت الاسلام ولم تربح بهذا القيام سوا الذل والاهانة وانفضاح جامع الديانة وكان عندما استعدت اهالى مصر على القيام ضد الفرنساوية كتبوا الى الشيخ الشوارنى شيخ الصعيد يستنجدوه الى اعانتهم وعينوا له زمانا ليحضر به بعشاير العربان وقد اتى فى الميعاد اذ كانت الفرنساوية محيطة بالقاهرة وحين نظروا العربان مقبلة ضربوهم بالمدافع والرصاص فولوا منهزمين لان الفلاحين والعربان لم يكونوا يستطيعوا على مقابلة النيران وحرب اوليك الشجعان ورجعوا بالذل والخسران وحين سكنت تلك الفتن سار الجنرال ميراد الى بلدة قيلوب وقبض على ذلك الشيخ وحرق البلد ثم ارسله الى امير الجيوش فقتله وولى اخاه مكانه ثم اننا قد ذكرنا عن الجنرال المهندس لاجل بناية القلع وبعد ما سكنت تلك المفاسد من اهل مصر امر امير الجيوش فى بناية اربع قلعات بالقاهرة على اربع جهات فالواحدة فى كوم العقارب فوق الناصرية وواحدة فى كوم الليمون فوق اليزبكية وواحدة فى كوم الغريب فوق خط الازهر وواحدة فوق جامع ابى برص خارجا من باب النصر وفى ايام قليلة تمت

الاربع قلع ونقل اليها جبخانة وللمدافع والقنابر وحصّنها بالعساكر وبنى فى القلعة الكبيرة ابراجًا ونقل اليها مدافع كثيرة وارسل اليها الزيت والمشاقة ليرى اهالى مصر ان اذا نهضوا مرّةً ثانيةً يُتلف المدينة بالحراقة وهكذا خبّر علماءهم ان يُخبروا الرعيّة ثم عيّن فى بلد الجيزة من الفرنساوية اصحاب الحرف والذين يسكبون المدافع والكلل وابنى فى امبابة افرانًا لاجل البقسماط وعمّر طواحين فى الهوائى الجيزة وفوق كوم الليمون وكانوا يطحنون ما يكفيهم كل يوم وامر بعمل البارود فى مصر مع ان قد كان معه الجبخانة تكفيهم عشر سنوات اذا كانوا يحاربون كل يوم ثم ان بعد نهاية تلك الحركات التى قد حدثت وقتل الجنرال دبوى شيخ البلد احضر امير الجيوش الجنرال دوسطين وولّاه شيخ البلد على مصر مكان الجنرال دبوى وكان هذا عاقلًا فاضلًا وفرحت اهل البلد بموت الجنرال دبوى لانه كان صعب الاخلاق وبطل لا يُطاق وكان حينما تامت الاسلام على الفرنساوية فهرب محمد اغة الانكشارية وكان ذلك الرجل جبانًا وهذه الرتبة لا يوافقها ذلك لانه يلزم ان يكون اغة الانكشارية بطلًا شديدًا فى الحرب والقراع صاحب مكر وخداع لان عليه ضبط البلد الليل والنهار ولا يسأل عمّا يفعل وبعد هذه الفتنة امر امير الجيوش بعزله واقام عوضه

مصطفى اغا جُربجى وهو من مماليك عبد الرحمان اغا الذى كان قديمًا اغة الانكشارية فى زمان على بيك وحين دخل مصطفى اغا على امير الجيوش لبّسه فروًا فاخرًا وقلّده سيفًا وولاه منصب الاغاوية على الانكشارية وقال له قد بلغنى عن سيّدك انه كان رئيسًا فى الاحكام خبيرًا بالايّام متدبّرًا بالنظام ومُتقنًا وظيفته على التمام فاودّ ان تكون مثله وتقتفى اثره فقبّل يده وانصرف من قدّامه مسرورًا وبالحقيقة ان هذا المذكور اخلف سيّده فى احواله وافعاله وكان صادقًا فى خدمته شديدًا فى همّته وقيل انه قتل مماليك كثيرة كما كان يفعل سيّده فى حكمه وكان ذلك الرجل يكره المماليك وزمرتهم كونهم قتلوا سيّده وكان حينما وجد مملوكًا مستخفيًا فى المدينة يقتله سرًّا لانه كثيرًا كانت تدخل المماليك الى مصر مستخفيين وبعد تلك الحوادث استكفت مصر وكلّت اهلها من الحروب مع الفرنساوية وطاعتهم الطاعة الرغية لما كابدوا من شدّة باسهم وقوّة مراسهم وقد كان الفرنساويون قد جرّبوا اكثر الناس بحسن احكامهم العادلة وعدم ميلهم للمشاكلة وحسن سياستهم وعدم خيانتهم وحبّهم المفرط للمسلمين ورفع المظالم عن الفلاحين وضبط عساكرهم وتواضع اكابرهم وصدق كلامهم وحسن زمامهم وانطلاق الحرّية لساير الرعيّة واعطا الامان فى كل مكان

والتفاتهم العجيب لنظم البلاد وودّهم الغريب لراحة العباد وقد قطعوا اثار اللصوص والنهابين والعربان الخطافين واتقنوا الاحكام باحسن نظام وتظاهروا بالكرم والسخا ورخص القوت والرخا وبدأ امير الجيوش يجهّز الركبة على الاقطار الشامية وارسل القومانية والمدافع والجبخانات الى مدينة بلبيس والصالحية ونبّه على العساكر بتحضير ما يحتاجون من الات الاسفار وقد شاعت الاخبار بقدوم ذلك الجيش الجرّار الى اراضى عكّا وتلك الديار فاسرع احمد باشا الجزّار بتدبير ما يحتاج اليه فى الحصار خشيةً من هجوم الكفّار واستيلايهم على تلك الاقطار وحصّن مدينة عكّا بالابرجة والاسوار ووضع عليها القنابر والمدافع الكبار وحصّن ايضًا مدينة حيفا وارسل الى يافا العساكر وحصّنها بالمدافع والقنابر وامتدّ الى مدينة غزّة بعساكره وعشايره ووصلت جيوشه الى قلعة العريش واقاموا بها واتّصل الايراد الى ساير البلاد وتنبّهت الغزّ للجهاد وفى شهر شعبان سنة ١٢١٣ خرجت العساكر الفرنساوية الى مدينة بلبيس والصالحية وكتب الى الجنرال كليبر ان يتوجّه من دمياط فى البرّ على طريق قطية ويكون قايد العساكر الفرنساوية ثمّ ان امير الجيوش بونابارته من بعد ما سيّر العساكر احضر علماء الديوان ومصطفى كتخدا الذى جعله امير الحجّ والاغا والوالى والمحتسب وقال لهم ان

الغز المماليك الهاربين من سيفي في الاقطار قد التجوا الى
احمد باشا الجزّار المتولّى بتلك الديار فجمع لهم العساكر
وحضروا الى العريش وعازمين على الحضور الى الديار
المصرية لاجل خراب البلاد وقتل العباد وهلاك الرعيّة
فلذلك اخذتني الغيرة واستخرت الله وهو نعم الخيرة
وعزمت انني اسير اليهم بالعساكر واخرجهم من قلعة
العريش بقوّة سيفي الباتر وابذّرهم بتلك البراري والقفار
واجعلهم عبرةً للناظر واقطع اثارهم من تلك الديار بعون
الواحد القهّار واريح منهم مصر وتلك الديار وها قد ولّيت
نايبًا عني وقايمقام في المدينة الجنرال دوكا فكونوا له طايعين
والى كلامه سامعين وشيخ البلد عليكم الجنرال ضوضطين
فعليكم ايّها العلماء والحكّام والاعيان والتجّار ان تنبّهوا على
اهل هذه الديار برفع الاذية والاضرار وان تكون الرعايا
مطمأنين وفي منازلهم آمنين وان كان يبدأ في غيابنا ادنى
حركة من الحركات ضدّ العساكر والصلدات فقد امرت
القايمقام وشيخ البلد وحاكم القلعة ان يهدموا البلد
بالمدافع والقنابر ويقتلوا اهلها بحدّ السيف الباتر فكونوا
على حذر من القضاء والقدر فاجابوه اننا ضامنين وكافلين
هذه الجمهور وعدم حدوث امر من الامور ثم امر الى
مصطفى كتخدا وعلماء الديوان ان ياخذوا الأُهبة للمسير

معه الى العريش فاجابوه بالسمع والطاعة وفى خامس يوم من شهر رمضان ركب امير الجيوش بونابارته فى العساكر وصحبته مصطفى كتخدا والعلماء قاصدًا مدينة بلبيس بالابطال الجبابرة والعساكر الوافرة وحين وصل الى الصالحية هرب امير الحاجّ محمد كتخدا الذى كان سابقًا الى مدينة غزّة ومن هناك سار الى عكّا وحين دخل على الجزّار قال له انت الذى كنت اغة الانكشارية قال نعم ولكننى هربت منهم واتيت اليك فقال له الجزّار ما انت الّا جاسوس ثم امر بقتله وكان العلماء بعد وصولهم الى الصالحية اعرضوا الى امير الجيوش انهم لا يقدرون على الاسفار فى البرارى والقفار فاذن لهم بالرجوع وسار امير الجيوش بتلك الجموع وكان قد امر امير الجيوش لكبار الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ محمد المهدى الباقيين فى مدينة مصر ان يرسلوا مكاتيب لساير الاقاليم ويعرّفوهم عن مسيره للديار الشامية فكتبوا كما امرهم وطبعوها فى المطبعة ووزّعوها على ساير الاقاليم وهذه هى صورتها

صورة الكتابة

فى محفل ديوان مصر الخصوصى الى جميع الاقاليم المصرية نخبّركم ان امس تاريخه خامس شهر رمضان المعظّم

توجّه حضرة الدستور المكرّم سرعسكر الكبير بونابارته امير الجيوش الفرنساوية مسافرًا يغيب مقدار ثلثين يومًا لاجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقيّة المماليك المصرية حتّى يحصل الراحة الكلّية للاقاليم المصرية من هولاء الاعدا الظالمين الذين لا راحة فيهم ولا رحمة فى دولتهم على احد من رعيّتهم وقد وصل الان مقدّمة الجيوش الفرنساوية الى العريش وعن قريب ياتيكم خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك نظير ما وقع فى قطيعة اخيه مراد بيك ومن معه فى اقليم الصعيد فيقطع دابرهم من برّ الشام كما انقطع دابرهم من اقليم الصعيد بالتمام ويبطل القيل والقال وتذهب الكاذبه التى تسمعونها من اوباش الرجال ونخبّركم ان حضرة السرعسكر المشار اليه يتجدّد له كل يوم نيّة الخير والرحمة ويحدث فى تصميم الشفقة والرأفة هذه هى نيّته لكم فى كل آن الاقطار المصرية ويحصل لهم النجاح والصلاح ويكمل فى ساير اقطارها السرور والاصلاح وتفرح اقاليمها على يده سلطانها بونابارته بمشية الله الذى مكّنه فيها ونصره على من ظلم فيها من المماليك المفسدين ولا يتمّ خلاصهم بالكلّية وتتطهر من دولة المماليك الردية الّا ببذل همّته ورأيه السديد فى تكميل نظامها بغنايهم لسيوفه الباترة وتكمل زروعها الفاخرة وانواع تجارتها الباهرة ويُحدث فيها برأيه وحسن تدبيره التمغ

من انواع الحرف والصنايع النفيسة ويجدد فيها ما اندثر من صنايع الحكماء الاولين ويرتاح في دولته كل الفقراء والمساكين فالتزموا يا اهل الارياف والفلاحين بحسن المعاملة والادب واجتنبوا في غيبته انواع الكذب والقبايح حتى يراكم حين يقرب بعد هذا الشهر قد احسنتم المعاملة ومشيتم على الاستقامة وينشرح صدره منكم ويرضى عليكم وينظر اليكم بعين الشفقة وان حصل منكم في غيابه ادنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار ولا ينفعكم الندم ولا يقر لكم قرار واعلموا ان اذهاب دولة المماليك بقضاء الله وقدرته ونصرة سلطانكم امير الجيوش عليهم بتقدير الله وامره والعاقل يمتثل الى احكام الله ويرضى بمن ولاه والله يوتي بملكه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله

الداعي لكم الفقير عبد الله الشرقاوي ريس الديوان عفى الله عنه	الداعي لكم الفقير السيد محمد المهدي الحنفاوي كاتم السر الخصوصي وباش كاتب الديوان عفى الله عنه

وقد كنا ذكرنا ان امير الجيوش ارسل الى الجنرال كليبر انه يسير بالعسكر الذي عنده في دمياط ولما وصله ذلك الامر سار من مدينة دمياط على طريق قطية ومن هناك صار طالبا

قلعة العريش فتاه فى الطريق وسار ثلثة ايّام من غير زاد والجاهم الجوع حتّى اكلوا لحم الخيل والجمال ثم اهتدوا على الطريق وعند وصولهم للعريش كانت بعض عساكر الجزّار واردين بقومانية وذخيرة الى القلعة فعندما نظروا الفرنساوية مقبلين تركوا القومانية وهربوا ووصلت الفرنساوية وقد فرحت بتلك الذخيرة واكتفوا بها ثلثة ايّام ثم حضر امير الجيوش وباقى العساكر ونصب الوطاق امام القلعة وكان فى قلعة العريش ثمانماية مقاتل وكان بينهم احمد كاشف الكبير تابع عثمان بيك الاشقر وابراهيم بيك كاشف الحبشى وفى ثانى الايّام ارسل اليهم امير الجيوش ان يسلّموا القلعة فلم يرضوا بذلك فامر بضرب المدافع وبقى الحصار على القلعة ثمانية ايّام ثمّ فرغت موونتهم وبارودهم فارسلوا يطلبون الامان فاعطاهم الامان وان يخرجوا من القلعة بغير سلاح ويحصل الصلاح ويفوزوا بالنجاح فلم يرضوا بذلك وبعد يومين حضر قاسم بيك المسكوبى بجملة عسكر وجبخانة وبقى بعيد عن القلعة وكان قصده ان فى الليل يدخل بغتةً فبلغ امير الجيوش وصوله وربطوا عليه الطريق وكبسوه ليلًا وذبحوا عساكره ولم يسلم منهم غير القليل وقتل قاسم بيك وعدّة من الكشّاف والمماليك واخذوا كلّ ما كان معهم وحينما بلغ ذلك الذين فى القلعة حاروا فى امرهم وارسلوا يطلبون الامان بحيث

يخرجون بسلاحهم فامر لهم امير الجيوش بذلك وخرجوا الى قدّامه فاطلق سبيلهم وكل واحد منهم ذهب الى بلاده واحمد كاشف وابراهيم كاشف وجماعتهما طلبوا من امير الجيوش التوجّه الى مصر الى منازلهم واعيالهم فاذن لهم بذلك وارسلهم مع بعض من الصلدات لاجل حمايتهم في الطريق وساروا الى القاهرة وادخلوهم على قايمقام الجنرال دوكا وشاعت اخبارهم في مصر وحضرت خلايق كثيرة لاجل الفرجة عليهم ودخلوا الى دار الكنانة بكل ذلّ واهانة راكبين الحمير بملابس رثّة ومن بعد مقابلة القايمقام وشيخ البلد توجّهوا الى بيوتهم وبعد ثلاثة ايّام مات احمد كاشف من قهره وتوارى في قبره واما امير الجيوش بعد تسلّمه قلعة العريش وضع بها جانب من العسكر وقد ارسلوا الى علماء الديوان بان يوزعوا الكتابات كما جرت لهم العادة ۞

صورة كتابة علماء الديوان للديار المصرية

لا اله الا الله الملك الحقّ المبين ومحمد رسول الله الصادق الواعد واليقين نعرّف آل مصر وساير الاقاليم ان توجّهت الفرنساوية الى الديار الشامية وحاصروا قلعة العريش من عشرة في رمضان الى سبع عشر ووقعت مقاتلة عظيمة خارج القلعة وكان في القلعة نحو الف وخمساية نفر غير من قتل

خارجها فلما طال عليهم الحصار وتهدمت اسوار القلعة من ضرب الغرنساوية بالمدافع عليها وتيقّنوا بالهلاك طلبوا الامان من حضرة السرعسكر الكبير فاعطاهم الامان الكافى وسافر منهم نحو ثمانماية من ناحية الشول الى بغداد وانعم عليهم حضرة السرعسكر بالحيوة بعد ان تيقّنوا بالهلاك وهكذا اصحاب المروّات هولاء اعتقهم واطلق سبيلهم وبعض الكشّاف والمماليك الذين كانوا فى القلعة نحو ستّة وثلاثين جنديًا طلبوا من حضرة السرعسكر ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر الى اعيالهم وبيوتهم فاحسن اليهم وارسلهم الينا والى وكيله ودخلوا عليه يوم الاحد فى ستّة وعشرين رمضان معززين مكرومين وارسل السرعسكر ان يوتى باكرامهم ان داموا على عهدهم الذى حلفوا به بالعريش وان خانوا وهانوا فيحصل لهم من يده الانتقام وامر فى الفرمان ان الجنرال دوكا يامر التجّار بالقوافل الى برّ الشام لينتفعوا بالمكاسب اصحاب التجّارة وينتفعوا سكّان برّ الشام ببضايع مصر حسب العادة السابقة ليحصل الامان بحلوله فى تلك الاراضى وكتب الى حضرة وزيره الجنرال اسكندر برتية فرمان يخبّرنا ويخبّر حضرة الوكيل بالحالة التى وقعت الى عساكر ابراهيم بيك وبعض من عسكر الجزّار المساعدين له وان الغرنساوية وجدوا فى قلعة العريش مخازن رزّ

وبقسماط وشعير وثلثماية رأس من الخيل الجياد وجميع كثيرة وجمال غزيرة اكتسبته جميعه الفرنساوية ومع ذلك عندهم الصفح عن اخلاصهم عند قدرتهم عليهم وهذا من صفات اصحاب المروّة من الرجال الابطال فيا اخواننا لا تعارضوا الملك المتعال واتركوا انفسكم من القيل والقال واشتغلوا فى اصلاح دينكم والسعى فى معاش دنياكم وارجعوا الى الله الذى خلقكم وسواكم والسلام عليكم ختام

الفقير عبد الله الشرقاوى
ريس الديوان حالاً
عفى الله عنه

الفقير محمد المهدى
كاتم سرّ الديوان حالاً
عفى الله عنه

الفقير السيّد خليل البكرى
نقيب السادات الاشراف
عفى الله عنه

واما امير الجيوش فى تسعة عشر رمضان نهض بالعساكر من قلعة العريش الى خان يونس وفى الغد صارت مقدّمات العساكر على مدينة غزّة بنفوس معتزّة واوّلهم الجنرال كليبر سرعسكر الجيش والجنرال ميراد وكانت عساكر الجزّار وعساكر الغزّ فى مدينة غزّة فعندما شاهدوا عساكر الفرنساوية مقبلين ولّوا منهزمين فدهمهم الجنرال ميراد

بالرجال الشداد على الخيول الجياد واطلق عليهم الرصاص فما مكثوا امامه برهةً يسيرةً حتّى ولّوا منهزمين والى النجاة طالبين ولما كان الجنرال ميراد يحاربهم دخل الجنرال كليبر الى البلد من غير قتال وبات تلك الليلة فى غـزّة وفى الغدّ سيّر العساكر على مدينة يافا وكانوا وجدوا فى غزّة حواصل ذخيرة من بقسماط وشعير واربعماية قنطار بارود واثنى عشر مدفعًا وحاصلًا كبيرًا من الخيام وكلل وقنابر عظام فحازوا على الجميع ولم يزالوا سايرين حَتّى وصلوا الى يافا وبنوا المتاريس امام البلد ووضعوا المدافع عليها ومن بعد اربعة ايّام من وصولهم وصل امير الجيوش واستخبركم فى البلد من العساكر فقالوا له نحو ثمانية الاف فكتب لهم وزيره اسكندر ينصحهم ان يسلّموا البلد لسلامة انفسهم فلم يرضوا بالتسليم بل قبضوا على الرسول فتركوه مقتول فبلغ أمير الجيوش ذلك فاغتاظ غيظًا شديدًا وامر بضرب المدافع والقنابر على المدينة وابتدا الحرب من اوّل النهار الى الساعة التاسعة من ناحية حارة النصارى ثم امر امير الجيوش بان يهجموا على البلد هجمةً واحدةً ويشنّوا الغارة الجامدة ويظهر ما عندهم من المكافحة والمجالدة فغارت اوليك الشجعان وكان ليلة عيد رمضان فيالها من ساعة كانت من ساعات القيامة وتبًا لها من ليلة لم يكن بها سلامة وهجمت الفرنساوية هجم

الاسود واذ شاهدتهم عساكر الاسلام ايقنوا بالموت والعدم
والخلود وبقوا نادمين وفى امرهم حايرين واذ لم يجدوا لهم
سبيلاً للانهزام ولا منقذاً ينقذهم الى برّ السلام فسلّموا الى
قضاء الله والاحكام وطرحوا سلاحهم وسلّموا ارواحهم
فبدت الفرنساوية يزجرونهم زجر الغنم ولم يزل هول الحرب
فى امداد والكرب فى اشتداد وتتناثر الرؤس وتهلك النفوس
وتنهتك الاحرار وتنكشف الاسرار والاستار وتقتل الرجال
والنساء والاطفال وفاق صوت البكا والعويل على صوت البارود
الجزيل وكنت تنظر واحد يقتل واحد جذيل واخر دمه
يسيل والاخر بالاسر ذليل ولا من يقيل ولا من يزيل. ولم
يزل الجيش الفرنساوى فى قتل وفتك وسبى وهتك ورنّ سلاح
وهزّ صفاح واخذ ارواح من اوّل الليل الى اخر الصباح. وكان
يوماً اليماً وحرباً عظيماً وسلبوا كلما فى المدينة من المال
والامتعة الغوال ولم يزل يعمل الصارم البتّار الى اخر النهار
وكان ذلك نهار العيد والخلق فى حزن شديد وحلّ الاتكيس
فى نهار ذلك الخميس وفى ذلك الحين مات من العساكر ما
ينيف عن الخمسة الاف ومن اهالى البلد الفين وقد هجمت
الفرنساوية على المراكب التى فى المينا واخذوا منها بضاعة
ثمينة واضحت مدينة يافا لم يجد بها احداً معافاً ولا
بها مستتر وهى عبرة لمن اعتبر وفى ثانى الايام احضر امير

الجيوش الاسارى واطلق سبيل من كان من الاقطار الشامية وميّز المصريين واكرمهم غاية الاكرام وكان منهم السيّد عمر مكرم نقيب الاشراف الذى كان هاربًا واعطاه الامان وامره ان يرجع الى الاوطان واما الهوارا والارناوط امر بقتلهم جميعًا لان كان البعض منهم فى قلعة العريش وحين اطلقهم امرهم ان يذهبوا الى بلادهم سالمين فاتوا الى مدينة يافا وحاصروا بها فقتلهم جميعًا من دون بعض انفار من الاغاوات الكبار وارسلهم اسرى مع نجانة (١٨) الى قايمقام يعرّفه بالاخبار عن هذا الانتصار وان يوزّع من الديوان الكتابات كما جرت لهم عادات ويخبر الى المصريين فى انتصار الفرنساويين على مدينة يافا

صورة الكتابات من علماء الديوان بمصر يعلّموا الاقالم باخذ يافا

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد سبحان الحاكم العادل الفاعل المختار ذو البطش الشديد، هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الاقطار الشامية نعرّف اهالى مصر واقاليمها من ساير البرية ان العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزّة ثالث وعشرين شهر رمضان ووصلوا الى الرملة فى خامس وعشرين

منه فى امان واطمئنان فشاهدوا عسكر باشا الجزار هاربين بسرعة قايلين الفرار الفرار ثم ان الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة اللد مقدار كبير من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها الف وخمساية قربة مجهّزة قد جهزها الجزّار ليسير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ومراده يتوجّه اليها باشرار العربان من سفح الجبل ولكن تقادير الله تفسد الحيل قاصدًا سفك دماء الناس مثل عوايده السابقة وتجبّره وظلمه مشهور لانه من تربية المماليك الظلمة المصرية ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره ان الامر لله وكل شىء بقضايه وتدبيره وفى سادس وعشرين من شهر رمضان وصلت مقدّمات الفرنساوية الى بندر يافا من الاراضى الشامية واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وارسلوا الى حاكمها وكيل الجزّار ان يسلّمهم القلعة قبل ان يحلّ بهم وبعسكرهم الدمار فمن خساسة رأيه وسوء تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ولم يردّ لهم جواب وخالف قانون الحرب والصواب وقتل الرسول النجاب وفى آخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين واقتسموا ثلثة طوابير الطابور الاوّل توجّه على طريق عكّا بعيد عن يافا اربع ساعات وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور امر

حضرة السرعسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لاجل ان
يعملوا متاريس امينة وحصارات مُتقَنة حصينة لانه وجد
سور يافا ملانًا بالمدافع الكبيرة ومشحونة بعساكر الجزّار الغزيرة
وفي تاسع وعشرين من الشهر المذكور لما قرب حفر الخندق
الى السور مقدار ماية وخمسين خطوة امر حضرة السرعسكر
المشار اليه ان تنصب المدافع على المتاريس وان يضعوا الهاون
الكبير باحكام وتاسيس وامر بنصب مدفع صيانةً لعساكره
الصاعدين والمشتغلين بخرق السور وامر بنصب مدفع آخر
بجانب البحر لمنع الخارجين اليهم من مراكب الميناء لانه
وجد في الميناء بعض مراكب اعدّوهم عساكر الجزّار الى الهرب
ولا ينفع الهرب من المقدّر المكتوب ولما رأت عساكر الجزّار
الكاينين بالقلعة ان عساكر الفرنساوية قلايل فيراً الغين
للناظرين لسبب اختفآء الفرنساوية في الخنادق وخلف
المتاريس فغرّهم الطمع وفتحوا مجالهم من القلعة مسرعين
مهرولين وظنّوا انهم يغلبوا الفرنساوية فهجمت عليهم
الفرنساوية وقتلوا منهم جملة كثيرة في الوقعة والزموهم
للجوهم للدخول ثانيًا الى القلعة وفي يوم الخميس غاية شهر
رمضان حصلت عند السرعسكر شفقة قلبية على الرعيّة وخاف
على اهل يافا من عسكره اذا دخلوها بالقهر والاكراه فارسل اليهم
مكتوبًا مع رسول مضمونه

لا اله الّا الله وحده لا شــــريـــك له

بسم الله الرحمن الرحيم

من حضرة سرعسكر اسكندر كتخدا العسكر الفرنساوى الى حضرة حاكم يافا نخبّرك ان حضرة سرعسكر الكبير بونابارتــه امرنا نعرّفك فى هذا الكتاب ان سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر الجزّار فقط من هذه البلد لانه تعدّى بارسال عسكره للعريش ومرابطته فيها والحال انها من اقليم مصر التى انعم الله بها علينا فلا يـنـاسبـه بالاقامة بالعريش لانها ليست من اراضيه فقد تعدّى على ملك غيره ونعرّفكم يا اهل يافا ان بندركم حاصرناه من جميع اطرافه وجهاته وربطناه بانواع الحرب والات والمدافع والكثيرة والكلل والقنابر الغزيرة وفى مقدار ساعتين ليقلب سوركم وتبطل الاتكم وحروبكم ثم نخبّركم ان حضرة السرعسكر المشار اليه بونابارته لمزيد رحمته وغزير شفقته خصوصًا بالضعفاء من الرعيّة خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين واذا دخلوا اليكم بالقهر فاهلكوكم اجمعين فامرنا ان نرسل اليكم هذا الخطاب امانًا كافيًا لاهل البلد والاعراب ولاجل ذلك اخّر ضرب المدافع والقنابر ساعة واحدة واننى لكم من الناصحين القلبية والحال انهم جعلوا الجواب قتل الرسول

مخالفين للقوانين الحربية والشرعية المطهرة المحمدية وحالا في الوقت والساعة هاج السرعسكر واشتدّ غضبه على الجماعة وامر بابتداء ضرب المدافع والقنابر الموجبة التدمير وبعد مضى زمان يسير تعطّلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزّار في وبال وتنكيس وفي الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتجّ له القوم ونقب من الجهة التي ضرب فيها المدافع من شدّة النار ولا مردّ لقضاء الله ولا مدافع وفي الحال امر حضرة السرعسكر بالهجوم عليهم وفي اقلّ من ساعة ملكت الفرنساوية البندر والابراج ودار السيف في المحاربين واشتدّ بحر الحرب وهاج وحصل النهب فيها تلك الليلة وفي ثاني يوم الجمعة غرّة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة السرعسكر الجليل ورقّ قلبه على اهل مصر من غني وفقير ومتجبّر وحقير الذين كانوا في يافا واعطاهم الامان وامرهم بالرجوع الى الاوطان مكرمين وكذلك امر اهل دمشق برجوعهم الى اوطانهم سالمين لاجل ما يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رافته ورحمته ويعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة لكثرة تمكّنه ومزيد اتقانه وتحصّنه وقتل اكثر من اربعة الاف من عسكر الجزّار في السيف والبندق لما وقع منهم من الانحراف واما الفرنساوية لم يقتل منهم الا القليل والمجاريح منهم ليس بكثير وسبب ذلك

سلوكهم للقلعة من طريق امينة خافية عن العيون واخذوا ذخاير كثيرة واموال غزيرة ومسكوا المراكب التى فى الميناء واكتسبوا امتعة غالية ثمينة ووجدوا فى القلعة اكثر من ثمانين مدفع ولم يعلموا مع مقادير الله الة الحرب لا تنفع فاستقيموا يا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تتعارضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا ان الملك لله يوتيه لمن يشاء والسلام عليكم ورحمة الله .

الفقير السيّد خليل البكرى نقيب الاشراف بمصر حالًا عفى الله عنه

الفقير عبد الله الشرقاوى رئس الديوان بمصر حالًا عفى الله عنه

الفقير محمد المهدى كاتم سرّ الديوان بمصر حالًا عفى الله عنه

طبع فى مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة (15)

ثم ان امير الجيوش سار بالعسكر قاصدًا مدينة عكّا على طريق الجبال ولما وصلوا الى اراضى قاقون فكانت عساكر الجزّار والنوابلسية مكمنين فى الوادى الذى هناك وحينما بلغهم قدوم الفرنساوية اخرجوا منهم من فمّ الوادى خمساية مقاتل وبدوا يزحفون تجاه العسكر وكان قصدهم

ان يجرّوهم الى ذلك الوادى فلما علم امير الجيوش مرادهم قسم عساكره ثلثة اقسام فالقسم الاوّل سيّره الى فمّ الوادى والقسمان اطلعهما الى الجبل وحين اقتربوا الى الوادى ضربوا المدافع واطلقوا الرصاص فانحدرت اليهم الفرنساوية من اعلى الجبال وانتشبت بينهم القتال وكثر القيل والقال وقد قتل من عسكر الاسلام اربعماية قتيل على التمام وولّوا الباقون منهزمين والى النجاة طالبين ومن هناك صارت الفرنساوية مطمانين فى تلك الديار وباتوا تلك الليلة على العيون الصغار وفى الغد ساروا الى ان وصلوا الى وادى الملك وقد كان بلغ الجزّار قدومهم وقرب الفرنساوية الى تلك الديار فارسل الى حيفا احضر الجبخانة والعسكر وعندما وصلت الفرنساوية الى تجاه مدينة حيفا خرجت اهالى البلد الى مقابلتهم وسلموا امير الجيوش مفاتيح البلد والقلعة فاكرمهم واعطاهم الامان ودخلت الفرنساوية مدينة حيفا فوجدوا بها قاربًا صغيرًا فيه جماعة من مراكب الانكليز فاخذوهم اسارى

وبعد ذلك امير الجيوش انتقل بالعساكر الى تجاه مدينة عكّا ونصبوا المضارب والخيام فى محلّ يقال له ابو عتبه وبنوا المتاريس الحصينة ووضعوا فوقها المدافع المتينة وشاعت الاخبار فى تلك الاقطار بقدوم البطل المغوار فى ذلك العسكر الجرّار الذى هو كالبحر الزخّار فخافت تلك الديار وعزموا

جميعهم بالتصميم على الطاعة والتسلم لذلك البطل العظم لما بلغهم من عظم سطوته وعلو همّته وشدّة صولته وبقوا ينتظرون بما يحلّ باحمد باشا الجزّار بعد ذلك الضيق والحصار من الهلاك والبوار وقالت المسلمين اجمعين اننا لله واننا اليه راجعين من شرّ هولاء الملاعين وكان امير الجيوش كتب الى ساير مشايخ البلد ليحضروا الى مقابلته ويحصلوا على امانه ورحمته وبدت تاتى اليه اهل تلك البلاد وياخذون منه الامان وسار الجنرال كليبر والجنرال منو الى مدينة الناصرة وارسل كومندا حاكمًا على شفا عمر ومن بعد اتمام بناية المتاريس ابتدا فى الحرب على عكا خامس يوم من شهر شوال سنة ١٢١٣ وقام الحرب اربعة وعشرين ساعة وكان حربًا شديدًا مهولاً لم يكن مثله قطّ لان كانت الفرنساوية تضرب المدافع والقنابر وفى المدينة كذلك المدافع والقنابر من الابراج والقلاع والحصون والاسوار وكانت المراكب العثمانية والمراكب الانكليزية تضرب كذلك المدافع والقنابر حتّى خيل للناظرين والسامعين ان مدينة عكّا لم يبق منها حجر على حجر واقفين وارتجّ الجزّار من ذلك رجّةً عظيمةً وكاد ان يخلو المدينة واحضر مراكبه للسفر والركوب وهيّا نفسه للذهاب والهروب فمنعه الجنرال سرعسكر الانكليز الذى كان مقيمًا فى عساكره على البواغيظ وطمّنه قايلًا اننى قد قطعت

عزم اعدايك الفرنساوية اذ قد اسرت منهم ثلثة مراكب جبخانية ومدافع قوية فشجع فؤادك على محاربتهم لانني قد اضعفت قوتهم وكان الامر كما ذكر لان امير الجيوش اذ كان لم يقدر على نقل الجبخانة والمدافع الكبار في البر فامر ان يوسقوهم في ثلثة مراكب ويرسلوها من دمياط وحينما خرجت المراكب المذكورة اصطادتها مراكب الانكليز وكان سرعسكر الانكليز المسمى سند سميت لم يزل يطوف في مراكبه على البواغيظ ليمنع الامداد على الفرنساوية وحين وقع الحصار على مدينة عكا حضر بمراكبه واخرج منهم طبجية الى القلع والاسوار ثم من بعد ذلك الحرب الشديد قلت جبخانة الفرنساوية وبلغ امير الجيوش ان الانكليز استاسروا الثلاث مراكب التي اتت من دمياط في الجبخانة فاشتعل فيه الغضب وارسل احضر ما كان في يافا من الجبخانة ثم حضر الى الجزار مركبين من اسلامبول بهم الجبخانة ولما اقبلوا الى اسكلة يافا وشاهدوهم الفرنساوية الذين كانوا باقيين هناك رفعوا لهم البيراق العثماني ودخلوا الى الميناء بكل امان ناشرين الاعلام لظنهم ان المدينة بيد الاسلام وبعد ما القوا المراسي نزلت القباطين الى البلد فقبضوا عليهم الفرنساوية وضبطوا المراكب بكل ما فيها من المدافع والقنابر والجبخانة وكان ستة وثلثين الف دينار مرسلة

اسعافًا للجزّار فصار ذلك اسعافًا للفرنساوية وكنّا قد ذكرنا ان امير الجيوش بعد حضوره في تجاه عكّا ارسل كتب في مشايخ البلد الذين بالقرب منه فحضر اليه الشيخ عبّاس ابن ضاهر العمر واعرض لديه احواله فترحّب به واعطاه السلاح والكسوة وعشرة اكياس وكتب له ان يكون متولّيًا بلاد ابيه وحضر ايضًا مشايخ بني متوال (16) فاعطاهم حكم بلادهم وصاروا من عند امير الجيوش في مدينة صور وقدّموا له الذخاير من البلاد وتسلّموا القلعة التي كانت لابائهم ثم حضر ايضًا رجل من جبل شيخا اسمه مصطفى بشير فاكرمه امير الجيوش وامره ان يجمع عسكر من اهل تلك البلاد ويتوجّه في مدينة صفد فتوجّه المذكور بخمسين نفر ولما بلغ اهل البلد قدومه طردوا عسكر الجزّار وسلّموه البلد وكان ذلك الرجل اصله من صفد وقد ذكرنا عن توجّه الجنرال كليبر والجنرال منو في الناصرة وكان قد اجتمع من الشام عساكر الاسلام من مغاربة وهوارا وعربان والغزّ الذين حضروا مع ابراهيم بيك الى ان بلغ جمعهم ثلثين الف مقاتل ما بين راكب وراجل وخرجت هذه العساكر العديدة بقوّة شديدة ووصلت في مرج ابن عامر فبلغ كليبر قدوم ذلك العسكر فسار اليهم بالف وخمسماية مقاتل وحينما وصلوا وشاهدتهم تلك الجموع انهزموا من قدامهم

مكيدةً منهم ولم يزل الفرنساوية فى اثرهم الى ان وصلوا الى اطراف المرج ومن هناك احاطوا فى الفرنساوية من كل جانب ولما نظرهم الجنرال كليبر قد احاطوا بالعسكر فقسم رجاله اربعة اقسام مع كل قسمة منهم مدفع واتّصل الحرب بينهم فعندما شاهدت اهالى الناصرة كثرة جيوش الشام وان الفرنساويين قليلين جدًا فبادروا حالًا واخبروا امير الجيوش فاحضر حالاً الجنرال تركو وامره بتحضير ثلثة الاف صلدات ومن بعد ساعة واحدة جهّز العسكر المذكور واخذوا معهم اربعة مدافع وامر الجنرال بونابارته ان يسيروا على وادى عبلين ومن بعد مسيرهم بثلاث ساعات ركب امير الجيوش وسار وراهم طالبًا اثرهم وفى نصف الليل وصل بالعساكر الى بير البدوية وارسل الى امراة قريبة منهم اسمها سافورا وطلب ما احتاجه من الذخيرة تلك الليلة وعند الصباح سار بالعسكر الى ان نفذ الى مرج ابن عامر وصعد الى تلٍّ عالٍ فكشف ارض المرج ونظر الى الجنرال كليبر فى وسط البيدا وعساكر الاسلام محتاطة به والهجمة من كل ناحية وليس لهم عليه استطاعة ثم نظر الى جبل بعيد وعليه المضارب والخيام وكان هذا اوردى الغزّ فنزل امير الجيوش وافرز خمساية مقاتل وامرهم ان يسيروا على الجبل ويكبسوا على الاوردى وقسم العسكر الذى بقى معه ثلثة

اقسام قسمان منهم الف والقسم الثالث خمساية فاخذ منهم قسمًا واحدًا ومدفعًا واحدًا وتوجّه بذاته والقسم الثانى تبعه من بعيد والقسم الثالث للخمساية ومعهم مدفعين امرهم ان يسيروا الى الحرب من الطرف الثانى الى ان تصير العساكر المحاربين فى وسطهم محتاطين بهم وحينما وصل امير الجيوش الى عندهم ضرب مدفعًا واحدًا ثم ضرب القسم الثانى ثم الثالث وحينما سمعوا العساكر المحاربين المدافع ونظروا قدوم النجدة وعلموا انهم صاروا فى وسطهم فولّوا منهزمين وللنجاة طالبين وصاروا يتراكضون فى الجبال وكانت الفرنساوية يفككون عليهم وعندما انقطع اثرهم اتى امير الجيوش الى عند الجنرال كليبر وتصالحا مع بعضهما بعض وتعانقا وفرحا بانهزام الاعداء وحينما كانا واقفين واذا بالخمساية صلدات الذين صاروا الى الجبل راجعة بالغنايم الوافرة لانهم كبسوا على اوردى الغزّ وكان فيه مقدار ماية مملوك فقط واما باقى الغزّ فكانت تحارب فى ارض المرج بعيد عن اورديهم مقدار ساعتين فعندما نظرت المماليك ان الفرنساوية مقبلين عليهم تركوا الاوردى وولّوا منهزمين فكبسوا عليه الخمساية صلدات واغتنموه وكان فيه خيرات كثيرة واخذوا الخيل والجمال والخيام والامتعة والاسلحة والملبوس وبات امير الجيوش تلك الليلة فى ارض

المرج وحينما اصبح الصباح ارسل خمسماية صلدات لله
قرية جنينين وامرهم ان ينهبوها ويحرقوها ففعلوا كما امرهم
ثم ان امير الجيوش احرق تلك القرايا التى فى جبل نابلوس
لانهم ما طلبوا منه الامان ثم رجع لله الناصرة وبعده
حضر بالعسكر لله تجاه عكّا وقد كنّا ذكرنا ان امير الجيوش
كان قد ارسل مصطفى بشير الصفدى الى صفد وملك
قلعتها وصاروا الذين كانوا من قبل الجزّار الى الشام وجمع
ابن عقيل عسكر وحضر لله صفد فنهبوها وحاصروا القلعة
ولعلمهم بقلّة الرجال بها هجموا بقوّة شديدة وكانوا
الذين فى القلعة يضربوا عليهم بالرصاص فهلك منهم عدّة
رجال ثم ان رجل من القلعة سقط من شبّاك وهجم
ورا عسكر الشام وضرب البيرقدار برصاص فقتله واخذ
البيرق ورجع الى القلعة وحين بلغ امير الجيوش قدوم
عسكر الشام لله صفد امر الجنرال ميراد ان يسير بخمسماية
راكب ولما بلغ عسكر الشام قدومه رحلوا الى جسر بنات
يعقوب وحين دخل الجنرال ميراد صفد بلغه هروب عسكر
الشام فتبعهم ولما وصل لله الجسر فما وجد احدًا واعلموه
انهم ساروا لله الشام واما مصطفى بشير حضر الى عند
امير الجيوش فترحّب به واكرمه وقد اخبروه عن فعل
ذلك الرجل فاعطاه ماية وخمسين غرش وامر مصطفى

بشير ان يعيّن عسكر من الفلاحين ولكل انسان ثلثين فضة كل يوم فتوجّه المذكور وعيّن جماعة وسار بهم الى جسر بنات يعقوب لعند الجنرال ميراد فتركهم الجنرال على الجسر محافظين ورجع الى عكّا واما الجنرال منو كان لم يزل مع الجنرال كليبر في الناصرة فبلغه ان في مدينة طبرية عسكر الجزّار فاخذ ثلثماية راكب من الفرنساوية والشيخ صالح والشيخ عبّاس اولاد ضاهر العمر ولما قربوا من طبرية خرج عسكر الجزّار الى ملاقاتهم وكانوا نحو الفين مقاتل وحين تقابلا العسكران وانتشبت بينهما الحرب انكسر عسكر الجزّار وولّوا منهزمين وللنجاة طالبين ولحق هذا الشجاع رجل من العسكر وضربه بحسامه وارماه شطرين وقتل منهم اوفر من مايتين ورجع الجنرال ميراد الى طبرية فوجد بها حواصل حنطة وشعير ودرّا ما ينوف عن الفين غرارة فارسل اعلم بها امير الجيوش فرجع الجواب ان يطحنهم ويرسلهم الى العسكر وفي شهر شوال الموافق لشهر ادار تباين الطاعون في العساكر الفرنساوية وكانت عليهم اعظم بلية ومات منهم خلق وافر وكانت الحروب قايمة الى مدينة عكّا الليل والنهار وهم يهجمون على الاسوار والكلل والقنابر عليهم مثل سيل الامطار وقد اهلكوا من العساكر الاسلامية والانكليزية خلقًا لا يحصى لما كانوا يخرجون الى محاربتهم وقد هدموا

ابراج واسوار عكّا من ضرب المدافع والقنابر وهيجان العسكر ولما نظر الجزّار هدم البروج والاسوار فبدا يقيم حيطانها من الازقّة والشوارع ويخرق البيوت والمنازل الى بعضها بعض وجعل لها منافذ خوفًا من هجوم الفرنساوية لما شاهده من جسارتهم القويّة وكانت الفرنساوية لم تكلّ عن الهجمات على الاسوار والوصول الى الجدار ولم يبالوا بذلك العمار ولا يخشوا قصر الاعمار وهلاكهم في هذه الديار بل هامّين في العزّ والانتصار وقهر احمد باشا الجزّار وتملّكهم على هذه الاقطار واذ كان اعداءهم الانكليز الذين قد اهلكوا عمارتهم على البواغيظ واسعف عليهم ذلك الغزير والقايم في تيّار التغلّب والتحجيز فلذلك اظهرت الفرنساوية انواع العجايب في هذه المعامع والمواقع التي تُذكر جيلًا بعد جيل اذ لم يكن لها مثيل وقد مات في هذه المواقع الجنرال كفريل المهندس الكبير والعالم الخبير والشهم الشهير لان هذا البطل المهول قد تقرّر عنه القول انه كان برجل واحدة والاخرى كان مُلبّسها خشب وكانت اهل مصر تدعيه الجنرال ابو خشبة فهذا المذكور اصابته كلّة في كتفه واخذت الجراحية يداونه فسألهم هل الجرح يطول ليبرا فاجابوه انه يحتاج الى مدّة طويلة واما اذا قُطعت اليد من الكتف فبروه قريب فاجابهم اقطعوا يدي ودعوني

انهض الى تكميل خدمة المشيخة ثم قطعوا يده من كتفه واذ كان هذا الجنرال لا يمكنه الكنون والسكون حتى يختم جرحه طفق يدور على المتاريس ليدبّر الطبجية ويدلّهم على الاماكن التى تضرب عليها المدافع والقنابر فمن الشمس والهوا ورم عليه جرحه ومات وعدمت المشيخة مهندسًا عظيمًا ومدبّرًا عليمًا وفى هذه المواقع مات الجنرال بون فهذا البطل تعلّق على السور وحدف البرنيطة الى داخل البلد وكان من الشجعان الشداد وقد ارتعشت عساكر عكّا ذلك النهار من فعل ذلك البطل المغوار وبقوا يضعون الخف بالزيت والقطران ويحدفوها على الاسوار بعد ما يشعلوه بالنار ويضربوهم بالقنابر والمدافع الكبار وهم لا ينكفّوا عن طلوع الاسوار والرصاص عليهم مثل سيل الامطار ويرموهم ايضًا من الاسطحة بالحجار الكبار وهذا الجنرال اصابته حجر فى راسه وهو متعلّق على السور فسقط وحملوه العسكر ومات وشرب شراب الاوات ثم بعد هجمات كثيرة وحروب خطيرة وتعب شديد وهول مكيد عزم امير الجيوش على القيام عن مدينة عكّا العسيرة لعلّة خطيرة واسباب كثيرة وهو انه اوّلًا ان ورد مركب صغير من بلاد خرسان (١٧) الى الاسكندرية وفيه رجل من مدينة باريس ومعه مكاتيب الى بونابرته من بعض روساء

المشيخة المحبّين له يخبّروه ان رؤساء المشيخة ارفاقه الكبار مخامرين عليه وقد منعوا عنه الامداد ليهلك فى هذه البلاد وايضًا ان الانكليز قد اخذت منهم كلّما اكتسبوه من الاقاليم وهيّجوا ملوك الافرنج عليهم وان لم يحضر اليهم سريع والّا يذهب تعبهم ويضيع فهذه المكاتيب التى حضرت من بعض رؤساء المشيخة وايضًا اتتهم الاخبار ان العمارة العثمانية العظيمة قد تجهّزت وقريبًا تصل الى الديار المصرية وسرعسكرها مصطفى باشا كوسا وايضًا اتتهم الاخبار ان العمارة المسكوبية حاصرت جزيرة كورفو من اعمال البندقية وقد خرجت منها الفرنساوية ولما علم امير الجيوش بتلك الاخبار وان العالم كلّه نهض ضدّه وانه صار مضطرًّا ان يحارب جميع المسكونة بهذا الجيش القليل وقلب ذلك البطل الشديد اقوى من الحديد فما اراعته الاهوال ولا اعتراه الانذهال ولا تغيّرت منه الاحوال ولا التوى عنانه ولا تزعزع جنانه بل اخفى الكمد واظهر الجلد ثم ارسل احضر الجنرال كليبر من الناصرة وامره ان يهجم الهجمة الاخرة فعند ذلك نهض هذا البطل المذكور واظهر حربه المشهور وقرع طبول الحرب وتقدم الى الكون والضرب وكان يومًا اعظم الايّام وحرب يشيب منه راس الغلام وهاج ذلك الجنرال هيجان الاسد الادرع الذى لا

يهاب الموت ولا منه يفزع وانـدفقت عليهم الكلل والقنابر برًّا وبحرًا على هولاء العساكر اندفاق البحور الزواخر واتّقدت عليهم النيران واظلم الجو من الدخان واستدّت المسامع من صوت المدافع واشتدّت المعامع وتغرت الفرنساوية الاسوار ودخلوا الى الجامع وكانت ساعة من ساعات القيامة وحربًا لم يكن فيه سلامة ويوم غريب الاحوال شديد الاهوال عظيم الوبال تشيب من هوله الاطفال وترتعب من ذكره صناديد الرجال وتبادرت العساكر الذين فى المدينة والمراكب التى فى الميناء بالحراقة والنيران بالزيت والقطران وجادوا بالكلل والرصاص والقنابر والقواص وبالضجيج العظيم والصراخ الذميم وارتدّت الفرنساوية بخيبة عن ذلك الشرّ والنكد بعد ما كانوا دخلوا البلد الخبيّة وخطفوا طاسات النحاس الاصفر من سبيل الجامع المشتهر وخرجوا من المدينة كاسبين وبقى منهم فى الجامع ماية وعشرين وكانوا قد انشغلوا فى القتال الى ان حالت عليهم الرجال وبدوا يحاربون وعن ارواحهم يدافعون فتراكمت عليهم العساكر كالبحور الزواخر وقد ايقنوا بالموت والاقتناص وفرغ بارودهم والرصاص وعند ذلك بادر اليهم الكومندا سميت سارى عسكر الانكليز وطفق يكلّمهم بالفرنساوية كلام حريز وان المشيخة ما ارسلوا رئيسكم الى هذه الممالك الّا ليرموه فى بحر المهالك

وها نحن رابطين عليكم البواغيظ ولا ندع ان يجيكم لا كثير ولا وجيز وقد بقيتم مسجونين في هذه البلاد وانقطع عنكم الاسعاف والامداد وجميع الممالك منذكم مجاهدين على عدمكم فكفاكم تهلكون نفوسكم وتطيعون هوى رئيسكم فاطلبوا الاقالة من هذه الحروب والخلاص من هذه المصايب والخطوب ونحن نضمن لكم الوصول بالسلام والامان الى ارضكم والاوطان ولما سمعوا ذلك الكلام سلّموا له واخذهم بامان واما امير الجيوش حين نظر ان ليس في ذلك الحرب محصول والدخول الى عكّا بعيد الوصول وقد فهم ان الصلدات صاروا ينفرون من الهجوم والمصادرة ويطلبون الرجوع الى القاهرة وان قد مات ثلاثة الاف وخمسماية صلدات على اسوار عكّا ومات في الطاعون وعلى الطرقات ما ينيف عن الف صلدات ومع ذلك المخاوف التي قصوها والبلايا التي ذاقوها وهم لم يزالوا في طاعة غريبة ومحبّة عجيبة الى امير الجيوش اذ كان عندهم كالاه يخضعون الى امره ويصبرون على مرّه وحرّه ملازمين على حمده وشكره وفي احدى عشر يوم من ذى الحجة سنة ۱۲۱۳ امر امير الجيوش بالقيام بجميع المضارب والخيام وانتقل الى مدينة حيفا وكان فيها عدّة حواصل قطن الى الجزّار فامر بحرق الجميع ومن هناك ساروا الى مدينة يافا فاخذوا ما كان لهم من الامتعة والمدافع

الكبار ودفنوها في الارمال وقد كانوا اخذين من العساكر العثمانية اربعة الاف بندقية فارموها في البحر واحرقوا المراكب التي كانوا اخذوها من الاسلام واخذوا الذين فيها اساري وكانوا نحو ثلثماية نفر فامر امير الجيوش ان يصنعوا اخشابًا كالنعوش ويضعوا عليها المجرّحين والمشوّشين وكل اربع انفار من هولاء الماسورين يحملوا على اكتافهم خشبة ويمشوا امام العسكر وقبضوا على السيّد يحيى مفتي مدينة يافا واربعة انفار من التجار واخذهم صحبته ونهض من مدينة يافا الى غزّة وكان الجنرال القايم بها قبض على خمسة انفار من التجار في البلد وطلب منهم جانب من المال ثم سار امير الجيوش الى قلعة العريش وهناك وضع المشوّشين والمجروحين وامر الجنرال كليبر ان يسري على قطية بعساكره الى مدينة دمياط وسار امير الجيوش بباقي العسكر الى مدينة القاهرة وامامه اوليك الاسرى ماشيين ووصل الى العادلة بالقرب من مدينة بلبيس وارسل اخبر القيمقام الجنرال دوكا بقدومه فخرج المشار اليه مع شيخ البلد وساير الجنرالية والعساكر وعلماء البلد والحكّام والاعيان وارباب الديوان والاوجاقات واقبلوا عليه وهنّوه بقدومه وبعد الجلوس قال لهم لقد بلغني ان بعض المفسدين والاعداء الكاذبين قد اشاعوا عني الاخبار انني قد متّ في تلك الديار فامعنوا النظر لتتحقّقوا الخبر

وانظروا هل ان بونابرته مات ام بعده فى الحياة وقولوا للمفسدين لا يتأملوا بهذا الامل بونابرته قد جاء سالمًا غانمًا باذن المالك العزيز ولم يمت حتى يدوس جميع الممالك فاجابوه لا باس على امير الجيوش لقد كذب كل من قال اطال الله لنا بقاك ولا شمت بك اعداءك وجعلنا من الدنيا فداك وبالحقيقة كانت شاعت عنه تلك الاخبار وفرحت اهل تلك الديار ثم دخل مصر بموكب شهير وراه الكبير والصغير ومشت امامه جميع العساكر الفرنساوية وحكام واعيان وعلماء واغاوات مدينة مصر المحمية ودخل من باب النصر بالعز والنصر نهار الجمعة عاشر يوم من شهر محرم الحرام افتتاح سنة ۱۲۱۴ وكان يومًا عظيمًا وموكبًا جسيمًا وحينما ولج بمنزله الكاين على بركة اليزبكية كتب فرمانًا باللغة الفرنساوية وارسله الى ديوان العلماء وامرهم ان يترجموه الى اللغة العربية خطابًا من علماء الديوان الى ساير الاقاليم المصرية ويطبعوه فى اللغة العربية ويعلقوه على شوارع القاهرة ويفرقوه على جميع الاقاليم العامرة

وهذه هى صورة ذلك الفرمان

من محفل الديوان الخصوصى بمصر المحروسة خطابًا الى اقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة

والبحرية النصيحة من الايمان قال الله تعالى فى محكم القرآن
فلا تتبعوا خطوات الشيطان وقال تعالى لا تطيعوا امر
المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون فعلى
العاقل ان يدبّر الامور قبل وقوع المحذور نخبّركم يا معشر
المؤمنين انكم لا تسمعوا كلام الكذّابين فتصبحوا على ما
فعلتم نادمين وقد حضر الى محروسة مصر المحمية امير
الجيوش الفرنساوية حضرة بونابرته محبّ الملّة المحمدية ونزل
بعسكره فى العادلية سليمًا من العطب والاسقام شاكرًا لله
موحدًا للملك العلّام ودخل الى مصر من باب النصر يوم
الجمعة عاشر محرّم سنة ١٢١٤ من الهجرية عليه السلام فى
موكب كبير عظيم بشنّك جليل فخم وعسكر كثير جسيم
وصحبته العلماء الازهرية والسادات البكرية والعنانية
والدامورشية والخضوية والاحمدية والرفاعية والقادرية
والاوجاقات السبعية السلطانية وارباب الاقلام الديوانية
واعيان التجار المصرية وكان يومًا مشهورًا عظيمًا لم يقع
نظيره فى المواكب السابقة قديمًا وخرجت سكّان مصر
جميعًا لملاقاته فوجدوه هو الامير الاوّل بونابرته بذاته
وصفاته واظهر لهم ان الناس يكذبون عليه وشرح الله
صدره للاسلام ونظر الله بعين لطفه اليه والذين اشاعوا
عنه هذه الاخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغزّ الهاربة

ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعيّة وتحقير اهل الملّة الاسلامية وتعطيل الاموال الديوانية ولا يحبّون راحة العباد قد ازال الله دولتهم من شدّة ظلمهم وقد بلغنا ان الالفي توجّه الى الشرقية مع بعض المجرمين من العربان والقبايل الفجرة المفسدين يسعون في الارض بالفساد وينهبون اموال المسلمين ان ربّك بالمرصاد ويزوّرون على الفلاحين مكاتيب كاذبة ويدعون ان عساكر السلطاني حاضرة والحال ليس لها تحضير فلا اصل لهذا الخبر ولا صحة له ولا اثر وانما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر مثلما كان يفعل ابراهيم بيك في غزّة حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان ويدعي انها من طرف السلطان ويصدّقوه اهل الارياف خسفاء العقول ولا يعتبرون بالعواقب فيقعون في المصايب واهل الصعيد طردوا الغزّ من بلادهم خوفا على انفسهم وهلاك اعيالهم واولادهم فان المجرم يؤخذ من الجيران وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديّان فكانوا اهل الصعيد احسن عقولا من اهل البحرى بسبب هذا الرأى السديد ونخبّركم ان احمد باشا الجزّار سمّوه بهذا الاسم لكثرة قتله الانفس ولا يفرق بين الاخيار والاشرار وقد جمع طموش كثيرة من عساكر العثمانية ومن الغزّ والعرب واسافل العريش وكان مراده الاستيلاء على

مصر واقليمها واحبّوا اجتماعهم عليه لاخذ اموالها وهتك حريمها ولكن لم تساعده الاقتدار والله يفعل ما يشاء ويختار والطائفة خفية والكلام على ضعو الفنية وقد كان ارسل بعض هذه العساكر الى قلعة العريش ومراده يصل الى قطية فتوجّه سارى عسكر امير الجيوش الفرنساوية بونابرته وكسر عساكر الجزّار الذين كانوا فى العريش ونادوا الفرار الفرار بعد ما حلّ باكثرهم القتل والدمار وكانوا نحو ثلثين الف وملك قلعة العريش واخذوا ما فيها من ذخاير الجزّار بلا خلاف ثم توجّه السرعسكر الى غزّة فهرب من كان فيها من عسكر الجزّار وفرّوا منه كما يفرّ من الهرّة العصفور ولما دخل قلعة غزّة نادى فى رعيّتها بالامان وامر باقامة العشاير الاسلامية واكرام العلماء والتجار والاعيان ثم انتقل الى الرملة واخذ ما فيها من ذخاير الجزّار من بقسماط ورزّ وشعير وقُرب اكثر من الفين قربة عظام كبار كان جهّزها الجزّار لذهابه الى مصر ولكن لم تساعده الاقدار ثم توجّه الى يافا وحاصرها ثلثة ايّام ثم اخذها واخذ ما فيها من ذخاير الجزّار بالتمام ولنحوسة اهلها انهم لم يرضوا بامانه ولم يدخلوا تحت طاعته وسلطانه وشمول احسانه فدوّر فيهم ضرب السيف من شدّة غيظه وقوّة سلطانه وقتل منهم نحو اربعة الاف ويزيد بعد ما قدم

سورها يفعل الله الذى يقول للشىء كن فيكون واكرم
من كان فيها من اهالى مصر واطعمهم وكساهم وانزلهم
فى المراكب وغفرهم بعساكر خوفًا من العربان واجزل
عطاياه وكان فى يافا نحو خمسة الاف من عسكر الجزّار فهلكوا
جميعًا وبعضهم ما غاطاهم الّا الفرار ثم توجّه من يافا الى جبل
نابلوس فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له
قاقون وحرق خمس قرايا من بلادها وما قدّره سبحانه
فيكون ثم اخرب سور عكّا وهدم قلعة الجزّار التى كانت
حصينة ولم يبق فيها حجر على حجر حتى انه كان قد بنا
حصاراتها وشيّد اسوارها فى نحو عشرين سنة وظلم فى بنايها
عباد الله وكذا عاقبة الظالمين ولما توجّهت اليه اهل بلاد
الجزّار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة فهل ترى لهم
من باقية ونزل عليهم صاعقة من السماء فان قال اهل الشام
كما قلنا ثم توجّه راجعًا الى مصر المحروسة لاجل سببين
الاوّل انه اوعدنا برجوعه الينا باربعة اشهر والوعد عند
الحرّ دين والسبب الثانى انه بلغه ان بعض المفسدين من
الغزّ والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الاقاليم
والبلدان فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الشرور مثل زوال
الغيم عند شروق الشمس وسط النهار فان همّته العلية
واخلاقه المرضية متوجّهة فى البكرة والعشية لا زالت الجور

والشرور من الرعيّة وجدّ لمصر واقليمها شيء عجيب ورغبته
فى الخير لاهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدبيره العجيب يحبّ
الخير لاهل الخير والطاعة ويرغب ان يجعل فيها احسن
التحف والصناعة ولما حضر من الشام احضر معه جملة
اسارى من خاصّ وعامّ وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى
الحروب من الاعداء الاخصام فالويل ثم الويل لمن عاداه
والخير ثم الخير لمن والاه فسلّموا يا عباد الله لقضاء الله
وارضوا بتقدير الله فان الارض لله واقتبلوا احكام الله فان
الملك لله يوتيه لمن يشاء من عباده هذا هو الايمان بالله
ولا تسعوا فى سفك دماكم وهتك اعيالكم ولا تسبّبوا فى
قتل اولادكم ونهب اموالكم ولا تقولوا ان فى الفتنة اعلا
كلمة حاشا الله لم يكن فيها الّا الخذلان وقتل الانفس وذلّ
امّة النبىّ عليه السلام والغزّ والعربان يطغوكم ويغرّوكم
لاجل ان ينهبوكم اذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم
الفرنساوية فغرّوا هاربين منهم كانهم جنود ابليس ولما
حضر السارى عسكر الى مصر اخبر اهل الديوان من خاصّ
وعامّ انه يحبّ دين الاسلام ويعظّم النبىّ عليه السلام
ويحترم القرآن ويقرا به كل يوم باتّقان وامر باقامة شعاير
المساجد الاسلامية واجراء خيرات الاوقاف السلطانية
وسلّم عوايد الاوجاقية وسعى فى حصول اقوات الرعيّة

فانظروا هذه الالطاف والمزية ببركة نبيّنا اشرف البرايـة واوعدنا بامرين عظيمين في الاسلام انه يبنى لنا مسجدًا عظيمًا بمصر لا نظير له في الاقطار وانه يدخل في دين النبيّ المختار عليه افضل الصلوة والسلام ختام ثم وضعوا امضاهم كما مذكور قبل وهم العلماء المصرية والاغاوات والاعيان الاوجاقيـة »

وقد طبع هذا الفرمان ووزّعه على الاقاليم المصرية وكان ما ذكر في هذا الفرمان عنه قصده لتهذيب اخلاقهم وتليين اعناقهم وترقيد الفتن والمشاجرات وعدم المناكرات اذ كان عارفًا ما يورد عليهم من الحادثات وانه مضطرّ الى الرحيل لما قد بلغه عن قيام الممالك وانه سيترك الفرنساوية بمصر بكل ضيق وحصر فلذلك كان يودّ المسلمين ويُظهر لهم الحبّ اليقين ويشهد لهم بحسن الدين وانه واياهم على الحق المبين وهم كانوا لهذا الكلام غير محقّقين وان كل ذلك خداع ونفاق وابتداع فكانوا غير مطمأنين هذه وهو غير فاتر عن مسألتهم وجذب قلوبهم ومؤانستهم وكان يباحثهم بامور الدين ويريهم انهم على الحق اليقين وكان مملوءًا من الحكمة والعلوم وقيل انه كان يعلم بامور القلم الفلكي اذ انه كان يتفوّه بامور تحدث في ميقاتها قبل اوقاتها ويقول هو المنصوص على ظهوره فلا ينتظروا احدًا بعده وهو

الذى يملا الارض عدلًا وقد صدّق كثيرون منهم انه هو المهدى ولم تتغيّر عليهم بسوى الملابيس الافرنجية فلو جاء بالفرجية لامنت به الرعيّة وقد كنّا ذكرنا كلما جرى للفرنساوية فى ابتداء دخول الى الديار المصرية فى نصف شهر محرّم [illegible]تتاح سنة ١٢١٣ وما قضوا من المكافحات والجهاد والشرور والفساد وقد مات منهم جمع غفير وكابدوا تعبًا كثيرًا واعداءهم الانكليز وابطين عليهم البواغيظ ونفور البلاد العربية وعدم ميلهم عليهم ووصول الاذية اليهم لان اهالى البلاد قتلوا منهم اناسًا كثيرين بالانفراد وكانوا يدخلونهم الى منازلهم بالامان ويقتلونهم ويخفونهم وكانت الفرنساوية قلوبهم مطمأنة من قبل الاسلام ولا ينقلون السلاح الّا فى وقت الحرب والكفاح وكانت نساء مصر وخوارجها كثيرة فكانوا ياخذون الفرنساوية الى منازلهم الزامًا ويقتلونهم ويرمونهم فى الابيار ويخفون منهم الاثار وقد فقد منهم كثيرون بهذه الوسايط والانكاد ووقع كثير منهم فى علّة الجدام من ذلك الفساد وذلك المرض وجوده كثير فى تلك البلاد وقد مات من الفرنساوية من ابتدا دخولهم الى الديار المصرية الى حين رجوعهم من الديار الشامية ما ينوف عن خمسة عشر الفًا وقلّ عددهم ولكن لم يضعف جلدهم وكانوا مع كلّ تلك الاحوال والبلاء والنكال

ما ازدادوا الّا قوةً وباس وصعوبةً ومراس وحسن الشيم والعطا والكرم وكثر فى زمانهم فى تلك الاقاليم الرخص والخير العمم وعدم الظلم والعدوان واظهار العدل والايمان وكان بعد رجوع امير الجيوش الى مصر قد هرب القاضى وترك اعياله فى البلد فامر ان يرفعوا ولده الى القلعة ويختموا على جميع ارزاقه فاجتمعت العلماء وارباب الديوان وكتبوا عرض حال يترجّوا امير الجيوش بذلك الحال وطلق ولده من القلعة ورفع الضبط عن المال والعيال فقبل سؤالهم وارثى لحالهم واطلق الولد بشرط ان لا يقيم فى البلد وصرفه فى ماله واعياله ثم انه احضر شيخ العريش والبسه فروًا فاخرًا ثمينًا واقامه قاضيًا امينًا وفى شهر محرّم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤ ظهر فى اراضى البحيرة عند دمنهور رجل مغربى وقيل انه ابن سلطان الغرب فجمع من المغاربة والهوارة والعربان والفلّاحين جمعًا عزيزًا وقطع الطرقات فبلغ خبره الى حاكم الاسكندرية فارسل اليه شردمة من عسكر الفرنساوية وكبسوا عليه وانتشر بينهم القتال فانهزم ذلك المغربى بعسكره فى البرارى والتلال ولم تزل الفرنساوية فى اثارهم حتّى اهلكوا اكثرهم وكان هذا الرجل يدّعى النبوّة ويقول انه حينما يلقى نظره على الكفّار فيتلاشون كالغبار فكان الامر بضدّ ذلك الاقرار وقد جرّعوه كؤوس

المهالك وتشتّتت تلك الجموع ورجعت الفرنساوية بالسكون والهجوع وفى اثنى عشر صفر سنة ١٢١٤ هجرية حضر هجان من الاسكندرية بكتابة الى امير الجيوش يخبره ان العمارة العثمانية ظهرت فى ثغر الاسكندرية وعدّتها ثمانون مركبًا كبارًا وصغارًا وانهم اذ لم يقدروا يستقبلوا البوغاظ من الكلل والقنابر الكثير فتعمّدوا الى قلعة ابوقير وكان وصول ذلك الهجان عند الغروب وهو على سفرة الماكول والمشروب فنهض بالحال كالمرعوب وامر بحضور الخيل للركوب وفرّق الاوامر على الجنرالية وامرهم ان يتبعوه بالعساكر الى الرحمانية وكتب الى الجنرال كليبر ان يحضر من دمياط على طريق البرّ ثم ركب من ذلك المحضر بعسكره الخاصّ الذى يلبس الجوخ الاخضر وسار على تلك النيّة حتّى وصل الى اراضى الرحمانية فاتاه الخبر من الاسكندرية ان المراكب العثمانية ملكت قلعة ابوقير وهربت منها الفرنساوية وان العساكر جميعًا خرجت الى البرّية وبنوا بمساعدة الانكليز متاريس عظيمة فى تلك الاقطار ووضعوا فوقها المدافع الكبار وفرّقوا البيورلديات على جميع تلك الديار واستنهضوا للقيام الفلّاحين والعربان واهالى تلك البلدان ولبسوا من مصطفى باشا الاكراك وابتهجت الاسلام بورود عسكر الاتراك وخشى امير الجيوش من قيام العامّة من مصر وغيرها من البلدان

فكتب فرمان الى علماء مصر وارباب الديوان يخبرهم بورود المراكب وخروج عساكرها الى البرّ وانهم مراكب النصارى ولكن ربّما معهم بعض مسلمين وتعريفه بذلك استنادًا على الفرمان الذى ورد من الدولة العثمانية الى الجزّار والاقطار الشامية حيث يقول قريبًا تحضر لكم الصونتما النهايونية مع صونتما دولة المسكوبية المتّحدة مع دولتنا بالحبّ والصدوقية ويحضر لكم ايضًا عشرين الفًا مقاتل فى البرّ من الدولة القوية غير العساكر البحرية لاجل طرد الملّة الفرنساوية وهذا الفرمان قد حضرت صورته الى امير الجيوش واطّلع عليه العلماء والاعيان واهل تلك البلدان ولاجل ذلك حرّر امير الجيوش لهم ذلك الفرمان لاجل ترقيه الفتن والهرج وان تلك المراكب من النصارى الافرنج

وهذه صورة الفرمان نقلاً عن المطبعة

من حضرة سارى عسكر امير الجيوش الكبير بونابرته خطابًا الى ديوان مصر المحروسة اوّله لا اله الّا الله محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نخبر محفل علماء الديوان بمصر المنتخب من احسنهم واكملهم فى العقل والتدبير عليهم سلام الله ورحمته وبركاته بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم نخبركم يا اهل الديوان المكرّمين اننا وضعنا

جماعة من عسكرنا بجبل الطونا وبعد ذلك سرنا الى اقليم بحيرية لاجل ما نردّ راحة الرعايا المساكين واتاصص اعدامنا المحاربين وقد وصلنا في السلامة الى الرجمانية وعفونا عفوًا عموميًا عن كلّ اهل البحرية حتّى صار اهل الاقاليم في راحة تامّة ونعمة عامّة وسكنت الفتنة واطمأنت ثم نخبركم انه وصل ثمانون مركبًا صغارًا وكبارًا حتّى ظهروا بثغر الاسكندرية وقصدوا ان يدخلوها فلم يمكنهم الدخول لكثرة كلل والمدافع النازلة عليهم فرحلوا عنها وتوجّهوا الى ناحية ابوقير وابتدوا ينزلوا في برّ ابوقير وانا الان تركتهم وقصدى انهم يتكاملوا الجميع في البرّ وانزل عليهم واقتل من لا يطيع واخلّى في الحيوة الطايعين واتيكم بهم محبوسين لاجل ان يكون في ذلك شان عظيم في مدينة مصر والسبب في مجيّ هذه العمارة الى هذا الطرف العشم بالاجتماع على المالك والعربان لاجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصرى وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسكوب الافرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكلّ من كان موحّد الله وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظرًا الى كفرهم في معتقدهم يجعلون الالهة ثلثة وان الله ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشرك ولكن عن قريب يظهر لهم ان الثلثة لا تعطى القوّة وان

8.

كثرة الالهة لا تنفع لانّها باطلة بل ان الله الواحد هو الذى
يعطى النصرة لمن يوحّده وهو الرحمن الرحيم المساعد
الامين المعين المقوّى للعادلين الموحّدين المبعت الماحق رأى
الفاسدين المشركين وقد سبق فى علمه القديم وقضاءه
العظيم وتقديره المستقيم انه اعطانى هذا الاقليم العظيم
وقدّر وحكم بحضورى الى مصر لاجل تغيير الامور الفاسدة
وانواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم
وبرهان قدرته العظيمة ووحدانية المستقيمة انه لم يقدّر
الذين يعتقدون ان الله ثلثة قوّةً مثل قوّتنا لانهم ما
قدروا ان يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدون بوحدانية
الله ونعرف انه العزيز القادر القوىّ القاهر المدبّر الكاينات
المحيط علمه بالسماويات والارضيات والقايم بامور المخلوقات
هذا ما فى الايات وبالكتب المنزلات ونخبركم بالمسلمين ان
كانوا محبتهم يكونوا من المغضوبين لمخالفتهم لوصية النبىّ
عليه افضل السلام بسبب اتّفاقهم مع الخارجين الكفرة
اللئام لان اعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام ويا ويل لمن
كانت نصرته فى اعداء الله يكون المنتصر كافر او يكون
منسلم فهولاء ساقهم التقدير الى الهلاك والتدمير وكيف المسلم
ان ينزل فى مركب تحت بيراق الصليب ويسمع فى حقّ
الله الواحد الاحد الفرد الصمد من الكفّار كلّ يوم كلام

تجديف واحتقار ولا شكّ ان هذا المسلم فى هذا الحال اقبح من الكافر الاصلى فى الضلال نريد منكم يا اهل الديوان ان تخبروا بهذا الخبر جميع القرايا والبلدان لاجل ان يمتنع اهل الفساد من الفتنة بين الرعيّة فى ساير الاقاليم المصرية لان البلد الذى يحصل فيها الشرّ يحصل لهم الضرر والقصاص وانصحوهم بحفظ انفسهم من الهلاك خوفا عليهم ان نفعل فيهم مثلما فعلنا فى اهل دمنهور وغيره من البلاد والشرور بسبب سلوكهم مسالك القبيحة فاقصصناهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرًا فى رحمانية يوم الاحد فى ١٧ صفر سنة ١٢١٤

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية

ثم ان امير الجيوش بعد ان تكامل عنده جيش الفرنساوية سار من الرحمانية طالب قلعة ابوقير وحرب ذلك الجمع الغفير والجيش الكثير وحين فهم ان متاريسهم منيعة عالية اخذ يدبّر كيفية تملّكها بحسن فطنته السامية فاحضر الجنرال ميراد الذى كان من القوم الشداد وسارى عسكر الخيالة الجياد وامره ان يهجم اولًا بالخيل حتّى اذا اطلقت الاعداء مدافعها فتصيب الخيل وتسلم الرجال ثم تهجم طوابير المشاة من اليمين واليسار على المتاريس ويملكوها فى

الحال ثم اصطفّت الصفوف ودقّت البوتات والطبول للحرب واستعدّا الفريقان للطعن والضرب وبرز الجنرال ميراد بالخيل الشداد وهجم على تلك العساكر بالفرسان الجواسر والليوث الكواسر فضربت عليهم المدافع من متاريس الاتراك فصابت الخيل وتساقطت من على ظهرها الرجال واكثرهم بلى بالموت والنكال والذى سلم ما خطر له الموت على بال بل تقدّم للحرب والقتال وهجمت العساكر المشاة من اليمين والشمال وعظمت الاهوال وكثر النكال وذاقت الاسلام حرب لم يخطر لهم على بال واخذهم الخوف والانذهال وايقنوا بالذلّ والوبال وتملّكت الفرنساوية المتاريس وابلوهم بالموت والتعكيس وحاطوا بالاسلام من كلّ مكان وابهتوهم بالضرب والطعان والقطيعة والخذلان وحين رأت الاسلام ان ليس نجاة وايسوا من الحيوة القوا السلاح طمعًا بسلامة الارواح وطلبوا الامان واختاروا الاسر والهوان وصارت الفرنساوية تقبض عليهم باليد وهم فى عنا وكدّ ولم يخلص من تلك القبايل لا فارس ولا راجل بل اخذتهم الفرنساوية عن اخرهم فمنهم قُتل ومنهم أُسر ومنهم متّخن بالجراح وكثير اجساد بلا ارواح والذى منهم كان هارب لم يقدر يصل الى المراكب وهجم احد الصلدات على صيوان الوزير مصطفى كوسا باشا وقبض عليه واراد قتله فعرّفه بنفسه

بعد ان كان ضربه بالسيف وجرحه بيده فعفى عنه واحضره الى قدّام امير الجيوش فترحّب به واخرج من جيبه منديل ثمين وربط يد مصطفى باشا فيه واجلسه بالقرب منه واكرمه غاية الاكرام ثم قبضوا ايضًا على عثمان خواجا هذا كان متسلّم بزمان الغزّ على مدينة رشيد ولمّا حضروا الفرنساوية هرب الى القسطنطينية وحضر صحبة مصطفى باشا وحين حضر الى قدّام امير الجيوش وفهم امره امر بحفظه وكان دخلت شردمة من عسكر العثماني الى قلعة ابوقير ومعهم ابن مصطفى باشا فامر امير الجيوش ان يضربوا عليه الكلل والقنابر وبعد اربعة ايام سلّموا بالامان وقبضوا على ابن مصطفى باشا واحضروه قدّام امير الجيوش فامر ان ياخذوه الى خيمة ابوه بكلّ اكرام وكان امر امير الجيوش الى المجروحين من تلك العساكر ان ينزلوا بثلاث مراكب ويسافروا الى بلادهم ويخبروا بحالهم وما جرى عليهم وما نالهم وابقى الاسارى السالمين تحت الاسر المهين وغنمت الفرنساوية بهولاء العساكر اذ لم يخلص منهم احد سوى الذين سافروا مجروحين في المراكب وكانت هذه الوقعة في اربعة وعشرين شهر صفر سنة ١٢١٤ وجمعوا اوليك الاسرى وكانوا نحو ثلثة الاف عدا عن تلك المجاريح الذين منّ عليهم امير الجيوش بخلاصهم

وسيّرهم الى اعيالهم وباقى تلك العساكر افنتهم الفرنساوية بالسيف الباتر والرصاص المتواتر وكان قد انجرح الجنرال ميراد جرحًا بليغًا بحنكه من رصاص اصابه فاغتاظ لاجله امير الجيوش غيظًا عظيمًا وقتل الجنرال تركو مع مقدار ثلثماية صلدات وحين وقعت النصرة على الاسلام ارسل امير الجيوش يخبر القيمقام فى الذى صار وما وقع من الانتصار فعمل فى مصر فرحة عظيمة ثلثة ايّام وكتب الى علماء الديوان يخبرهم بهذه البشارة الجليلة الشان

صورة مكتوب الجنرال دوكا قيمقام امير الجيوش

من حضرة سارى عسكر الجنرال دوكا قيمقام امير الجيوش بمصر حالاً الى علماء الاسلام وكافة ارباب الديوان بعد السلام عليكم وكثرة الاشواق اليكم لا يخفاكم انه وصلنى خبر صحيح بان العساكر الفرنساوية ملكت قلعة ابوقير فى ١٤ شهر ترميدور الموافق الى شهر صفر سنة ١٢١٤ وانهم استاسروا فيها ثلثة الاف نفر ومن الجملة مصطفى باشا وغاية ما وقع ان العمارة التى نزلت فى ابوقير كانت بها عساكر خمسة عشر الف لم يخلص منهم احد بل الكلّ تلاشوا وهلكوا ثم اخبركم عن لسان حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته انكم فى الحال تُظهرون هذا الخبر بين الخاصّ والعامّ وتشهروه

فى الاقاليم المصرية فانه خبر فيه سرور وفرح والزمكم انكم تعرّفونى فى الحال عن اشهار هذا الخبر الفاخر المعتبر واخبركم ان حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته يحضر اليكم عن قريب والله تعالى يحفظكم والسلام ختام

تحريرًا فى ٢٢ شهر ترميدور سنة السابعة لمشيخة الفرنساوية الموافقة الى ٢ ربيع الاوّل سنة ١٢١٤

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر حالًا

واما امير الجيوش بونابرته نهض بالجيوش من اراضى ابوقير الى الرحمانية وارسل عثمان خواجا الى بندر رشيد وامر بقتله هناك وحين توارَدت الاخبار الى القاهرة بما جرى على العساكر العثمانية فنزل على مسلمين مصر البلية وخابت منهم تلك الاملية وحزنوا حزنًا عظيمًا اذا كان فى املهم ان تملك الاسلام تلك الاقاليم وفى خامس شهر ربيع اوّل حضر امير الجيوش الى مصر ودخل بالعزّ والنصر وبليت اعداؤُه بالذّل والقهر وبحبته مصطفى باشا وولده ماسورين مع جملة الاسارى وفى ثانى يوم من وصوله حضرت لعنده جميع الحكّام والعلماء والاعيان وارباب الديوان وهنّوه بقدومه وانتصاره فنظر اليهم بعين فراسته واعتباره وقد وجدهم فى حزن عظيم وقد بلغه الهرج الذى حدث بغيابه

وعزمهم عليه في انقلابه والكتابات التي اتت اليهم من مصطفى باشا وعثمان خواجا حين حضروا الى ابوقير فقال لهم قد اخذني منكم العجب ايها العلماء والسادات اذ انني اراكم تغتمون وتحزنون من انتصاري حتى الان ما عرفتم مقداري وقد خاطبتكم مرارًا عديدة واخبرتكم باقوال بانني انا مسلم موحّد واعظم النبيّ محمد واودّ المسلمين وانتم الى الان غير مصدّقين وقد ظننتم ان خطابي هذا اليكم خشيةً منكم مع انكم شاهدتم باعينكم وسمعتم باذنكم قوّة بطشي واقتداري وحققتم فتوحاتي وانتصاري فقولي لكم اني احبّ النبيّ محمّد وذلك لانه بطل مثلي وظهوره مثل ظهوري بل وانا اعظم منه اذ انني غزوت اكثر منه وامّا لي باقي غزوات عزيزة وانتصارات كثيرة سوف تسمعونها باذانكم وتشاهدونها باعيانكم فلو كنتم عرفتموني لكنتم عبدتموني وسوف ياتيكم زمان به تذلّون وعلى ما فعلتم تندمون وعلى ايّامنا تتحسّرون وتبكون فانا قد بغضت النصارى ولاشيت ديانتهم وهدمت معابدهم وقتلت كهنتهم وكسرت صلبانهم ورفضت ايمانهم ومع ذلك اراهم يفرحون لفرحي ويحزنون لحزني فهل تريدون ان ارجع نصرانيًا ثانيًا فاذا رجعت فلا ترون في رجوعي فايدة فدعوا عنكم هذه الاحوال واقتبلوا لامر الله المتعال وكونوا

فارحين مطمأنين ليحصل لكم النجاح والصلاح وقد نبهتكم مرارًا عديدة ونصحتكم نصايح مفيدة فان كنتم تعرفوها وتذكروها فتربحوا وتفلحوا وان كنتم رفضتوها تخسرون وتندمون ثم انصرفت العلماء وهم متذهلين من هذا الخطاب ومتعجّبين كلّ الاعجاب ولم يقدر احد يردّ له جواب واسكن مصطفى باشا وولده وبعض اتباعه في مسكن عظيم وعيّن لهم المصاريف التى تلزم اليهم وابتدا يكاتب الدولة العثمانية عن يد مصطفى باشا ويذكرهم صداقة الفرنساويين القديمة واتّحادهم مع الدولة العثمانية من اعوام عديدة وايّام مديدة ويحرصهم من باقى الدول الافرنجية وان الاوفق لهم اقامة الفرنساوية في مصر وانهم انسب من الغزّ ويعاهدوا ان يكونوا طايعين والى اوامر الدولة سامعين وتبقى الخطبة والسكّة كما هي باسم الدولة العثمانية ويمشى الحجّ كعادته القديمة ويدفعوا الاموال المعتادة للخزينة وارسل مصطفى باشا هذا الخطاب مع احد اتباعه وابتدا امير الجيوش يدبّر له امر النفوذ الى مدينة باريز لان التهب فواده من تملّك الانكليز وقد ذكرنا ان امير الجيوش بونابرته قد ارسل عثمان خواجا الى مدينة رشيد وعندما وصل القوه في السجن وارسل الجنرال الموجود في رشيد احضر عدّة شهود اسلام واستشهدهم قدام

الديوان الخصوصى فشهدوا له قدّام القاضى والمفتى ان عثمان خواجا فى ايّام مراد بيك كان رجل ظالم وهو الان مستوجب الموت واخرج فتوى من جميع الاعيان وامر ان يطوفوا به المدينة ويقتلوه وارسل الفتوى الى جميع الاقاليم المصرية ليعلّمهم بقتله

وهذه هى صورة الفتوى حكم الشرع الشريف الذى صدر من محكمة رشيد دام جلالها على عثمان خواجا خطابًا الى حضرة الجنرال الحاكم فى البلد المذكورة مؤرّخ باربعة وعشرين من شهر ترميدور سنة السبعة من اقامة الجمهور الفرنساوى يعنى فى الثامن من ربيع الاوّل سنة ١٢١٤

وصلنا مكاتيبكم بالامر اننا نستخبر ونكشف عن جميع الاعمال التى حدثت من طرف عثمان خواجا كرولى وننظر ان كان حصل منه الشرّ اكثر من الخير وبموجب هذا الامر بحضور حضرة سيدنا شيخ الاسلام العالم المتورع الشريف احمد الخضارى مفتى حنفى ونقيب الاشراف المكرّم المحترم الشريف بدوى وقدوة الاعيان الحاجّ احمد اغا السلحدار

والمكرّم على شاوش كتخدا وقدوة التجّار احمد شحال
والمكرّم سليم اغا والمكرّم ابراهيم الجمال والشريف على
الجمانى والشيخ مصطفى ظاهر والشريف ابراهيم سعيد
والمكرّم محمد القادم والحاج باشى سليمان وبحضور جماعة
المسلمين خلاف المذكورين اعلاه ثم حضر رمضان جمودى
ومصطفى الجبّار واحمد شاوش وعبد الله والحاجّ حسن ابو
جوده والحاجّ بدوى المقرالى وعلى ابو زرازى وبدوى دياب
وحسن عرب وثبت من اقرارهم ومن شهاداتهم ان عثمان
الخواجا المذكور كان ظلمهم ظلمًا شديدًا بالضرب والحبس
من دون حقّ ونهب املاكهم وخلاف ذلك سئل من
جماعة المسلمين الحاضرين فى المجلس ان كان حصل من طرف
عثمان خواجا الشرّ اكثر من الخير فكلّهم قالوا بلسان
واحد ان حصل من طرف عثمان خواجا الشرّ اكثر من
الخير وبسبب ذلك انقطع راس عثمان خواجا حاكم رشيد
سابقًا منطابق لاصله ومعناه باسم حاكم رشيد الان

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة

ومن بعد حضور امير الجيوش الى مصر فى ١٢ ربيع الاوّل صنع
مولد النبىّ حسب السنة الماضية وعمل محفلًا عظيمًا واحضر
مصطفى باشا وجميع العلماء والاعيان وصنع وليمة عظيمة لها

تدبير وقيمة واحضر الات الطرب والموسيقة ثم بعد اربعة
ايام ركب بعسكره الخاص واظهر انه يريد يدور على
الاقاليم المصرية لاجل تطمين الرعية واخذ معه الجنرال
اسكندر وثلثماية من العسكر والجنرال ميراد وقصد مدينة
منوف ومن هناك انتقل الى الاسكندرية وبعد ايام وجيزة
دبّر امر السفر وهيّا له ثلثة مراكب وارسل لهم ليلا عدّة
صناديق مملوءة الجواهر الثمينة والاسلحة العظيمة والامتعة
والقماش والامور التي كان اكتسبها وعدّة من المماليك الصغار
كان استخدمهم عنده وزخرف اطواقهم وكساهم وبعد
ذلك التدبير صنع وليمة عظيمة الى الجنرال سميت سرعسكر
الانكليز وكان حين ارتفع الحصار عن الجزّار توجّه بمراكبه
الى تجاه الاسكندرية ومن عادة الافرنج ان في الايّام التي
لم يكن فيها حروب فليس فيه امتناع عن بعضهم بعض
وحين حضر الجنرال سميت ساري عسكر الانكليز تقدّم له
امير الجيوش غاية الاكرام واعطاه هدايا جزيلة الثمن ثم
طلب منه بان ياذن له ان يرسل ثلثة مراكب صغار الى
بلاد فرنسا فاذن له بذلك وبعد رجوع ساري عسكر
الانكليز الى مراكبه في تلك الليلة نزل بونابرته في تلك
المراكب بمن معه من الرجال وخرج من البوغاظ بريح
عاصف وفي ثاني الايّام بلغ خبر مسيره الى الجنرال سميت

فعظم عليه ذلك الامر واقلع بمراكبه فى طلبه فلم يجد له خبر ولا رأى له اثر ونجى منهم بحسن خبرته ومزيد فطنته وسموّ حكمته وقد استغنم الفرص وفرّ منهم كما يفرّ العصفور من القفص وبقوّة المولى العزيز نجى من اعدائه الانكليز ووصل الى مدينة باريز وخلص حاله بتدبير ذلك الامر وكان نفوذه من عجايب الدهر واستغرب اهل ذلك العصر وقالت الناس ما ذلك الّا من غرايب الامور ودليل على سعده المقدور وكانت اقامة فى الديار المصرية اربعة عشر شهرًا وكان قبل نزوله فى المراكب كتب الى الجنرال كليبر يعلّمه بذلك التدبير ويوعده ان يرسل له الاسعاف والامداد بعد وصوله لتلك البلاد وانه يكون قايم عوضه امير الجيوش وكان وقتيذٍ فى مدينة دمياط وكتب ايضًا الى الجنرال دوكا القيمقام انه يكون كما كان من ذلك الاهتمام وان يعلّم اهل الديوان ليوزعوا الاعلام على الرعيّة بكلّ البلدان ويكونوا كما كانوا بامان واطمينان وكتب ايضًا الى جميع الجنرالية يعرّفهم بذهابه وكيف يتدبّرون بعد غيابه ويوصيهم بحفظ البلاد والسلوك مع العباد ويوعدهم بالاسعاف والامداد وانه قريبًا يرجع اليهم بالعساكر الشداد والابطال الجياد وجعل لهم الى رجوعه ميعاد وهى اربعة اشهر تمام واذا ابطئ عليهم بعد تلك الايّام فلهم الاذن ان يسلّموا المملكة

للاسلام بالصلح ويجعلوا الاتّفاق عن يد الانكليز ويذهبوا الى مدينة باريز وعندما شاعت الاخبار فى تلك الديار والاقطار المصرية عن ذهاب امير الجيوش فرحت اهل مصر وحزنت الغرنساوية وامّا امر الجنرال دوكا اصحاب الديوان ان يكتبوا الى ساير البلدان ويخبروهم بذلك الشان

صورة الكتابات

من محفل الديوان الخصوصى خطابًا الى ساير الاقطار المصرية من الاقاليم جهة القبلية والبحرية وكامل الرعايا وفقهم الله نخبركم انه حضر الى الديوان مكتوب من حضرة الجنرال دوكا القيمقام بان سارى عسكر بونابرته الكبير امير الجيوش الغرنساوية توجّه الى البلاد الغرنساوية لاجل حصول الراحة الكاملة الى الاقطار المصرية وانّه كان حضر له استعجال من الجمهور فى بلاده لطول غيابه واخبرنا السارى عسكر دوكا بان السرعسكر الكبير قبل غيابه اقام عوضه رجلًا كاملًا عاقلًا فيه شفقة ورحمة عامّة على الرعيّة جعله اميرًا على الجيوش الغرنساوية واخبرنا القيمقام اننا نكون فى غاية الامان والاطمئنان على ديننا وعرضنا ومتاجرنا واموالنا واسباب معاشنا كما كنّا فى زمان حضرة السرعسكر الكبير بونابرته فننصحكم يا ايّها الرعايا لا تطيعوا اهل الفساد

واتركوا الفتن والعناد وامتثلوا امر خالق العباد والسلام عليكم ختام

الفقير السيد خليل البكرى	الفقير عبد الله الشرقاوى
نقيب الاشراف	رئس الديوان
الفقير محمد المهدى	الفقير مصطفى الصاوى
كاتم سرّ الديوان	الشافعى
الفقير سليمان الفيومى	الفقير السيّد احمد
المالكى	المحروقى
الفقير على كتخدا بجرلى	الفقير يوسف باش شاوش
باش اختيار	تفكنجيان
الفقير لطف الله	الفقير يوسف
المصرى	فرحات
الفقير جبران	الفقير لومار
سكروج	
الفقير بودوف	الفقير ذو الفقار كتخدا
	كوميسار الاسلام

نظر وعلم وكيل الفرنساوية جلوتيه

طبع بمطبعة الفرنساوية بمصر المحروسة

ثم حضر الجنرال كليبر من دمياط الى بولاق والتقاه القيمقام الجنرال دوكا وشيخ البلد الجنرال دوسطين ودخل الى مصر بالعزّ والنصر ونزل الى منزل امير الجيوش وهو بيت محمد بيك الالفى الكاين على بركة اليزبكية وفى ثانى الايّام حضر اليه ساير الجنرالية والحكّام الفرنساوية والكوميسارية والفسيالية وهنّوه بقدومه وإمرته وحضر علماء الديوان والاغاوات والوالى والمحتسب والتجّار والاعيان وهنّوه بقدومه فالتقاهم بوجه باش وامّنهم وطمّنهم وامرهم يطمّنوا الرعيّة فشملهم الاندهاش من هيبته والانذهال من صولته اذ كان هذا المقدّم اسدًا درغام ذا قوام واعتدال مهابًا بالرجال حسنًا بالجمال له صورة ترعش الكبود وترعب الاسود فنزلوا من امامه وهم فى خشية من كلامه وبعد ذلك حضر مصطفى باشا وولده وهنّوه بقدومه فالتقاهم واكرمهم وجلس امير الجيوش كليبر على تخت القاهرة وكان من القوم الجبابرة وفحص الكتابات التى ابقاها له بونابارته واطلع على جميع الارتشاد الذى ارشده به وفهم الكتابات التى توجّهت الى الدولة العثمانية على يد مصطفى باشا فابتدا امير الجيوش كليبر يتداول مع مصطفى باشا بامر الصلح وكان قد انتشر الخبر فى خروج صدر الاعظم يوسف باشا ضيا المعدنى من مدينة قسطنطينية بالعساكر الهمايونية لاستخلاص المملكة

المصرية من يد الفرنساوية فوصلت الكتابات للامير كليبر من
الصدر الاعظم عن يد مصطفى باشا كوسا وكان خروج
وزير الختام من القسطنطينية فى شهر ربيع الاول سنة ١٢١٤
وقد استكنت حركة مملكة مصر فى تمليك هذا الامير وكان
هو يحب الهدو والسكون وعدم مقاتلة الناس ويميل الى
التنعم والتعظم وكانت الات الموسيقة تضرب امامه بكرة
ومساء وكان جولانه قليلًا وسقطت رعبته فى قلوب المملكة
وابقى هذا الامير جميع ما كان نظمه بونابارته فى الديار
المصرية من دون تغيير ولا تبديل وفى ايام جبر النيل خرج
امير الجيوش بمحفل عظم مع ساير الجنود وقطان القاهرة
وكانت ايام ظاهرة وافراح وافرة ومواكب فاخرة ،وامن
عظم وانس جسم وضرب فى تلك الوقت مدافع ليس لها
عدد وبعد حضور الامير كليبر من دمياط اقام مقامه حاكمًا
الجنرال ورديه ففى هذه المدة حضر نحو خمسين مركب
من مراكب الدولة العثمانية الى ثغر دمياط مشحونة
بالعساكر وبعض مراكب من مراكب الانكليز المقيمين على
البواغيظ وكانت هذه المراكب المذكورة هى التى اتت الى
بوغاظ الاسكندرية صحبة مصطفى باشا كوسا وعساكره ولما
طلعت العساكر الى بر ابوقير وحصل لهم ذلك الانكسار
والتدمير فاقلعت المراكب فى البحر ورجعت جهت جانب

من العسكر وحضرت الى بوغاظ دمياط وعند وصولهم اخرجوا العساكر من المراكب ليلًا الى العزبة فبلغ الجنرال ورديه بان عساكر المسلمين خرجت الى البرّ وبنوا المتاريس فنهض الجنرال المذكور وصار الى العزبة بخمسماية صلدات وقبل شروق الشمس اقبل عليهم وقسم عساكره ثلثة اقسام وهجم على عساكر الاسلام وثارت نيران الحرب والقتال وازدحمت الرجال والابطال وحمى الضرب والطعان وما مكثوا الّا برهةً من الزمان حتّى ذاقوا الموت اشكالاً والوان فارموا سلاحهم وطلبوا الامان واكثرهم القوا انفسهم فى البحر خوفًا من الموت والقهر والذلّ والأُسر فمنهم من صعد الى المراكب ومنهم من مات غريق وكانوا ثلثة الاف فأُسروا منهم ثمانماية بلا خلاف ورجع الجنرال ورديه الى دمياط بالعزّ والنشاط وصنع شنّكًا (١٥) عظيمًا لاجل ذلك الانتصار وافتخر اعظم افتخار وكان قد قبضوا على مقدّم ذلك العسكر وهو الزرناق باشي وكان مجروحًا جرحًا بليغًا واحضر له الجنرال ورديه الحكماء وامرهم بمداواته واخبر امير الجيوش الامير كليبر بذلك الانتصار على ذلك العسكر فلامه على عجلته عليهم بسرعة القدوم اليهم وانه كان واجب امهال الى حين تخرج الجميع من المراكب ويبليهم بالهلاك والمعاطب ثم من بعد اربعة ايّام مات الزرناق باشي من ذلك الجرح الالم والقهر

العظيم فامر الجنرال ورديه ان يصنعوا له ميتمًا عظيمًا واحتفالًا
فخيمًا كعادة روسآء العساكر واحضر علماء المدينة وساير
الاعيان وقواد العساكر وارباب الديوان وامرهم يمشون قدّام
نعشه وبندقتهم منكسة والبس الخيل الحلل السود ودفنه
باكبر الجوامع وافخر المواضع وفى آخر شهر ربيع الاوّل سنة
١٢١٤ قدم الوزير الاعظم والدستور الافخم الى اراضى الشام
بالعزّ والانعام بالعساكر الكثيرة والجيوش الغريرة وارتجت
لقدومه الاقطار وخشيت سطوته الكبار والصغار وكان وزيرًا
عادلًا عاقلًا فاضلًا وعن امور الشريعة مناضلًا يبغض الظلم
والعدوان ويحبّ العدل والامان فامتلأت الارض من العساكر
والعشاير والجيوش والدساكر وبادرت الى حكمته الامراء
والحكّام والخاصّ والعامّ واصحاب المقاطعات والاقاليم بالتحيّة
والتسليم وقدّموا له الهدايا الفخيمة والذخاير العظيمة ثم
انتقل الى غزّة بالاكرام والعزّة وصحبته الجيوش العظام
والباشاوات الفخام والغزّ المصريين الذين كانوا من الافرنج
هاربين وعن ديارهم مطرودين ونشر العدل والامان فى جميع
القرايا والبلدان وطمّن الرعيّة وان يكونوا فى غاية الحمية
حسب الخطوط الشريفة العثمانية والهبات السلطانية وكان
قد طلب الجزّار الى المسير اليه بعساكره القويّة فاعتذر عن
الحضور وتباين بالعصاوة والنفور وامتنع عن تقديم الذخاير

وارسال العساكر وخالف الامر الشريف الفاخر وبعد وصول
الصدر الاعظم الى غزّة ابتدأت المراسلات من امير الجيوش
الفرنساوية بالصلح والاتّفاق ورفع الشرّ والنفاق وكان متعاطي
تلك الامور مصطفى باشا كوسا الماسور الذى ذكره تقدم
وسبق وسنذكر ان شاء الله كلّما تمّ واتّفق وكنّا قد
شرحنا ان امير الجيوش الامير كليبر قد تدبّر حسب ارشاد
سالفه بونابارته بالمراسلات عن يد مصطفى باشا باقامة
الفرنساوية بمصر حسبما تقدّمنا وابت الدولة العثمانية عن
ذلك وتقدّم الوزير الاعظم عقد الصلح بشروط حقيقية
وعهودات ملوكية وان يسلّم مملكة مصر المحمية ويخرج
بالعساكر الفرنساوية على حمية وحين تحقّق امير الجيوش
عدم قبول الدولة العثمانية الى اقامتهم بالديار المصرية
اجاب الى اذهابهم بشروط امينة وعهود متينة وارسل
احضر الجنرال ديزه من الصعيد وكان هذا ساميًا فى المقام
صاحب عقل وتدبير ومقام خطير واحضر غيره من
الجنرالات الكبار وعقد ديوان وقصّ لهم الخبر فنظر ان
الاكثر لهم ميل الى السفر لعدم الامداد وكثرة الاخصام
والاضطهاد وقد خلص الميعاد الذى وعد به بونابارته
وحضر كتابات من الوزير تهديد وتوعيد بالوبال والدمار
ان لم يخرجوا من تلك الديار ويدهمهم بالرجال والابطال

كالرمال والسيل اذا سال بفرسان جبابرة وسيوف باترة وان يسلّموا البلاد ويريحوا دماهم ودما العباد وان لم يسمعوا نصيحته ولا يخشوا سطوته فيحلّ بهم العدم ويندموا حيث لا ينفع الندم فردّ عليه الامير كليبر الجواب امّا قولك ان عساكرك مثل نجوم السماء فهذا حقيق معلوم الّا انها بعيدة عن طاعتك كبعد الارض عن النجوم وامّا قولك انها كالرمال هذا ليس فيه محال فهم كثيرون فى العدد قليلون على الصبر والجلد وقلوبهم اصغر من حبّة الرمل وقوّتهم اضعف من قوّة النمل وامّا عساكرنا الشداد فهى قليلة التعداد ولكنها قوية البطش فى الجلاد قريبة الينا ودايمًا طوع لدنيا فان دفعناها الى الموت تندفع وان ردنا رجوعها ترتجع وان منعناها تمتنع ونحن فى كلّ دقيقة من الزمان مستعدّين للحرب والطعان وقهر الفرسان والشجعان وقبول ما يقدّر علينا العزيز الرحمان واستمرّت الامور على هذا المنوال والخوف منقسم بين الفريقين على كلّ حال فلهذا جعل كلّ من الفريقين وسايط الى الصلح والاصطلاح وعدم النزاع والكفاح وحقن دم العباد وعدم خراب البلاد وكان وسيط بذلك مصطفى باشا كوسا ما بين الامير كليبر وبين الوزير ثم تقدّم الى التوسّط لجنرال سميت سرعسكر الانكليز القايم فى البحر ورابط البواغيظ وانعقد الاتّفاق على ارسال

شخصين من طرف الوزير الاعظم وشخصين من طرف الامير كليبر ان يتقابلا فى حدود العريش وهناك تتواقع المفاوضات والمداولات وتوضح الفرنساوية شروطاتها وربوطاتها ثم توجّه من طرف الوزير الاعظم مصطفى افندى الدفتردار ومصطفى افندى رئيس الديوان وتوجّه من طرف امير الجيوش الامير كليبر الجنرال ديزه والكوميسار بوسلنج وتقابلا الفريقان باراضى العريش وابتدأت المداولة بين هولاء الاربعة اشخاص وقدّمت الفرنساوية شروطها وقدّمت العثمانلى ربوطها وكلّ من الفريقين يكتب ما يتوقّع الى والى امره وينتظر الجواب والوزير فى ارض غزّة وكان حينما تمّ ذلك الايراد وشاعت اخبار الصلح بين العباد تقدّمت بعض عساكر الاسلام الى اراضى العريش ونصبوا الوطاق قريب من القلعة وامّا عساكر الفرنساوية الذين فى القلعة كانوا ثلثماية صلدات وسرعسكر الجنرال غزال وبقى البعض من العساكر يتقدّمون الى القلعة ويخاطبون العساكر الصلدات ويعرّفوهم فى الصلح الذى توقّع فيما بينهم وصارت الصلدات الفرنساوية تنزل من القلعة ويختلطون فى عساكر الاسلام ووقع الوداد بين الجنرال غزال وبين مصطفى باشا ارناووط فدعا الجنرال المذكور الى مصطفى باشا الى القلعة وصنع له وليمة عظيمة وحضر الباشا الى القلعة باناس قليلين العدد وارشد عساكره ان

بعد دخوله الى القلعة يهجمون هجمة واحدة على الباب ويملكون القلعة ويقتلون من بها وكان داير القلعة خندق وامام الباب جسر من خشب وكانوا الفرنساوية يرفعوه ويضعوه في الحبال وكان من بعد دخول مصطفى باشا من باب القلعة هجمت اوليك العساكر بتهجيج عظيم على الباب فلم يعد يمكن الفرنساوية ان يرفعوا الجسر عن الخندق ودخلت العساكر الى القلعة ودار السيف بينهم وعندما نظرت الفرنساوية هذه الخيانة سارع احد الصلدات الى جبخانة البارود والقى فيها النار وطلعت الجبخانة والناس متزاحمة وطارت تلك العوالم ويالها من ساعة كانت مهولة اذ قد احترق بها خلق ما له عدد من العساكر العثمانية والصلدات الفرنساوية وسقط حيط القلعة الى ناحية الباب ومات مصطفى باشا حريقًا بالنار ولم يبق من الفرنساوية سوى نحو ماية نفر فتراكمت العساكر وقبضوا عليهم وحضرت الاخبار الى امير الجيوش كليبر فيما جرى على الفرنساوية الذين في قلعة العريش فاخذه العجب واشتد به الغضب ونبه على العسكر باخذ الأهبة للسفر واحضر مصطفى باشا كوسا واخبره بما جرى وتدبر على عسكره من الموت والضرر وشرح له غدر الاسلام وخيانتهم وعدم امانتهم فتصاعب الامر عليه وكبر ذلك لديه وقال له على موجب هذا الاسلوب كيف تامن منّا

القلوب فبدا مصطفى باشا يتقدّم له الاعتذار ويطرد من قلبه النار ويدعى جهل عساكرهم وعدم طاعتهم الى اكابرهم ويلطّف له الحادثة ويتمنّاه ان لا يجعل الامور باكثنة وكان امير الجيوش لم يزل مصرًّا على الركوب ومستعدًّا للحروب وفى مبادى شهر شعبان سنة ١٢١٤ ركب من مدينة مصر الى مدينة بلبيس بالصالحية بعدّة عساكر قويّة وقبل خروجه من الكنانة احضر العلماء وارباب الديوان وباقى الحكّام والاعيان واوصاهم على الصيانة وعدم الخيانة ورفع البلابل والقلاقل وحفظ الديار من القوم الاشرار ويوعدهم بالدمار والدثار ان كانوا يذكرون عوايدهم السابقة ويتبعون الرأيات المنافقة والمشاقّة فتضمّنت له العلماء والاعيان بهدوّ الرعايا وعدم الافتنان وسار من مدينة القاهرة وشرار الغضب فى فواده ظاهرة وتنفّسات الصعداء من احشائه طايرة وعندما وصل الى ارض الصالحية بدأ يختبر العساكر بفطنته الزكيّة فوجد قلوبهم منقسمة ووجوههم غير مبتسمة ونفوسهم قلقانة ومن الثغور ملانة وقلوبهم الى السفر ظمأنة ومتحسّرين من ثغور اهل الكنانة وخاشين من الخيانة وقد كان اخبره حاكم مدينة بلبيس انه طلب الصلدات الى المسير فامتنعوا ثم اخبروه ايضًا ان الجنرال ورديه حاكم مدينة دمياط انه دقّ طبول المسير الى اراضى قطية حسب امر

امير الجيوش فامتنعت الصلدات وابدت التنكير وابت عن المسير فقلق الجنرال قلقا عظيما اذ كان ذلك ضد عوايد العساكر الفرنساوية ثم بلغه ايضا من حاكم مدينة الاسكندرية ان الصلدات الفرنساوية نهضوا على بعض الكوميسارية المسافرين بامر امير الجيوش الى البلاد الافرنجية ومنعوهم عن السفر بالكلية وقالوا لهم نحن نظيركم بالسوية وبالحرّية ومن المحال ان ندعاكم تسيروا بهذه الاموال ونحن نقاسى الوبال والنكال إمّا اننا نسير سويّةً وإمّا نمكث سويّةً ثم بلغه ايضا ان احد الجنرالية وهو جايز فى اراضى طنطة مقام السيّد البدوى عليه اشرف السلام المشهور فى اراضى مصر خرجت عليه شرذمة من العربان والفلّاحين وكان صحبته ثلثة الاف صلدات فلم يرضوا يحاربوهم وحينما تواردت الاخبار الى امير الجيوش بذلك الديوان وعلم ذلك الشان واتّضح لديه بان قلوب الفرنساوية غير مستوية فكتم ذلك بسرّه وعمل على الصلح والتسليم هذا ما كان من الفرنساوية وامّا ما كان من صدر الدولة العثمانية انه كان باذل جهده باخراج الفرنساوية من المملكة المصرية من غير حرب ولا قتال احتشاشا ممّا يعلمه من بطشهم فى الجدال وقوّة باسهم وشدّة مراسهم وعدم اكتراثهم ومخافةً على خراب البلاد وهلاك العباد وتلاف الاجناد فلذلك ما سرّه اخذ

قلعة العريش بالسيف مما حلّ بعسكره من الحيف بذلك الحريق الفظيع والامر المريع فكان يُريهم الحرب والمصادمة ويتهددهم بالاوامر الصارمة واما قصده ومرامه بان يخرجوا بالسلامة وتستخلص دار الكنانة وكان هذا هو الصواب لان الفرنساوية من اصعب القوم الصعاب وحربهم مرّ العذاب وكانوا قد تمكّنوا القلع المكينة والحصون المتينة والاقاليم والمدينة ويعلم بان حروبهم كثيرة ومقاومتهم خطيرة فلذلك كان يرغب امر الصلح وقد كان كلّ من الفريقين مقصوده الامن والنجاح والتقريب والائتلاف وتدبير الامور من غير خلاف ورفع الخصام وبلوغ المرام فولجت الوسايط بعقد الرباط ورجعوا على ما كانوا عليه من الارتباط وتوفيق الشروط وتمكين العقد المربوط وما زالوا يثبتوا اشياء وينكروا اشياء ويقبلوا اشياء ويرفضوا اشياء حتّى تمّت المواد وحصل المراد واتّفقت الامور على خروج العسكر الفرنساوى من مملكة مصر بالصلح والامان وتسليم الديار المصرية لدولة آل عثمان على شروط وثيقة وعقود حقيقية وامضى عليها الامير كليبر ووزيره الجنرال داماس ثم الجنرال ديزه ثم بوسلنج مدبّر الحدود وامضى عليها الوزير الاعظم والدفتردار رشيد ومصطفى افندى رئس الكتّاب وكلّ من الفريقين اخذ نسخة الشروط وارسل الوزير الصورة الى الدولة العلية

وارسل ايضًا الامير كليبر الصورة الى مدينة باريز الى المشيخة الفرنساوية وهذه الصورة

ان الجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد ان يوضح ما فى نفسه من الشوق لحقن الدما ورأى نهاية الخصام المضرّ الذى حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب الاعلى ارتضى ان يسلّم الاقليم المصرى بحسب هذه الشروط الاتى ذكرها بامل ان فى هذا التسليم يمكن ان يتجدّد ذلك الصلح العامّ فى بلاد الغرب قاطبةً

الشرط الاوّل

ان الجيش الفرنساوى يلزمه ان يتنحّى بالاسلحة والعزال والامتعة الى الاسكندرية ورشيد وابوقير لاجل انه يتوجّه وينتقل بالمراكب الى فرنسا ان كان ذلك فى مراكبهم الخاصّ امر فى تلك المراكب التى يقتضى للباب العالى ان يقدّمها لهم قدر الكفاية ولاجل تجهيز المراكب المذكورة باقرب نوال وقد وقع الاتّفاق ان من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجّه الى قلعة الاسكندرية واحد من الباب العالى ومعه خمسون نفرًا

الشرط الثانى

لا بدّ عن المهلة وتوقيف الحرب بمدّة ثلثة اشهر بالاقاليم المصرية وذلك من عهد امضاء شروط هذا الاتّفاق واذا صادف الامر ان هذه المهلة قد تمّت من قبلما ان المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر مجهّزة فى المهلة المذكورة فيقتضى مطاولتها الى ان ينجز الرحيل على التمام والكمال ولمن الواضح انه لا بدّ عن احراز الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لكيلا يحصل ما يمكن وقوعه من التجس اذ كان ذلك الى الجيش ام لاهل البلاد اذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتّفاق بها لاجل الراحة

الشرط الثالث

فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى تدبيره بيد الوكلاء المنقامين لهذه الغاية من الباب الاعلى وسارى عسكر كليبر واذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل فمن هذا الصدر ينتخب من قبل حضرة سميت سارى عسكر الانكليز رجل ينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الانكليز

الشرط الرابع

فقطية والصالحية فلا بدّ عن خلوصها من جيش الفرنساوية فى ثامن يوم واعظم ما يكون فى عاشر يوم من امضاء الشروط

والاتفاق ومدينة المنصورة يكون خلوّها من بعد خمسة عشر يوم واما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوم واما السويس فيكون خلوها بستة ايام قبل مدينة مصر واما المحلة الكاينة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوّها فى اليوم العاشر والصليطة اى اقلم البحرية فيكون خلوّها بخمسة عشر يوم بعد خلوّ مصر والجهة الغربية لا بدّ انها تستمر بيد الفرنساوية الى ان يكون انحدر العسكر من جهة الصعيد فلهذا السبب جهة الغربية وتعلّقاتها كما ذكر لا يتيسّر خلوّها الّا من بعد انقضاء وقت المهلة المعيّنة ان لم يمكن قبل الميعاد والمحلّات التى تنترك من الجيش تسلم الى الباب الاعلى كما هى حالها الان

الشرط الخامس

ان مدينة مصر ان امكن ذلك يكون خلوّها باربعين يومًا واكثر ما يكون مدّة خمسة واربعين يومًا من امضاء الشروط المذكورة

الشرط السادس

انه لقد وقع الاتّفاق صريحًا على ان الباب الاعلى يصرف كلّ اعتناه فى ان الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصد الذهاب بكامل ما له من السلاح والعزال نحو معسكرهم لا تصير عليه مشقة ولا احدًا يشوّش

عليه ان كان ذلك ممّا يتعلّق شخص كلّ واحد منهم امر بامتعته امر باكرامه وذلك إمّا من قبل اهل البلاد امر من جهة العسكر السلطانى العثمانى

الشرط السابع

وحفظًا لاتمام الشرط المذكور اعلاه وملاحظةً لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة فلا بدّ من استعمال الوسايط فى ان عسكر الاسلام يكون دايمًا مبتعدًا عن عسكر الفرنساوية

الشرط الثامن

من بعد تقرير وامضاء هذه الشروط فكلّمن كان من الاسلام ام من باقى الطوايف من رعايا الباب الاعلى بدون تمييز الاشخاص اوليك الواقع عليهم الضبط ام الذين واقع عليهم الترسيم فى بلاد فرانسا ام تحت امر الفرنساوية بمصر يعطى لهم الاطلاق والعتق وبمثل ذلك كلّ الفرنساويين فى كامل البلدان والاساكل من مملكة العثمانية وكلّ كامل اوليك الاشخاص من اىّ طايفة كانت اوليك الذين كانوا فى تعلّق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لا بدّ عن انعتاقهم

الشرط التاسع

فترجع الاموال والاملاك المتعلّقة بسكّان البلاد والرعايا من الفريقين ام مبالغ اثمانها لاصحابها فيكون الشرع به حالًا

من بعد خلوص مصر والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلاء في اسلامبول المقيمين من الفريقين لهذا القصد

الشرط العاشر

فلا يحصل التشويش الاحد من سكان الاقاليم المصرية من اى ملة كانت وذلك في اشخاصهم ولا في اموالهم نظرًا الى ما يمكن ما يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية بزمان اقامتهم بمصر

الشرط الحادى عشر

لا بدّ انه يُعطى للجيش الفرنساوى ان كان من قبل الباب الاعلى او من قبل المملكتين المرتبطتين معه اعنى به مملكة الانكليز والمملكة المسكوبية فرمانات الاذن واوراق المحافظة بالطريق وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالامن والامان الى بلاد فرانسا

الشرط الثانى عشر

عند نزول الجيش الفرنساوى الكاين بمصر الان ان الباب الاعلى وباقي الممالك المتحدة معه يعاهدون باجمعهم انه من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم الى اراضي فرانسا لا يحصل عليهم شيء قط من الضرر بحضرة الجنرال كليبر سارى عسكر العامّ يعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوى الكاين بمصر بانه لا يصدر منهم ما يؤوّل الى المعاداة على الاطلاق ما

دامت المدّة المذكورة وذلك لا ضدّ العمارة ولا ضدّ بلدة من بلدان الباب الاعلى وباقى الممالك المرتبطة معه وكذلك ان السفن التى يسافر بها الجيش المشار اليه ليس لها ان ترسى فى حدّ من الحدود الآ بتلك التى تختصّ باراضى فرانسا اذا لم يكن ذلك فى حادث ضرورى

الشرط الثالث عشر

ونتيجة ما توقّع الاتّفاق عليه من الاهال المشروط اعلاه بما يلاحظ خلو الاقاليم المصرية والجهة التى وقع عليها هذا الاشتراط فقد اتّفق على انه اذا حضر فى بحر هذه المدّة المذكورة مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين (١٩) الممالك المتّحدة ودخل بميناء الاسكندرية فلازم عن سفر حالًا وذلك بعد ان يكون تحوّج بالمـــاء والزوادة اللازمة ويرجع الى فرانسا وذلك بسندات واوراق الاذن من قبل الممالك المتّحدة واذا صادف الامر ان مركبًا من هذه المراكب يحتاج الى الترقيع فهذا لا غير يباح له بالاقامة الى ان ينتهى اصلاحه وفى الحال من ثم يتوجّه الى بلاد فرانسا نظير الذين قد تقدّم القول عنهم عند اوّل ريح يوافقه

الشرط الرابع عشر

وقد يستطيع حضرة الجنرال كليبر سرعسكر العامّ ان يرسل خبر الى ارباب الحكام الفرنساوية فى الحال ومن يصحب هذا

الخبر لا بدّ ان يوطى له اوراق الاذن بالانطلاق كما يعني ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر الى الحاكم بفرانسا

الشرط الخامس عشر

واذ قد اتّضح ان الجيش الفرنساوى يحتاج الى المعاش اليومى ما دامت الثلاثة اشهر المعيّنة نحو الاقليم المصرى وكذلك لمعاش الثلاثة الاشهر الاخيرة التى يكون مبتداها من اوّل نزولهم بالمراكب فقد وقع الاتّفاق على انه يقدّم له مقدار ما يلزم من القمح واللحم والرزّ والشعير والتبن وذلك بموجب القايمة التي تقدمت الان من وكلاء الجمهور الفرنساوى ان كان ذلك مما يخصّ اقامتهم او ما يلاحظ سفرهم والذى يكون قد اخذه الجيش المذكور مقدار ما كان وذلك من بعد امضاء الشروط فينحسم ممّا قد الزم ذاته بتقدمه الباب الاعلى

الشرط السادس عشر

ثم ان الجيش الفرنساوى منذ ابتداء وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة ليس له ان يفرض على البلاد فرضا من الفرايض قطعًا بالاقاليم المصرية وبالعكس فانه يخلّى للباب الاعلى كامل فرض المال وغيره مما يمكن توجيه قبضه وذلك الى حين سفرهم ومثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك ممّا يتعلّق بهم ولا يريدوا ان يحملوه معهم ونظير ذلك شوْن الغلال الواردة لهم من تحت المرى واخيرًا

مخازن الخرج فهذه كلّها لا بدّ عن الفحص عنها وتسعيرها من الناس وكلاء موجّهين من قبل الباب الاعلى لهذه الغاية ومن الجنرال الانكليز وايضًا من الوكلاء المتصرّفين بامر الجنرال كايبر سارى عسكر وهذه الامتعة لا بدّ عن قبولها من وكلاء المتقدّم ذكرهم بموجب ما وقع عليه الشرط الى حدّ قدر مبلغ ثلاث الاف كيس التى تقتضى الى الجيش الفرنساوى المذكور لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب وان كانت الاسعار فى هذه الامتعة المذكورة لا توازن المبلغ المرقوم اعلاه فى الخسس والنقص فى ذلك لا بدّ عن دفعه فى التمام من قبل الباب الاعلى على جهة السالفة التى يلتزم بوفايها ارباب الاحكام الفرنساوية باوراق التمسكات للمدفوعة من الوكلاء المعيّنين من الجنرال كليبر سرعسكر العامّ لقبض واستيلاء المبلغ المذكور

الشرط السابع عشر

ثمّ انه اذ كان تقتضى الجيوش الفرنساوية ببعض المصاريف لخلوّهم مصر فلا بدّ ان يقبض ذلك من بعد تقرير مسك الشروط المذكورة القدر المحدور اعلاه بوجه الذى نذكره اعنى من بعد مضى خمسة عشر يوم خمسماية كيس وفى غلاقة ثلثين يوم خمسماية كيس اخرى وتمام الاربعين يوم ثلاثماية كيس اخرى وعندما كمال للخمسين يوم

ثلاثماية كيس اخرى وفى الستين يوم ثلاثماية كيس اخرى وفى السبعين يوم ثلاثماية كيس اخرى وفى الثمانين يوم ثلاثماية كيس اخرى وعند غلاقة التسعين يوم خمسماية كيس اخرى وهذه كلّ الاكياس المذكورة هى عن كلّ كيس خمسماية قرش عثمنلى ويكون قبضها من يد الوكلاء المعيّنين لهذه الغاية من قبل الباب الاعلى ولكى يسهل اجراء العمل بما وقع عليه الاعتماد فالباب الاعلى من بعد وضع الامضاء بالنسختين من الفريقين يوجّه حالًا الوكلاء الى مدينة مصر وفى بقيّة البلاد المستمرّة بها الجيوش

الشرط الثامن عشر

ثم ان فرض المال الذى يكون قد قبضته الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة وقبل ان يكون قد اشتهر هذا الاتّفاق فى الجهات المختلفة بالاقاليم المصرية فقد تنحسم من قدر الثلاثة الاف كيس المقدّم القول عنها

الشرط التاسع عشر

ثم لكى يسهل خلوّ المحلّات سريعًا فالنزول للمراكب الفرنساوية المختصّة بالجولة الموجودة فى المين والاقاليم المصرية مباح به ما دامت الثلاثة اشهر المذكورة المعيّنة للمهلة وذلك من دمياط ورشيد حتّى الى الاسكندرية ومن الاسكندرية حتّى الى رشيد ودمياط

الشرط العشرون

فمن حيث انه للاطمينان الكلى فى جهة البلاد الغربية يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوبا والطاعون عن انه يتصل هناك فلا يباح ولا لشخص من المرضى او من اوليك الذين مشكوك بهم ريحة من هذا الداء الطاعونى ان ينزل بالمراكب بل ان المرضى بعلة الطاعون او بعلة اخرى ايتما كانت التى بسببها لا يقتضى ان يسمح بصرفه بمدة خلو الاقاليم المصرية الواقع عليها الاتفاق يستمرون فى بيمارستانات المرضى حيث هم تحت امان جناب الوزير الاعظم ويعالجونهم الاطباء من الفرنساويين اوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم الى ان يتم شفاهم يسمح لهم بالرحيل الشى الذى لا بد منه اقتضا الاستعجال به باسرع ما يمكن ويحصل لهم ويبدو نحوهم بما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر فى هذا الاتفاق نظير ما يجرى على باقى الجيش ثم ان امير الجيوش الفرنساوى يبذل جهده فى ابراز الاوامر باشد حرامة لروساء العساكر النازلة بالمراكب بان لا يسمحوا لهم بالنزول بميناء خلاف المين التى تتعين لهم من روساء الاطباء تلك المين التى يتيسر لهم بها ان يقضوا ايام الكارنتينا باوفر سهولة من حيث انها من مجرا العادة ولا بد عنها .

الشرط الحادى والعشرون

وكلما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها فى هذه الشروط فلا بدّ عن تجازها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعيّنين لهذا القصد من قبل جناب الوزير الاعظم وحضرة الجنرال كليبر سارى عسكر العامّ بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلوّ

الشرط الثانى والعشرون

وهذه الشروط لا تعدّ صحيحة الّا من بعد اقرار الفريقين وتبديل النسخ وذلك بمدّة ثمانية ايّام ومن بعد حصول هذا الاقرار لا بدّ من حفظ هذه الشروط وحفظ اليقين من الفريقين كليهما ثم صحّ وتقرّر بختوماتنا الخاصّية بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحدّ العريش فى شهر بلويوز سنة الثامنة من اقامة المشيخة الفرنساوية وفى رابع وعشرين شهر كانون الثانى سنة ١٨٠٠ المسيحية الواقع فى ثمانية وعشرين من شهر شعبان هلالى سنة ١٢١٤ للهجرة

وهذه اسماء الوكلاء الممضين

جناب مصطفى رشيد افندى دفتردار	بوسلنج مدبّر الحدود	مصطفى افندى ريّس الكتّاب
ممضى الجنرال كليبر	الجنرال داماس	الجنرال ديزه المتفرقة

صح وجرى بمحل المعسكر العامّ بالصالحية

ثم ان الجنرال كليبر من بعدما امضى على الشروط المقدّم ذكرها نهض من ارض الصالحية ورجع الى القاهرة وارسل صورة الشروط الى المطبعة الفرنساوية وطبّعها فى العربية وارسلها الى الديوان الخصوصى بمصر وهو ديوان العلماء وشاع خبرها فى ساير الاقاليم المصرية وصار فرح عظيم عند الملّة الاسلامية باستنقاذ مصر من يد الفرنساوية ورجوعها الى الدولة العثمانية وبدا الامير كليبر امير الجيوش بجمع العساكر من الاقاليم ويرسلها الى بندر رشيد والى الاسكندرية وفى هذه الفترة عزم على السفر الجنرال ديزه وبوسلنج مدبّر الحدود وسافر ايضًا عدّة جنرالية وكوميسارية والجنرال دوكا والجنرال ويال وغيرهم وهولاء جميعهم اتّفقوا يبيعوا خيولهم واثقالهم ويستحضرون ما يلزمهم فى الطريق وامّا ما كان من الوزير الاعظم فانه من بعد مضى الشروط المقدّم ذكرها ارسل فرمان الى مصطفى باشا كوسا انه يكون قيمقامه فى القاهرة الى ان يحلّ ركابه السعيد ثم ارسل فرمانًا للتاجر المعروف بمصر باحمد المحروقى وانه يكون مباشر مع مصطفى باشا امور مدينة مصر واقطارها ثم ارسل صورة الشروط الى الباب الاعلى وطلب مراكب السفر للفرنساوية من الاسكندرية حكم الشروط المحرّرة وصار فى مدينة القسطنطينية فرحًا عظيمًا وامر السلطان سليم بزينة عظيمة

وضربت المدافع الكثيرة وبدت تتجهز المراكب وتوسق البضايع من القسطنطينية وغيرها لمصر والى الاسكندرية وسياتي عنها النص وشاع اخبار هذا الصلح في ساير الاقطار وكامل الامصار وكان فرح عظيم وسرور جسيم وانتشرت الاعلام في اراضي الشام وكان عند الاسلام الفرح التام وبدا الوزير الاعظم يتقدم بالجيوش والعساكر وكلما اخلت الفرنساوية محلاً من البلاد يرسل له العساكر والاجناد وما زال الوزير ينسلم من الفرنساوية القلع والحصون والبلدان العامرة الى ان صار بالقرب من القاهرة وحضر اليه الامير مراد بيك الذي كان مقيم في اراضي الصعيد ومعه جملة من السناجق والكشاف واكرمه الوزير واعطاه ولمن معه وكان قد تضايق من طول الغربة وترادفت العساكر العثمانية والجيوش السلطانية وامتدوا الى مداينة بلبيس والى العادلية وبقوا مسافة ثلاثة ساعات عن القاهرة بالجيوش الوافرة والعساكر المتكاثرة واجتمعت عليه العربان وسكان تلك البلدان وبقت العساكر تنوف عن ماية الف وخرجت اعيان مصر والعلماء والحكام وتجار وعوام الى مقابلة وزير الختام واندهش السمع والبصر من رويا ذلك العسكر والجيش المفتخر وكادت القلوب ان تذوب من الفرح والسرور من تغيير تلك الامور وخلاص بلاد المسلمين من يد الكافرين

وفى فصل الشهور واحسن السنين تنكست اعلام الفرنساويين وسافر اكثرهم الى الاسكندرية وخليت منهم غالب اراضى المصرية وجعل الوزير الاعظم يرسل الى مصطفى باشا ان يعلم النسارى عسكر الامير كليبر انه يعجل بالخروج من مصر ولو انه قبل الميعاد ويقيم فى بلدة الجيرة وهناك تكمل عدّة الايام المعلومة واخبر مصطفى باشا الامير كليبر بذلك فاغتاظ من ذلك الامر واجابه ان الوزير اسرع بقدومه الى ارض مصر ولم يسر على حكم ما تقرّر فى الشروط لاجل ذلك نخشى وقوع الخلل بين العساكر اذ انّنى ارى عساكرهم مختلطين مع عساكرنا وهذا ضدّ الشروط التى امضيناها عليها حتّى الى الان لم ارى الذخاير تحضّرت ولا المراكب تجهّزت وانا فلا يمكنّى الخروج الى الجيرة قبل تمام الميعاد وتتميم المدّة المعيّنة الى اخر دقيقة واعرض مصطفى باشا على الوزير جواب الامير كليبر فلم يقنع الوزير من ذلك السبب ولم يكلّ من الطلب من هرج الجماهير والعصب وميل العساكر لبلوغ الارب اذ كان عجبهم من عجب ولا يسلمّ العجب من العطب فكانوا يلجون الى الكنانة بقلوب من الاحقاد ملآنة وفى نفوسهم الغدر والخيانة وهذا وعسكر الفرنساوية لم تزل على حال واحد مستوية سايرين على ما بينهم مأمنين من مكرهم وفى بعض الايّام جاز احد الصلدات

في احد الشوارع فنهضوا عليه خمسة من الانكشارية وضربه احدهم بالياتغان فقتله وتراكضت الصلدات الفرنساوية واخبرت امير الجيوش فامر العساكر ان تتجهز وتستعدّ للمصادمة وصارت رجّة عظيمة في المدينة فبلغ مصطفى باشا كوسا فركب حالاً من منزله وحضر الى بيت السارى عسكر فوجده في حالة الغضب مستعدّ للافتراس والعطب وبدا يعاتب مصطفى باشا ويلوم الوزير على سرعة انتقاله وعدم ضبط رجاله ويذكّره ما تقرر في الشروط من عدم اختلاط العساكر خشيةً من مثل هذه المشاكل والمخاطر فاخذ مصطفى باشا يبرّر ذاته ويروّق عكاره ويوعده بمنع العساكر عن الدخول وبقتل القاتلين للخمسة ديةً المقتول ولم يزل يرطبه بلين الخطاب حتى نزع ما بقلبه من الاضطراب وانعم له واجاب ثم نهض مصطفى باشا في الحال واعرض على الوزير ما حدث من التكدير وانذره غاية التنذير وحذّره غاية التحذير انه يكون على حذق بصير وينّبه على الكبير والصغير ويمنع عن الدخول الى مصر القليل والكثير ولا يترك احد يدخل الى مدينة القاهرة خشيةً من وقوع المخاصمة والمشاجرة فلما فهم الوزير الاعظم ما اعرضه مصطفى باشا غضب غضبًا شديدًا ما عليه مزيد وامر بامتناع العساكر عن الدخول الى القاهرة وبقتل الخمسة

انفار عوضا عن المقتول وقبض على الخمسة المذكورين وارسل
خنقهم قدام بيت السارى عسكر فى بركة اليزبكية
ورقدت الفتنة واستكنت الفرنساوية هذا والوزير الاعظم
لم يزل يطلب الدخول الى القاهرة قبل تمام الميعاد المعين
فى الشروط من تقدم العساكر عليه وامير الجيوش لم يمكنه
من ذلك حتى تتم الوعدة وتنقضى المدة وكان الامير
كليبر يجمع الجبخانة والعساكر من القلع والحصون ولم يبق
سوى القلعة الكبيرة فقط ولما انتهى الميعاد الى التمام وفاض
عليه خمسة ايام ارسل الامير كليبر سرعسكر العام الى
مصطفى باشا ان يتسلم القلعة الكبيرة وكان ذلك نهار الاربعة
الواقع فى ثمانية من شهر شوال ذى المعامع والاهوال فابى
مصطفى باشا ان يتسلم القلعة نهار الاربعة وذلك لما يتعقدون
به من النحوسات والتنكيس وترك التسليم الى الخميس وكان
به الخطا والتعكيس وقد كان رحل اكثر الفرنساوية الى بر
الجيزة ولم يبق منهم سوى القليل والسارى عسكر وشرذمة
وجيزة وفى تلك ليلة الخميس الذى كان بدو التعكيس اذ
كانوا عزموا عند الصباح يتسلم مصطفى باشا القلعة الكبيرة
تحضر كتابة الى الامير كليبر من الجنرال سند سميت سارى
عسكر الانكليز وبه يقول انه لقد حضرت لى كتابة جديدة
من مملكة انكليترا كرسى الدولة الانكليزية اذنى لا اسمح

لكم بالخروج من مملكة مصر الا اسراء بيدنا من بعدما تسلمونا جميع اموالكم وكامل سلاحكم وتسيرون معنا الى مملكة انكليترا كرسى دولتنا واما عهودكم وشروطكم مع الدولة العثمانية على التسليم والذهاب الى مملكة باريز كرسى المشيخة الفرنساوية فهى صارت فاسدة وعلى غير قاعدة واذ كنا نحن الوسيطين بذلك سابقا وواضعين شهادتنا بها فلزم اننا ننبه عليكم الان بانتقاضها من بروز الاوامر الجديدة وذلك حكم القوانين الملوكية الدارجة بين الممالك الافرنجية لكيلا يعود على دولتنا الغدر والخيانة فاعتمدوا تنبيهنا عليكم قبل تسليم الكنانة فلما وصل ذلك الكتاب الى امير الجيوش الفرنساوية واطلع على تلك الالفاظ المنكية فاتقدت به النار وانشب من انفه الشرار واحضر حالًا كامل الجنرالية وباقى رؤساء العساكر وساير الفيسالية وعقد ديوانًا فى منزله على شاطى بركة اليزبكية وقرأ عليهم كتاب الجنرال سميث سرعسكر الانكليزية فشملهم حزن عظيم وغم جسيم وتحركت الاحقاد فى القلوب وكادت ان تذوب منهم الكبود وعظم عليهم ما فى ذلك المكتوب ونادوا جميعهم بصوت واحد وقلب جامد الدمار الدمار بهذه الديار ولا الوقوع بهذا الاستيسار فنطق امير الجيوش يعج عجيج الدهوش بصوت افظ من صوت الوحوش ويذكرهم افعالهم وتغيير احوالهم

وعدم امتثالهم وحنيّتهم الى الاوطان وترك الحرب والطعان وان لم يقبل الى هذا الصلح والتسليم الّا من بعد ان شاهد قلقهم العظيم ومللهم الجسيم فاجابوه الجميع اننا لا نخرج الّا على موجب الشروط والوثاق المربوط وبدون ذلك لا تتهيّأ لنا المسالك فنبّه على وزير الختام ان يرجع الى اراضى الشام ويثبت لنا شروط ويؤيّد لنا خطوطه بكتابة من دولة الانكليز ويمضى عليها مكلهم لا من المقيم على البواغيظ بادهابنا الى مملكة باريز بامن حريز وان كان لم يرتجع عن دربه فيلزمنا ان نتصدّر لحربه وتكون عهوده معنا غير صادقة وقصده اخراجنا بالمخاتلة والمنافقة ليلقينا فى يد اعدائنا ويكونوا الجميع مترابطين على سفك دمانا فعندما نظر امير الجيوش تمكّن قلوبهم فاجابهم الى مطلوبهم واوعدهم بصدّهم وردّهم الى ان يبلغوا مرغوبهم وانتهى الديوان وانصرف اوليك الاعيان وبدا امير الجيوش يفرّق الاعلام على العساكر ويعرّفهم بابطال السفر وشاع الخبر وانتشر وبدت العساكر ترجع الى منازلها اذ كان خرج اكثرها الى بر الجيزة ولم يبق منها الّا شردمة وجيزة واحضر حالًا مصطفى باشا واخبره بالكتاب الذى ورد من الجنرال سميت وان يخبر الوزير الاعظم ان يرجع بعساكره الى حدود العريش ويقم هناك بينما يخاطب دولة الانكليز ويستاذنهم

باخراج الجمهور الفرنساوى من مملكة مصر واذهابهم الى بلادهم والاوطان حكم الاتفاق المقرّر فى الشروط على موجب العقد المربوط فغاص مصطفى باشا فى تيار من الافكار ليس له قرار وقال لعمرى ان هذا الخطب خطير وامر عسير فلا حول ولا قوّة الّا بالله العزيز القدير لانه كان ذايقًا تلك الروعة وشاربًا كاس اللوعة فنزل من امام السرعسكر كليبر وهو فى همّ وغمّ كثير وصار الى منزله واعرض على الوزير ما سمعه من الجنرال كليبر فاغتاظ الوزير غيظًا عظيمًا وغضب غضبًا جسيمًا وابتدوا يتداولون كيف انهم يحتالون على اخراج الفرنساوية من المدينة بطريقة امينة وان لم يرتضوا يخرجوهم بقوّة متينة وكتب الوزير الى السرعسكر كليبر يقول له انه لقد بلغنا فحوى الكتاب الذى ورد اليكم من الجنرال سميث سارى عسكر الانكليز وانه قد توعّد لكم بالاستيسار بعد خروجكم من هذه الديار فكونوا امينين مطمأنين ومن هذا القبيل غير خاشين فالسارى عسكر المذكور لا يستطيع ان يتعرّض لكم من بعد اشهار خاطر الدولة العلية عليكم ونحن ان شاء الله نهيّئ لكم كلّما يأوّل الى راحتكم ولا ندع الانكليز يعارضكم وتسيّروا فى مراكبنا الى ارضكم ومواطنكم بكلّ امان واطمينان بدون ثقلة ولا هوان وحاشا ان بعد الشفقة تبدا نحوكم القساوة فالمراد

ان تسلّموا المدينة واذهبوا الى بلدة الجيزة وقيموا هناك بكرامة عزيزة لبينما تتجهّز لكم الذخاير والمراكب وتسيروا على حسب الشروط المقرّرة والعهود المحرّرة فقد تمّ وانتهى ميعاد اقامتكم في مدينة مصر ولم نعد نسمح لكم بالاقامة بها ولا يومًا واحدًا لاننا بالحصر وعساكرنا وافرة وجيوشنا متكاثرة وفرساننا جبابرة ولم نكن قادرين على حجزهم عن الهجوم على القاهرة ونخشى عليكم من التلاف والعدم وتندمون حيث لا ينفعكم الندم فقد نبّهنا عليكم بالخروج والسلام وارسل ذلك الفرمان ليد مصطفى باشا واوصله المذكور الى امير الجيوش الامير كليبر ولما وصل اليه كتاب الوزير الاعظم غضب وتمقم وردّ جواب الى الوزير وهو ان الشروط التى تعاهدنا عليها قد انتقضت وفسدت لان سارى عسكر الانكليز من بعد اقراره بسفرنا الى مملكة باريز نكث بعهده وخفض بوعده وقصد لحجزنا وتهيّأ لأسرنا امتثالاً لاوامر دولته وتكميل وظيفته وقد نبّه علينا بذلك واعلمنا بساير المسالك وما مهيّا لنا من المهالك حسب عوايد الممالك فلاجل ذلك من المستحيل اننا نخرج من هذه المملكة على شروط مشركة او نسير بطريق غير مسلكة ونلقى نفوسنا بهذه المهلكة فينبغى ان ترجعوا بعساكركم اقلّما يكون الى مدينة بلبيس وتقيموا هناك لحينما تُخرجوا لنا

اوامر جديدة من دولة الانكليز بسفرنا الى مملكة باريز حكم الشروط والعقد المربوط وهذا جوابنا والسلام ولما وصل ذلك الجواب الى وزير الختام اعتراه الهمّ والاغتمام واخذه الاضطرام من ذلك الكلام وتراكمت عليه الاوهام وصعب عليه القيام بهذا الجيش الملتأم وقامت ضجّة عظيمة بذلك العسكر وصاحت الاسلام الله اكبر وطلبوا الهجوم على مصر والمضاربة وكانت امورهم غير صايبة واما الوزير الاعظم كان من أعقل وزراء الدولة العثمانية مشهورًا بالفطنة الزكية والاخلاق المرضية وهو من الارهاط المستوية فبقي حايرًا في هذه الامور الردية وحدوث تلك الحركة القوية وتاه فكره ما بين امرين مذهلين ومشكلتين عظيمتين وخطرين جسيمين وعظم الامر عليه كيف يرجع الى الورا بعد ان كان عزم على دخول القاهرة بالمواكب واللواء الفاخرة وهو الوالي على البلاد وتحت امره جميع العباد وجيشه كثير الاعداد وقريب المراد وممالك مصر بالحقيقة كانوا ينوفوا عن عشر ملايين خليقة فلم يسعه ان يرجع على هذا المنوال وبقي قلبه خايف من الحرب والقتال خشيةً من الفشل وخيبة الامل لما يعلم في الفرنساوية من كامل الفروسية في حربهم الشديد وما عندهم من المراس وقوّة الباس وتملّكهم للقلع والحصون وانصبابهم على الموت والمنون ولكن غلبت عليه قوّة

النفس وما امكنه يجاوب الّا لجواب امس وفرّق الاعلام على القبايل والعشاير وبدا يثمّ لعقده الجيوش والعساكر وحينما وصل الجواب الثانى الى امير الجيوش الامير كليبر ووجده النصّ كالاوّل وان الوزير عن ابواب مصر لا يتحوّل فجاوبه هو ايضًا بعدم الذهاب والخروج وبدا يحصن القلع والبروج وكتب الى ساير العساكر الفرنساوية التى كانت سايرة الى رشيد واسكندرية ان يرجعوا الى مصر وبدا يضعهم خارجًا عند باب النصر ونصب المضارب والخيام على باب البلد من الجبل الجيوشى الى البحر وتكامل عسكره على ثمانية عشر الفًا مقاتل من كل ليث مجادل وقرم مخاتل واجتمعت العساكر العثمانية مع الطموش المصرية على نحو مايه وستّين الف وامتلأت منهم تلك البوادى من كل وادى ونادى والمخاطبات كالمجاوبات على نصّ واحد وزعم جامد وقلب متباعد وكل منهم بعيد التدانى ولا يلين احدهما الى الثانى واستقامت تلك المحاولات والمخاطبات على ذلك المرام سبعة ايّام ثم طلب الوزير الاعظم واحد من المتقدّمين عند الامير كليبر لاجل المفاوضة بذلك الامر العسير فارسل له الجنرال بوضوط مع ترجمانه الخاصّ فساروا الى العسكر العثمانى وعند دخولهم على الوزير تحرّك بالغضب عليهما ولعنهما وشتمهما وامر بالقبض على الجنرال بوضوط وطرد الترجمان وقال له اذهب الى مولاك

الكافر وقل له ان لم في الغد يسافر والّا دهمته بهذه العساكر واطلقت فيكم النار ولا اعفى على كافر من هولاء الكفّار ورجع الترجمان وهو مرعوب فزعان ودمعه هتّان على ما حلّ بصاحبه من الذلّ والهوان واخبر الامير كليبر بما سمع من الوزير وكيف اسر الجنرال بوضوط وتركه في القيود مربوط وما توعّده به من الدمار والدثار ان لم يخرجوا من تلك الديار فلما سمع امير الجيوش ذلك الخبر طارت من عينيه الشرار وكاد قلبه يتفطر وقام وقعد وارغا وازبد وفي الحال امر بخروج المدافع والجبخانة واحضر مصطفى باشا كوسا الذي كان في مصر مقيم ووضع عليه الترسيم واحضر القنصل النمساوي وقبض عليه لان كان ملكه متّحد مع الدولة العثمانية وفي تلك البلاد يحارب الفرنساوية وسجن الاثنين في منزله الكاين في بركة اليزبكية وكان ذلك نهار الخميس الواقع في ستّة وعشرين شوّال الذي به حال الارتحال وبان تغيير الاحوال ولاحت علامات الاهوال وبات السارى عسكر تلك الليلة على نية الحرب والقتال ومصادمة الابطال وارسل الاخبار الى روٴساء العساكر ان يكونوا على غاية الحذر وان المسير قبل طلوع النهار سبحان الله القهّار القاهر الجبابرة الكبّار وهو العزيز الجبّار ذو الجلالة والاقتدار ولما كان نصف ذلك الليل ركب امير الجيوش بالخيل وسارت قدّامه تلك

الابطال والفرسان كانهم الجانّ او عفاريت سيدنا سليمان لا يهابون الموت ولا يخشون الفوت فليس لهم عن الحرب عايق ولا يخشون حلول البوايق بهمّة اقوى من الجبال وقلوب قد تعوّدت على لقاء الاهوال وكان قد ترك فى منزله الجنرال درانطون مع ستّين نفر صلدات لاجل حفظ المنزل من الافات وفى القلاع قليل من الرجال وعندهم المرضى والمشوّشين من الحروب معطّلين والكتّاب والنساء والذين لا يدخلون الحرب تركهم فى الجيزة وطلب بذلك الجميع الغفير قتال عسكر الوزير ويكبس على عسكر الاسلام فى حندس الظلام والناس نيام ويبلغ منهم المرام ومن قبل ان يصل اليهم ويهجم عليهم اطلق مدفع التنبيه ثم اطلق ثانيه فانتبهت عساكر الغزّ المصريين لانهم من ذلك معوّدين وذاقوا حرب الفرنساويين وركب مراد بيك جواده وقد ارتعد فواده وارسل الى ناصيف باشا ابن وزير الاعظم يقول له الفرنسيس اقتربوا الينا والظاهر انهم كابسين علينا فانهض بالعساكر ولا تكن غير فاكر فاجابه ناصيف باشا بقلب فاتر ان الفرنسيس الكافر لا يستطيع الهجوم على هولاء العساكر وفى تلك الساعة اطلق امير الجيوش المدفع الثالث الكبير وهو مجدّ بالمسير فتحقّق ناصيف باشا قدوم الكفّار وبقى فى رعب وافتكار وايقن بالذلّ والاحتقار وكان هو فى اوّل عسكر فى الانكشارية مع الغزّ

المصرية وانتبهت عساكر الاسلام واستعدّوا للحرب والصدام ومشوا بضجّة وهرج طالبين ملاقاة الافرنج هذا والفرنساويون قادمون عليهم بقلب غير هايم وضرب البارود الدايم ولما تقاربا الفريقان وضجت الاسلام بضجيج ارتعدت منه الجبال ولكن بقلوب مرتاعة من لقاء الاهوال فرجعت الى خلف الفرنساوية بمخاتلة ومكيدة حتّى طمعت بهم تلك الجماهير المتشدّدة فانقسمت الفرنساوية قسمين واطلقوا عليهم مدفعين ثم اطلقوا عليهم نار البارود ودهمتهم تلك العساكر والجنود فيالها من ساعة يكلّ عن وصفها اللسان وترتعد من ذكرها الابدان وترتعب من سماعها الانس والجانّ وتصادمت تلك الجيشان العظام تحت غسق الظلام وماجت جيوش الاسلام واكثرهم طلب الهرب والانهزام وصدمتهم الافرنج الى الصدام واورثتهم مواريث الاعدام وبدلت فيهم الحُسام تحت ستور الظلام والتطمت العساكر كالبحور الزواخر وارمت الفرنساوية عليهم الكلل والقنابر كالسيل القاطر وجادوا عليهم بضرب السيوف البواتر وكثر الصياح وزاد النواح وزهقت الارواح من ضرب السلاح وطلبت الاسلام الهرب والرواح فى تلك البوادى والبطاح وصاحوا الفرار الفرار من وقوع الاقدار وقد بليوا بالعدم والدمار والذلّ والانكسار وتشتّتت تلك الجيوش فى البرارى والقفار

وهم يتعوذون بالله الجبار من شدة باس الكفار الذين لم يكن لهم بالموت افتكار وولّى الوزير ومن معه هاربين وللنجاة طالبين ولم يزالوا الفرنساوية في اثرهم سايرين وما طلع الصباح واشرقت الشمس على تلك الارض الّا وبقت القتلاء مطروحين في طولها والعرض هذا وذلك الاسد المغوار والليث الهدّار كليبر الجنرال امير الجيوش بجّ عجيج الجمال ويحرّض ابطاله على الحرب والقتال ويقول لهم اجعلوها وقعة الانفصال ولا تبقوا على احد من هولاء الانذال ولم يزالوا يرموهم بالبارود والنار والقتلاء تتساقط مثل اوراق الاشجار والنصارى عسكروا بجوادهم باوّل العسكر كالاسد الكاسر والعُقاب الجاذر الى ان دخلوا القوم مدينة بلبيس ودخل الوزير الى المدينة بنفس حزينة ووصلت الفرنساوية بذلك الاقتدار ويتقدمهم الاسد المغوار والليث الهدّار واحاطوا بالاسوار وارسل الى الوزير ان يترك البلد ويخرج منها والّا يحرقها بمن فيها فردّ له جواب ان مدينة مصر قد امتلكوها باصبعنا بلشا والغزّ المصريون وانتم الآن صرتم منها مطرودين فاترك الحرب وارجع عن الطعن ودعنا نعود لما كنّا عليه من الشروط والعهود فقال الامير كليبر للرسول ارجع الى صاحبك الوزير وقل له ان يخرج من هذه البلد والّا احرقها بالنار ولا اتركه يقيم ساعة من النهار وان كان قصده يتّفق معنا

اتّفاقًا جديدًا فيذهب الى قلعة العريش ومن هناك يخاطبنى بما يريده وانا قد خاطبته امرارًا ان يرجع الى بلبيس ويجاوبنى بما يقتضى فما كان يقنع ولا يرتضى واما الان لم يمكن اطاوعه على ذلك بعدما سقيت عساكره كؤوس المهالك وبعد جملة المراسلات تحقّق الوزير ان لا يمكن يرجع عنه الان وهو فى ذلك المكان فخرج من مدينة بلبيس وسار الى الصالحية والى قطية ومن قطية الى العريش ولم يزل سايرًا الى مدينة غزّة وامير الجيوش سايرًا اثرهم على مهله الى ارض الصالحية وقد تفرّقت تلك الجيوش فى البرارى والقفار وحلّ بهم الموت والدمار ومات كثير على الطرقات من التعب والعطش والجوع والحرّ بتلك الفلوات وكسبت الفرنساوية تلك الاموال والخيل والجمال والعُدد الغوال والمدافع والجبخانات وحينما وصل امير الجيوش الى الصالحية ارسل الجنرال بليار على طريق البرّ الى حدّ دمياط ووضع جانبًا من الصلدات فى قلعة قطية وقلاع بلبيس والصالحية ولما وصل الجنرال بليار الى دمياط فخرجت عليه اهلها والاتراك الذين بها والقاهم ذلك الجنرال بالرجال والابطال قدّام المدينة واطلق عليهم المدافع المتينة فرجعوا من امامه مهزومين وللنجاة طالبين واحتموا فى منازلهم والبيوت من شرّ ذلك البهموت وخرجت العلماء والاعيان وطلبوا منه الامان ووضعوا

المحارم فى اعناقهم اشارةَ الذلّ والهوان ودخل الى المدينة وتسلّم الحصون المتينة ورجع فى الحال الى مصر بكلّ عزّ ونصر واما ما كان من امير الجيوش كليبر ذلك البطل الخضير فانه حين كسر عسكر الاسلام وفرّقهم فى تلك الروابى والاكام وهمّ فى مسيره فى طلب الوزير الى انّ اشرف على مدينة بلبيس فبعدما ابعد فى تلك الاراضى تجمّع البعض من عساكر السلام عند ضحا النهار فمنهم الغزّ وناصيف باشا العظيم والبعض من الانكشارية والمصريين الذين فى تلك الاراضى خبيرين واتوا الى مصر ودخلوا من باب النصر وكتب ناصيف باشا الى الوزير يعرّفه انه قد دخل القاهرة بعساكر وافرة وملكوا الكنانة لانه لم يكن بها احد من الفرنساوية وارسل الكتاب مع هجّان ولم يدر ما حلّ ببقية عسكر الوزير من الذلّ وحين دخل ناصيف باشا والغزّ الى مصر استبشرت اهلها بالعزّ والنصر وكانوا قد خافوا من الفرنساوية لترجع اليهم وتبذل سيوفها فيهم فاستنهضوا مع الغزّ فى الحال وعلّلوا ارواحهم بالمُحال وهجموا على حارة الافرنج التجّار فنهبوا الاموال وقتلوا الرجال وسبوا الحريم وقتلوا الاطفال وبدوا يتعصّبون عصبًا ويهجمون على دور النصارى فينهبون ويسبون ويصنعون القساوة والفساد شى ما له تعداد وهجموا على حارة الاقباط وقفلوا فى وجوههم الابواب وكان بها ذلك القبطى الذى كان

مع الجنرال ديزه فى الصعيد فردهم مع اصحابه فى الحرب العنيد والرصاص الشديد واتت الغزّ الى حارة البربكية وهجموا على بيت الساري عسكر فضربتهم الصلدات بالرصاص والنار ومنعوهم عن دخول الدار وكان لهم يوم يذكر جيلًا بعد جيل لما به من الهول الجزيل والخوف العظيم والهمّ الجسيم والعذاب الاليم وقد تيقّنت النصارى بالهلاك والدمار وهتك الحريم وخراب الديار وقام عثمان بيك كتخدا الدولة العلية فى ذو الفقار ومعه الامراء المصرية واتت اليه المشايخ والعلماء الاسلامية وجميع التجّار مع التاجر المشهور السيّد احمد المحروقى المعلوم عند الوزير بالمعرفة والتدبير وناصيف باشا نزل عند بركة البزبكية بالانكشارية واما مراد بيك لم يدخل البلد احتسابًا ممّا يتجدّد وبقى يجول فى برّ الجيزة فى شردمة وجيزة بفطنته الحريزة وكان عثمان بيك كتخدا الدولة العلية ذو نفس عتبيّة واخلاق مرضيّة وفطنة ذكيّة فاخذته الشفقة والرحمة على الرعية واطلق المناداة برفع الاذاة عن النصارى والرعية ومنع الاسلام المنع التمام عن النهب والحرام وقال لهم لا يجوز فى ساير الاديان الاذاة على رعية السلطان وغضب من ذلك الشان وامر اجناده ان تدور بالحارات وكل من بدا منه فساد يقطعوه بالسيوف الحُدّاد ولم تزل النار تثور والشرّ يفور والخلايق قايمة والهيجات دايمة

على حارات الاقباط وبيت النصارى عسكر ذلك النهار بتمامه والليل بظلامه والخلايق تجتمع والجماهير تندفع وهم يهيجون هيج الجمال ويهجمون هجم الرجال ويرجعون خايبين الامال وقد اندهشت الابصار وحارت الافكار وتاه العقل وطار وحار القايل ما يقول وخشى الناقل تكذيب المنقول فى صلابة اوليك الستين صلدات الابطال وثبات قلوبهم على حمل هذه الاهوال اذ كانت تهجم عليهم الخلايق افواج كالبحر العجاج وتهجم عليهم الجيوش هجمات الوحوش الوف الوف تفوق العدد والصفوف ما لها مدد وهذا الجنرال الصنديد يتلقاهم بعزم شديد وذلك الثبات بستين صلدات واستمروا على ذلك الشان يومان عظيمان وهذه العوالم تندفع دفعة بعد دفعة وهى على بيت النصارى عسكر مجتمعة وعن حربهم غير مرتجعة ولا زالوا يهجمون ويرجعون بلا منفعة حتى ولى ذلك النهار القهار وكان اوليك الصلدات تتلقى تلك الجموعات الهاجمة من كل الجهات اذ كان كل منهم يصادم الوفا ويرغم الوفا ويهزم صفوفا فاجتمع رأيهم ان يتركوهم ويذهبوا الى الجيزة وما كانوا يعلمون ما تم الى العساكر الفرنساوية مع العساكر العثمانية فى تلك البرية وحين رأوا اكثر تلك العساكر التى دخلت الى مصر استبشروا بالعز والنصر وبينما هم سايرين الى الجيزة فالتقاهم رجل راكب من عسكر

العثمانية على جواد متين عليه هيئة السفر فسألوه ما الخبر فاعلمهم ان جيش الوزير انكسر وامير الجيوش انتصر فانقطعت ظهورهم وحاروا في امورهم وانثنوا على اوليك الصلدات وزاد الحرب وكثر البلاء والكرب واظهر ذلك الجنرال درانطون غرايب الفنون وكان هذا الجنرال راسه ممسوح من الشعر لكبر سنه فكانت اهل مصر تدعوه الاقرع والليث الادرع واشتد الحصار وهاجت اهل المدينة واظهروا الاحقاد الكمينة وهجموا على منزل مصطفى اغا واتوا به الى قدام ناصيف باشا وقدموا عليه شهودات بانه كان يؤذي المسلمين ويود الفرنساوية فامر الباشا بقتله ونهب منزله وقبض ايضًا على اناس كثيرين من المسلمين الذين كانوا يخدمون الفرنساويين واذاقوهم الموت المهين واوردوهم موارد التلاف وقبضوا على الشيخ خليل البكري نقيب الاشراف واتوا به حافيًا عريانًا ذليلًا مهانًا وقدموه الى عثمان بيك فامر باطلاقه بعدما قدموا عليه جملة شهادات وكان في اكثر الاوقات شرب في منزله مع الفرنساوية المنكرات هذا وتلك الهجمة متصلة على تلك الصلدات من جميع الجهات وعلى حارة الاقباط التي بها يعقوب الصعيدي وقد كافح هذا الرجل كفاحًا عظيمًا وعارك عراكًا جسيمًا وفي سادس يوم من تلك الاسباب والامور الصعاب هجمت الاسلام على حارة الاقباط ونهبوا

البيوت وايقنوا النصارى فى الهلاك والارتباط فهذا ما كان من احوال مصر وذلك الاتفاق واما ما كان من مدينة بولاق فانهم حينما بلغهم دخول ناصيف باشا والغزّ الى مصر بالعزّ والنصر فظنّوا أن عسكر الاسلام انتصر وجيش الفرنساوية انكسر فقاموا على النصارى الرعية فنهبوا اموالهم وسبوا اعيالهم وعصوا اهل بولاق عصاوة شديدة وبنوا متاريس جديدة وبعد ثمانية ايّام وصل امير الجيوش الى دار الكنانة فوجدها من الاخصام ملآنة وقد اشهروا العداوة واظهروا العصاوة وحدّثهم عقلهم الرميم فى الجهل العميم على عدم التسليم واحتاط امير الجيوش بعساكره الوافرة حول دايرة القاهرة وصلبت اعناقهم على المحاصرة ومنع الداخل والخارج وسدّوا المسالك والمدارج ونشب القتال بينهم نهارهم وليلهم فطلبت خلوّ المدينة العساكر والحكّام فما مكّنتهم من ذلك الاعوام وتصدّدت الاعيان ذوى البيوت وحثّهم على الاقامة والثبوت ومنهم ذلك البهوت السيد احمد المحروق فهو يتصدّر للجدال وصرف الاموال وحرّض الرجال على الحرب والقتال ولم يزالوا المصريون مصرّين على غرورهم المتين فى محاربة الفرنساويين وكان امير الجيوش قد تمكّن بعساكره من القلع والاسوار بالكلل وقوّة النار وكتب الى مدينة الاسكندرية يسترجع الجبخانة والمدافع التى كان ارسلها

حين عزم على التسليم وارسل الى الجيزة احضر مصطفى باشا كوسا وارسله الى دمياط وقد بلغ امير الجيوش ما ابدوه اهالى بولاق من العصاوة والنفاق فارسل اليهم ذلك الاسد الهدّار والليث المغوار الجنرال بليار وامره ان يهجم عليهم بالنار ويهدم الحصون ويخرب الديار فهجم عليهم ذلك البهموت لما قدروا على الثبوت وتركوا المتاريس والتجوا للبيوت فهجمت عليهم تلك العساكر بالرصاص المتكاثر والسيوف البواتر واحرقوا المنازل واشتدّت الاهوال وهربت الرجال وبكت النسوان والاطفال وصاحت الكبار والصغار الامان الامان يا جنرال بليار فلما سمع بكاهم حنّ الى شكواهم وامر الصلدات بحفظ الحياة ومنع الممات وعفى عن قتل الرجال وبدوا ينهبون النساء والبنات ويهتكون الحراير المخدّرات واستمرّ هذا البلاء العامّ ثلاثة ايام ففى تلك المدينة هدمت المنازل المتينة واحترقت البضايع الثمينة وزاح على التجّار من المال والبضايع عدّة خزاين وافرة اذ كانت بولاق اسكلة القاهرة فتجتمع بها البضايع والاموال وهى محلّ للاستقبال والارتحال لقربها الى البحر وكانت خزينة مصر ودثرت هذه المدينة فى تلك الفتوح المهول عن سوء تدبير اهلها المخذول ومن بعد هذا الخطب العظيم والخراب الجسيم امر امير الجيوش ان يوخذ من اهلها اربعة الاف كيس

تمام الانكليس وكانت عساكر الفرنساوية مقيمين حول دايرة القاهرة نهارًا وليلًا على المحاصرة والمجادلة والمشاجرة وعساكر المدينة لم تمتنع من التجمات وراء المتاريس المتينة فى ساير شوارع المدينة فى كل الجهات وقد عزّ القوت وهدمت البيوت وكانت ايّام شديدة الاهوال غريبة الاحوال تتزعزع من ذكرها الجبال وتشيب من اهوالها الاطفال وقد شدّت الفرنساوية الحصار وصارت العساكر تهجم الليل والنهار وترمى على المدينة النفط والنار والكلل والقنابر الكبار وبغت اهل البلد بعجيج وعجيج والخلايق فى الاضطراب ورجيج والولولة من النساء والصياح والبكا والعويل والنواح وكانت الرجال والنساء والاولاد يختبون تحت العقودات من تساقط الكلل والقنبار من القلعات ولم يكن فى تلك الايّام رقاد ولا مكان مؤتمن بل حرب مستطيل وكرب دايم جزيل ونوح وعويل فيالها من ليلة ما امرّها واشدّها واحرّها ليلة فتحت بها ميازيب السماء وهطلت وغمّ وجه الارض بالمياه فاستنهزت الفرنساوية الفرصة وهجموا فى تلك الحصّة واثاروا حروب عظيمة لم يكن مثلها فى الوقايع القديمة واتّقدت النيران فى اربع جهات القاهرة واحترقت بيوت كثيرة فى تلك الليلة الماطرة مع الحرب المتّصل والحرب الغير منفصل وماتت خلايق لا تحصى من الفريقين وزعق عليهم غراب البين وكانت الكلل تتساقط

عليهم من القلع كالبرد على وجه البقاع واذ كانت الناس مستترة
فى البيوت الذين على رصيف الخشب الكاين فى اليزبكية
فاوقدت بهم النار الفرنساوية فكانت ساعة لا تُعدّ بالساعات
من تلك البلايا النازلات وهجمت الفرنساوية وطردهم من تلك
الحارات واحرقوا منازل كثيرة بتلك الجهات واذ شاهدت
العساكر المحاصرة داخل القاهرة تلك النيران الوافرة
وعدم النجاح بهذه المصادرة فضجّوا وقالوا كفانا هذه
المخاطرة وكانت الفرنساوية قد أحرقوا حارات متّسعة كحارة
الحروبى العدوى لحدّ باب الشعرية ورصيف الخشب وما يليه
من المنازل العلية فاجتمع رأيهم ان يطلبوا الامان وعقدوا فى
بيت ناصيف باشا ديوانًا وقد اجتمعت السناجق والكشّاف
وعثمان بيك كتخدا الدولة والعلماء والاشراف واخذوا
يتفاوضون فى امر التسلم والخلاص من هذا البلاء العظيم
وفيما هم فى الاجتماع واذ قد سقطت عليهم بومبة من
القنابر ففرّق جمعهم وايقنوا بالموت والنزاع وقالوا هذه هى
الاخيرة وقد استخرنا الله وهو نعم الخيرة فالتسلم اسلم لنا
عاقبة من هذه المجادلة والمعاقبة وانتخبوا اثنين من المشايخ
وهم عبد الله الشرقاوى وسليمان الفيومى واثنين من السناجق
عثمان بيك البرديسىّ وعثمان بيك الاشقر واخذوا بيراق
ابيض معهم اشارةً الامان وساروا مُشاة الى البركة اليزبكية

ولمّا قربوا من ذلك المكان ونظر اليهم امير الجيوش من
بعيد وعرف الاشارة فامر برفع ضرب البارود وارسل اليهم
وزيره داماس ومعه ترجمانه الخاصّ فلما تقابلوا قال لهم الجنرال
داماس ما مرامكم فقالوا لا تسليم المدينة وخروج العساكر
بطريقة امينة وسفرهم الى اراضى الشام من القاهرة من دون
مشقّة ومخاطرة وفرمان الامان الى الرعايا والاعيان فرجع
الجنرال واخبر امير الجيوش بذلك فردّ الجواب ان الباشا
وكتخدا الدولة مع الغزّ والسناجق وكامل العسكر لهم
الامان واصدر لهم فرمان بان ينتقلوا الى قاطع الخليج ويقوموا
هناك ثلاثة ايّام بينما يتجهّز لهم ما يحتاجون من لوازم
الطريق لارض الشام ويخرجون بساير خيلهم واثقالهم
وعند السفر يسير معهم الجنرال رانيه باربعة الاف صلدات
الى الصالحية ليلا يصير لهم معارضة فى الطريق من اهل
البلاد ويكون سبيلاً للفساد وجميع ما يتركون من المجاريح
وذوى الامراض فيكون لهم الامان وعدم الاعتراض ولاجل
عدم وقوع الخلل منهم بعد اصدار هذا الامان لهم يكون
عندنا منهم اثنان رهينة لحينما يخرجون من المدينة
ويصلون الى ارض غزّة ويرجع الجنرال رانيه الى مصر بسلام
فنطلق سبيل الرهاين بكل اكرام وقد اصدرنا لهم هذا
الامر الكافى والامان الوافى واما اهل المدينة فلا تمكنهم

الامان وليس لهم ان يسالوا عنهم الان لانّهم رعايای وتدبيرهم مختصّ بی فرجعوا السنجقان والشيخان واعرضوا القول على الغزّ والباشا وكتخدا الدولة فامتثلوا القول وعقدوا الرأی على ارسال سنجقين رهينةً وهما عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر وحضروا لعند امير الجيوش ونبّهوا حالاً على العساكر بالانتقال الى الجهة الثانية من الخليج ودخلت العساكر الفرنساوية واخذوا الجهة الواحدة من الخليج وتملّكوا المتاريس ونصبت الغزّ والعساكر العثمانية اوطاقها خارجًا عن باب النصر وشرعوا يتاهّبون لاجل السفر من مدينة مصر ونصب الجنرال رانيه مضاربه امامهم وكان حزنًا عظيمًا عند المصريين وسقط عليهم خوف جسيم وبدوا بالنوح والعويل والبكا والتعداد المستطيل فی جميع منازل الاسلام الخاصّ والعامّ وبدوا يسبّون الغزّ ويشتمونهم وهم خارجين ويقولون لهم قد احرقتمونا بناركم من بغيكم وضلالكم واسيتم الينا وطرحتم شرّكم علينا وقتلتم رجالنا ويتّمتم اطفالنا وفی الثلاثة ايّام خرجت العساكر من مصر بالتمام وخرجت معهم عدّة من العوالم وساروا قاصدين غزّة والاراضى الشامية والجنرال رانيه ساير فی اثرهم بمن معه من الفرنساوية الى ان اوصلهم للصالحية واستراحوا يومين واخدوا ما يحتاجون وتوجّهوا لقطية وقد ساعدهم الجنرال

بما يحتاجون اليه من المأكل ومن للخيل والجمال وتعجبت
الاسلام من امان هولاء الاثام وحفظهم للذمام اذ كانوا
خاشين من خيانتهم بالطريق وغدرهم فى تلك البرّية ثم
رجع الجنرال عنهم الى القاهرة بعزّة وافرة واما امير الجيوش
فانه بعد ما سارت العساكر امر بان يعملوا فرحة عظيمة
وحضرت اليه الاعيان والحكّام والعلماء وارباب الديوان واقعده
عن يمينه السنجقين بكل اكرام ورجعوا الفرنساوية الى
محلّاتهم فى المدينة وبعد ثلاثة ايّام عمل امير الجيوش ديوانًا
ودعا اليه العلماء والاعيان وقال لهم انّى كنت اظنّكم ايّها
علماء الديوان انكم من الناس العقلاء ذوى الاذهان والان
قد استبان لى ان عقولكم اخفّ من عقول الصبيان واجهل
من النسوان لان بعد معرفتكم انى قد قهرت وزير السلطان
وشتّتت جيشه فى البرارى والوديان فقبلتم شرذمة يسيرة
وفرقة حقيرة هاربين من سيفى الباتر وقوّة بطشى القاهر
وادخلتموهم القاهرة واخذتم تحاربونى بعيون فاجرة مع
انكم تعلمون لا تربحون الّا الذلّ والاهانة وخراب وطنكم
الكنانة وهلاك الرجال وذهاب الاموال وقد كنتم قادرين
على طرد هولاء القوم الهاربين وعدم تمكّنهم الغير الامين
وانى قد كنت قادرًا بعد حضورى ان احرق المدينة فى
الحال ولكن اخذتنى الشفقة على النساء والاطفال الذين

لا رضا لهم بهذا الوبال والنكال والان قد صفحت عن خطاكم ولكن يلزمكم ان تدفعوا مليونين من الريال مبلغها ستة عشر الف كيس ثمن دماكم وعشرين الف بندقية وخمسة عشر الف جوز طبنجات وعشرة الاف سيف واربعماية بغل وماية حصان وهذه يكون منها على السيد احمد المحروق ماية وخمسين الف ريال وعلى شيخ مصطفى الصاوى خمسين الف ريال والشيخ العنانى ثلاثين الف ريال وبقية المال على اهالى البلد جميعها واما النصارى فليس لهم ان يساعدوكم بدرهم واحد فكفاهم ما جرا عليهم منكم من الوبال والهتيكة وسلب المال وما تكبدوه من الاضرار وسفك الدما منكم يا اشرار مع اننا افهمناكم امرار عديدة اننا نحن لسنا من النصارى بل نود الاسلام ونحترم القران بكل احترام وما سمحنا لهم بحمل السلاح الا ليحموا انفسهم منكم يا قباح اذ نظرنا هجومكم عليهم ثم نهض من قدامهم وهو مملوء من الغضب ولم يلتفت اليهم ثم استدعى يعقوب القبطى الذى ذكرنا انهم حاصروه فى حارة الاقباط وامره ان يستوفى منهم فى الحال ما طلبه من المال وارسل قبض على السيد احمد المحروق وضبط منزله وارسله للقلعة وسجن ايضا امرأته فكان ذلك امر عظيم عند المصريين وغم لا يوصف عند المسلمين وارتجت تلك الديار من سطوة هذا الاسد المغوار

وخافت منه الصغار والكبار وقطعت الاسلام الامال من التغيير والابتدال وخرجوا النساء خروجًا شنيعًا مع الفرنساويين وبقت مدينة مصر مثل باريز فى شرب الخمر والمسكرات والاشياء التى لا ترضى ربّ السماوات ورجعت الوُلاة والحكّام لما كانوا عليه اوّلًا من الاحكام واحضر امير الجيوش السيد خليل البكرى الذى قد كانوا الاسلام نهبوا بيته وانعم عليه بما كان راح له وارجعه الى الديوان كما كان واحضر رجلًا ونصبه عوض مصطفى اغا الذى قتلوه واقامه على الانكشارية ثم يعقوب القبطى انعم عليه بالجنرالية ووضع على كتفه شراديب الذهب كعادة هذه المنصبية وامر ان يجمع عسكرًا من الاقباط ودُعى من ذلك الحين الجنرال يعقوب وكان ذلك مكافاةً له لما ظهر منه من الشجاعة والفروسية مع الصلدات الفرنساوية وجمع ثمانماية راجل من الاقباط ولبّسهم لبس الصلدات وكانت الفرنساوية تعلّمهم فنون حرب الافرنجية فى كل يوم بكرة وعشيّة ثم احضر نقولا قبطان الروم واكرمه غاية الاكرام واعطاه الوظيفة الجنرالية ووضع على كتفه الشراديب الذهبية وذلك لما ظهر منه من الشجاعة والرجولية واقامه جنرال على العسكر الرومية والبس عسكره الملابس الافرنجية واحضر ايضًا برتولمى الساقزلى وانعم عليه الجنرالية وبلغ عسكر الاروام ثلاثماية صلدات من الشجعان

ثم ان امير الجيوش ابتدأ ببناية ابراج جديدة حول مصر خشيةً من قيام اهاليها وعصاوتها على الفرنساوية ان وردت الاخصام لمحاربتهم من البلاد العثمانية لانهم كانوا يخشون قيام اهالى المدينة اكثر من القادمين عليهم من البرّية وهذه مرّة ثانية التى قامت بها اهالى مصر على الفرنساوية وهذه المرّتين اهلكوا من العسكر الفرنساوية ما يفوف عن الثلاثة الاف ما عدا الذين اهلكوهم خفيةً فى المنازل فشرعوا اوّلاً فى بناية القلعة التى فى كوم الريت بين القلعة الكبيرة وقلعة كوم الغريب ثم شرعوا ايضًا فى بناية قلعتين فوق الكومين الخارجين من باب النصر ثم شرعوا ايضًا فى بناية القلعة فوق باب النصر وقلعة ثانية فوق باب الفتوح وقلعة فوق باب العدوة وقلعة فوق باب الحديد وشرعوا ايضًا فى بناية قلعة فوق باب الريش الخارج عن المدينة ما بين العدوة والحسنية وهذا الكوم كانت العساكر العثمانية تحارب عليه الفرنساوية فى مدّة الحصار واخذته منهم الفرنساوية قوّةً واقتدارًا ليلة تلك الامطار ثم شرعوا ايضًا فى بناية قلعة فوق كوم الذى بين اليزبكية وبولاق وفى بناية قلعة فى بولاق من جهة البحر فوق كوم السبينة. ووجدوا سورًا قديمًا كاينًا من باب النصر الى باب الحديد قد تغطّى من العمارات على مدى الزمان فامر المهندسون

بكشفه وهذه القلعة بنوها مع السور المذكور ثم شرع ايضًا يعقوب القبطى لجنرال بعمل سور وابراج حول دور النصارى والاقباط لما قاساه فى مدّة الحصار الذى قد كان آيلًا لهتك الاستار وفضح الاحرار وقطع العمار والدمار والدثار فهذا الزم يعقوب الجنرال لهذه العمار ولكن لم يكمّل عماره الّا فى زمان الامير منو كما سياتى ذكره فيما بعد فقد قلنا سابقًا ان مراد بيك لم يرد يدخل القاهرة مع ناصيف باشا وعثمان بيك كتخدا الدولة وباقى الغزّ المصريين بل بقى خارجًا عنها جايلًا فى برّ الجيزة مدّة اربعة وثلاثين يومًا بشردمة وجيزة وكانت نفسه فى مسافة هذه المدّة المذكورة تتوق الى الصلح مع الفرنساوية لما شاف من ضعف العساكر العثمانية وقوّة بطش الفرنساوية وقد كان امير الجيوش يودّ انتظامه ويؤثر التيامه فوجّه له برطولمى الساقزلى لجنرال وهذا كان يتكلّم باربعة السن العربية التركية الرومية والطليانية وكان متربّيًا فى مدينة مصر وله الدالة فى بيوت السناجق والكشاف فسار هذا لعند مراد بيك واخبره ان امير الجيوش يروم اتحاده لا ابعاده ويرغب وداده لاجلاده ويرفع احقاده ويبطّل جلاده وياخذ من الصعيد بلاده ويريح فواده ويكسب نفسه واجناده فلما فهم مراد بيك هذا الخطاب انشرح صدره واجاب الى الصلح والاصطلاح

وابطال الحرب والكفاح صيانةً للاجساد والارواح لـيـلا يفتح العزيز الفتّاح بابًا غير هذا الباب للفرج والنجاح وقد كان عند مراد بيك رجلًا من خدّامه قايمًا بتدبير امر المدافع يُدعى حسين اغا الزانطلي وهو من مدينة زانطة واسلم في مصر مع اخوته الاثنين وكانوا جميعهم في خدمة مراد بيك قايمين وهذا المذكور ايضًا كان يتكلّم باربعة السن فارسله مراد بيك الى الامير كليبر لاجل اتمام الصلح بينهما وبواسطة هذين الشخصين تمّ الاتّفاق وارتفع الانشقاق وانعقدت المشورة على ان مراد بيك يصنع وليمة للامير كليبر في جزيرة الذهب القريبة من الجيزة ويدعوه اليها وهناك يكون الاتّفاق فركب امير الجيوش الى الجيزة ومعه عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر وسار بنفر قليل الى مقابلة مراد بيك فحين وصل وتقابلا تلاقاه مراد بيك بكل بشاشة وتصافحا مصافحة الاخوان وجلسا في ذلك الديوان بالسرور والامان وجلس معهما داماس الوزير ودميانوس الترجمان ووقفت جميع السناجق والكشّاف ثم بعد المخاطبة والكلام بالترحيب والاكرام امر مراد بيك الى الواقفين بالخروج وهناك عاهد الامير الجيوش الى مراد بيك العهد التامّ وانه يقيم في بلاد الصعيد يعيش رغيد مع ساير من يروم اقامته من الغزّ والمماليك هناك وصرّفه بجميع ما له من الاملاك ويكون حاكمًا على مدينة

جرجة ويدفع للمشيخة مال ميريها المترتّب عليها وانه يرسل الى ابراهيم بيك وبقية الغزّ ان يكون لهم الامان ثم عاهده ايضًا انه اذا اخلت الفرنساوية الديار المصرية فلا يكون تسليم هذه المملكة الّا له دون غيره من الدول فانشرح مراد بيك بهذا الامل وبعد اتمام الكلام وبلوغ المرام اهدى مراد بيك لامير الجيوش سيفًا ثمينًا وخنجرًا عظيمًا والى الوزير داماس سيفًا من الهندوان والى الترجمان خاتمًا ثمينًا من الماس وبعد ذلك قدّم له صفرة الطعام وانية المدام كلّها من المواكيل الفاخرة بالروايح العاطرة فاكلوا وشربوا ولذّوا وطربوا وطالت لهم الاوقات بالحبّ والمسرّات واتّصل بينهم الوداد وتركوا البغضة والعناد ثم ان مراد بيك طلب من امير الجيوش حضور العساكر الفرنساوية من المشاة والخيال ليلعبوا امامه ويتفرّج على ما يعملون في حربهم من الصناعة والفنون فامر امير الجيوش باحضار خمسماية صلدات من الجيزة فحضروا بمدّة وجيزة وطفقوا يلعبون ويُظهرون ما عندهم من الحرب والفنون صناعة تاخذ العقول وتدهش العيون فانشرح مراد بيك من تلك الفرجة واخذه الفرح والبهجة ثم ركبت الغزّ المماليك وبدوا يلعبون على الخيل ملاعيب الحرب القوية فانشرح امير الجيوش وشهد لهم في الثبات والفروسية وقال لمراد بيك ان فوارسكم اصنع في الطعن واثبت في الحرب على

للخيل بالميدان وبعد انقضاء النهار نهض امير الجيوش على اقدامه وقام مراد بيك لقيامه وودّعوا بعضهم بعض بالانس والسرور والغبطة والحبور وخرج امير الجيوش من ذلك المكان وبدا يرى الذهب الكبير على ساير الانام ولم يزل على ذلك الشان الى ان صار خارج الديوان فقدّم له مراد بيك جوادًا والى وزيره جوادًا من الخيول الجياد بالعُدد الكاملة وسار امير الجيوش الى الجيزة ومن هناك ارسل الى مراد بيك فرمان التصريف مع حسين اغا الزانطلى واعطى للمذكور وظيفة سنجاقية (٢٥) واقام كتخدا مراد بيك وتوجّه مراد بيك للصعيد وكان معه عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الاشقر وسليمان بيك واحمد بيك الكورق وعثمان بيك الطوبجى وقام في الصعيد بعيش رغيد واجتمع عليه من السناجق والكشّاف من تلك الاطراف والارياف وقد تقدّم القول ان الوزير الاعظم بعد امضاء الشروط ارسل صورة الاتّفاق الى الدولة العلية والمملكة العثمانية وصار فرح عظيم بمدينة القسطنطنية وبساير الاقطار الاسلامية واشحنت التجّار اصناف البضايع في السفن البحرية السايرة الى الاسكندرية لعلمهم ان الاقطار المصرية تسلّمتها الدولة العثمانية وما توفّق وصولهم الّا بعد فساد الصلح والنية وعند ما اقبلوا على الاسكندرية ونظرت اليهم الفرنساوية فرفعوا لهم السناجق العثمانية فدخلت تلك

المراكب الى البواغيظ من غير خوف ولا تحريز وارموا المراسى والحبال وهم باغضاء بال ونزلت روساء المراكب الى البرّ وهم مأمنين فقبضت عليهم الفرنساوية وارسلوا ضبطوا المراكب بما فيهم وكانوا نحو ثلاثين مركبًا صغار وكبار وبهم من البضايع ما يحيّر الانظار وارسلوا اعلموا امير الجيوش بتلك الاخبار وذكروا له ان البحرية اكثرهم اروام وما فيهم الا قليل اسلام فامر امير الجيوش ان تُباع البضايع على التجّار وامر الى نقولا الجنرال ان يتوجّه للاسكندرية ويعيّن عنده الاروام النوتية فسار المذكور كما امر امير الجيوش وعيّن عنده الاروام والبسهم لبس الصلدات الفرنساوية واما وزير الختام بعد كسره ورجوعه الى غزّة بالذلّ بعد العزّة وقد تفرّقت تلك الجيوش والامم فى البحاري والاكام وخرجت الغزّ من القاهرة بالقهر والارغام وشاعت اخبار هذا الانكسار فى ساير النواحي والاقطار لانه من غرايب الامور وعجايب ما يحدث فى العصور والازمنة والدهور ان فئة يسيرة تشتّت عدّة ملايين غزيرة وتقوى وتقتدر وتظفر وتعلو وتنتصر فهذا يحيّر الافكار ويدهش الاسماع والابصار فالعزّة لله القوىّ الجبّار وقد ارتجّت ممالك الاسلام رجّةً قويّةً ووقع عليهم الخبال من تلك الاحوال وابتدت اصحاب العقول فى الافتكار وتدبير ما يزيل عنهم هذا العار ويبدّد هولاء الكفّار وقد كان فى مدينة القدس

الجيبة احد اغاوات الانكجارية اسمه احمد اغا من مدينة حلب القوية فهذا يجول بافكاره على شخص مغوار او مغازى يغار او محتال غدّار او خبيث مكّار يحتال بالفطنة والاختيار على قتل ذلك الرهط الجبّار والبطل القهّار سلطان اوليك الكفّار ويسقيه كاس الدمار وقد اجتهد في ذلك التدبير والامر الصعب العسير الذى لا يقدم عليه الّا كل ليث خطير او شجاع مغير يطلب المناداة والموت في المغازاة او طمعًا في المكاسب وعلوّ المراتب وبينما هو في ذلك الاهتمام لبلوغ المرام واذ تقدّم عليه شابّ قوى الجنان مملوء من الجهل اسمه سليمان وهو من مدينة حلب الشهبا قد هزّه جنون الصباء واوعده بقتل ذلك السلطان حبًّا بالدين والايمان فاخذ يجسّره ذلك الاغا المذكور ويحثّه على قضاء هذا الامر المأثور ويوعده بما ينالهُ من الانعامات الوفية من الدولة العلية وما يحصل لهُ من السرور ومن الاسم المشهور مدّ الاعوام والدهور وكان ذلك الشابّ ما بلغ من العمر اكثر من اربعة وعشرين سنة الّا انه اسد درغام وليث هجّام نسار من القدس على هذا المرام ودخل الى غزّة بنفس مُعْتَمَّرَة وهناك اجتمع باحد من اغاوات الانكشارية اسمه يسين اغا من الرجال الحلبية فحدثه الشابّ بما في ضميره من النية من قتل السلطان الفرنساوية فجسّره ياسين اغا على تلك النية واعطاه اربعين

غرض اسدية (٤١) وسار المذكور الى مدينة مصر الكنانة وفى
قلبه الغدر والخيانة ودخلها فى شهر ذى الحجة ونفسه غير
مرتجة وقطن فى جامع الازهر وهناك اجتمع باربعة انفار من
الجاورين واخبرهم بما فى باطنه من الكمين وطفق يتبع امير
الجيوش من مكان الى مكان ويترقب له فرصة من الزمان
ليبلغ بها المرام وحين آن الاوان وسمح العزيز الرحمان ودنت
الاجال واتسع المجال ركب امير الجيوش ذات يوم من الجيزة
الى القاهرة وكان ذلك نهار الاثنين الواقع فى ٢١ محرّم سنة ١٢١٥
لهن بعدما لبّس الشيخ العريش على القضاوية جال ذلك
النهار فى مصر مع عساكره القوية ورجع الى منزله فى موكب
عظم ومحفل جسيم ودارت المناداة فى شوارع القاهرة تنادى
حسبما رسم السلطان كليبر سلطان مملكة مصر القاهرة·
وصاحب الجيوش الظافرة وكان قط لم ينادوا فى شوارع مصر
جهارًا باسم السلطان الّا لذلك البطل القهّار ثم بعد رجوعه
الى منزله قصد المسير لعند وزيره داماس اذ كان منفردًا
عن الناس وقد قدّمنا الايراد انه كان يحبّ الانفراد وعند
آخر النهار خرج مع شيخ المهندسين وقد اجرته الاقدار
الى شرب كاس البوار وبينما هو منفرد فى الجنينة الكاينة بين
منزله وبين منزل وزيره داماس فدخل عليه ذلك الشابّ
سليمان وكانت عليه ثياب باليات ومدّ يده اليه ليستعطى

منه صدقة واعطاه من يده ورقة فأخذها كليبر من يده وبينما هو يمعن فى قرأتها فانقضّ عليه ذلك الشابّ وضربه بسكّين كان محتفظًا عليه تحت ثيابه فجادت الضربة بخاصرته فسقط فى الارض وصرخ صوتًا عظيمًا وضربه ثانيًا وثالثًا ورابعًا وقد سمع صوته كل من كان بالقرب منه فبادر اليه المهندس وبيده عصاة فضرب القاتل بها على هامه فجرحه فهجم سليمان على المهندس وضربه بتلك السكّين فجرحه جرحًا بليغًا ووقع على الارض بين ميت وحىّ وفرّ القاتل هاربًا وعندما سمع داماس الوزير صوت امير الجيوش بادر مسرعًا فنظر امير الجيوش ملقًى على الارض طريحًا فحار وصرخ من فعل بك يا مليح هذا القبيح فرفع يده واوى القاتل الهارب وحضرت الصلدات وداروا حول الجنينة وطفقوا يفتّشون واى من وجدوه عليه يقبضون واذ بامراة من شبّاك دلّت على القاتل وكان مختفيًا فى بعض الدهالين فقبضوا عليه ونظروا فى ثيابه عليهم اثار الدما والسكّين معه واتوا به فرفعوا جسد امير الجيوش فى منزله واجتمعت الجنرالية والكوميسارية والاوفيسيالية والجراحية وبدوا بصبّ العلاجات فما مكث غير برهة يسيرة ومات وصار حزن لا يوصف عند ساير الجيوش الفرنساوية وبكوا بكاءً مرًّا وعضّوا البنان تحسّرًا وقهرًا واخذوا يقدحون شررًا وينظرون

ذكرًا ليخرجوا الاحكام بتدوير الحسام في النصارى والاسلام ويقتلوهم على التمام ولولا تعطّف الملك العلّام وظهور ذلك الغلام ويتّضح النور من الظلام لكان حلّ باهالي مصر الويل والانهدام في هولاء القوم اللئام الذين لا يعرفون الحلال من الحرام ولا يخشون ربّ الانام واما اهالي القاهرة فشملهم خوف عظيم من هولاء الجبابرة واختفت الناس في المنازل والبيوت واخذتهم البهة والسكوت وبقي كل منهم مبهوت في قتل ذلك البهموت وخافوا ان يكون ذلك الفعل الذميم من سكّان تلك الاقاليم وان هذا القاتل الشنيع يرمي الناس في هذا المهلك الفظيع والخطب المريع واما الفرنساوية حين وقعوا في هذه البلية احضروا القاتل سليمان وعذّبوه العذاب الشنيع فقرّ واعترف بما صنع واتلف ومن هو الذي ارسله لهذا الطرف وكيف مشا وتصرّف وقرّ عن اوليك الاربعة انفار المجاورين الذين عندهم حقيقة الخبر باليقين فسارت الصلدات الفرنساوية اليهم بالخفية ليلا يعلموا ويهربوا فدخلوا الجامع وقبضوا على الثلاثة وهرب الرابع واحضروهم وبدوا يعذّبونهم ويقرّرونهم ان معهم خبر هذا القاتل سليمان وما هو معوّل عليه من الحرام وقد تحقوه فلم يسمع كلام فحكم عليهم الشرع بالموت بعدم تخبيرهم وتحذيرهم وبرز من الشريعة الفرنساوية ان سليمان القاتل تحرق يده اوّلًا بالنار ثم

يرفعوه على خازوق عالٍ امام النظار ثم يقطعوا راس الثلاثة انفار ويرفعوهم على مزاريق حول الخازوق ثم ان في ثاني الايام عند الصباح صنعوا الفرنساوية ديوانًا عموميًا واختاروا كبير الجنرالية المدعوّ الجنرال منو واقاموه امير الجيوش عوضًا عن المقتول وبعد ذلك صنعوا ميتمًا عظيمًا ومحفلًا جسيمًا وصنعوا له تابوتًا من الرصاص ووضعوه فيه بعدما جوّفوا جسده وحنّطوه واخذ داماس الوزير قلب الامير كليبر ووضعه في زجاجة وسكب عليه ارواحًا لحفظه من البلاء والفساد وقد حزن هذا الوزير حزنًا مفرطًا مع البكا والتعداد ثم امر منو امير الجيوش بنقل جسد سلفه وحضرت كافة الجنرالية وباقي حكّام الفرنساوية وجميع العلماء والاعيان وجمّ غفير من كل الملل والاديان واحضروا خيل الامير كليبر ثم البسوهم الحلل السواد ووضعوا التابوت فوق عربانه وغطّوه بحلّة سودآ ومشت جميع العساكر امام التابوت وهي منكّسة البندق وركب امير الجيوش منو مع سواري العساكر وسار من بركة اليزبكية الى قصر المعنية وجميع العساكر والعلماء والاعيان والحكّام وارباب الديوان ماشين قدّام التابوت والفرنساويون في بكا شديد بحزن مفرط ما عليه من مزيد وجلبوا القاتل ورفقاءه حفاة عُراة مكتوفين قدّام التابوت وحينما وصلوا امام القصر اصعدوا القاتل ورفقاءه الى اعلا الكوم وحذفوا

رؤس اوليك الثلاثة انفار ووضعوهم على ثلاثة مزاريق واحرقوا يد سليمان القاتل وهو بالحياة ثم رفعوه على خازوق عالٍ وركزوا الثلاثة مزاريق حوله ثم اوقدوا نارًا شديدة واحرقوا بها اجساد اوليك الثلاثة انفار ثم ادخلوا التابوت في وسط القصر وعملوا له مِصطَبَة عالية ووضعوه فوقها وغرسوا حولها اغصانًا خُضْرًا وصعد امير الجيوش الى مكان عالٍ واخذ يعظ موعظة عظيمة تجعل القلوب كليمة والدموع سجيمة تتضمّن مراثى محزنة والشاهيات الموهِنة على مثل هذا البطل الهمّام والاسد الباسل الدرغام الذى قد نشر الاعلام وقهر الانام وظفر فى عسكر الاسلام وطرد وزير الختام وبدّد ذلك الجيش الملتأْم وخلد ذكره مدى الدهور والايّام ومن بعد اتمام تلك المراثى الموجعة والتعديدات المتنوّعة اطلقوا البندق الكثيرة حول التابوت وبكوا بكاءً مرًّا على هذا البهموت ثم اقاموا محافظًا ليلًا ونهارًا وفى كل ثلاث ساعات يتغيّر احد الصلدات ويأتى غيره اكرامًا له واجلالًا لقدره وبعد ذلك رجع امير الجيوش الى منزله ببركة اليزبكية وتفرّقت لمنازلها عساكر الفرنساوية وكل منهم ملتهب بنيران مهولة بانهدام هذا الركن العظم ذى الصولة واستحوذ الحزن والاكتياب على المختصّين به من الاحزاب وتفرقت من ذلك الوقت منهم القلوب باذن عالم الغيوب

واما امير الجيوش منو فهذا كان من المتقدمين فى بلاط ملك باريز السلطان لويس وحين قتلته المشيخة تبع هذا رأيهم وحين حضروا للديار المصرية وحصلوا على ذلك التأييد اقامه بونابارته حاكماً على رشيد فمكث هناك مدّةً وتزوّج بامراة مسلمة شريفة وادّعى بالاسلامية وسمّا ذاته عبد الله وكان متقدّمًا بالعمر ذا احتيال ومكر ومن بعد تقدّمه على العساكر الفرنساوية وارتضوه الجميع شرع يغيّر فى الاحكام والوظايف وضمّ اليه حزبًا من الفرنساوية واضعف احزاب سالفه القوية واتّكل على تدبيره وقوّة بطشه فتغيّرت قلوبهم من ذلك الوقت ووقع الاختلاف بين الفرنساوية وابتدا ذلك الامير فى التبديل والتغير وامر اولاً فى قفل جامع الازهر وعقد لذلك ديوانًا وادّعى ان هذا المكان ليس هو محلاً للدرس والتعلم للفرايض والسنن بل هو محلّ لعقد المشورة وايقاظ الفتن فامر بطرد المجاورين وقفل ابوابه اجمعين ثم امر بتكميل بناء الابراج التى كان شرع فى بنايها سلفه الامير كليبر ثم امر بتوسيع الطرقات التى داخل القاهرة وهدم عدّة بيوت وشرع بكشف السور الذى كانوا وجدوه من باب النصر لباب الحديد وهدموا من امامه ومن ورايه بيوتًا عديدةً واكمل بناء هذا السور وجعل من فوقه ثلاثة ابراج وهدم جامع الحاكم بامر الله

المشهور فى مصر القريب من باب النصر وجعله برجا عظيما ثم حصّن اوليك البروج والاسوار بالمدافع والقنابر الكبار وامر الجنرال يعقوب بتكميل السور الذى كان شرع فى بغايه بايّام كليبر وامر على النصارى الشوام ان يدفعوا ثلاثماية كيس بالتمام واحدث على النصارى خراج ثقيلا لم يمرّ بالازمنة خراجا اثقل منه وافرض ايضا على الاسلام واليهود كذلك وكان كربا عظيما وظلما جميا وذلك على الرعايا من جميع الملل ولولا الرخاء العظيم لكانت خربت من الظلم تلك الاقاليم هذا والفرنساوية لم تكلّ من تعمير الحصون بمدينة القاهرة وفى الاسكندرية واصرفوا على ذلك خزاين عظيمة اذ كانوا ناظرين قلّة عددهم وعدم امدادهم وكثرة اضدادهم فحصّنوا تلك الحصون المنيعة وامر امير الجيوش باطلاق السيد احمد المسجون من سلفه الامير كليبر وقد كنّا ذكرنا ان حين قبض وزير الختام على الجنرال بوضوط قبض امير الجيوش على مصطفى باشا وارسله الى دمياط واقام هناك تحت الترسيم يكابد الهمّ العظيم فمرض من قهره وتوارى فى قبره وصنعوا له الفرنساوية بدمياط ميتما عظيما ومحفلا جسيما حسب عادة رؤساء العساكر فهذا ما كان من الفرنساوية فى الديار المصرية واما ما كان من امير الجيوش بونابارته فانه جاز البحار وداس الاخطار ووصل بالامن لجزيرة

الى مدينة باريز وصنع امور غريبة واحتيالات عجيبة ودخل
على روساء المشيخة فارتجوا لدخوله واهتزّوا لحلوله وتعجبوا
غاية العجب من خلاصه من بلاد العرب ونهضوا بوجهه
نهضة الغضب وعزموا على هلاكه والعطب فنشر لهم اساطير
اللوم والعتب وطفق يبكّتهم على فعلهم الذميم وسيرهم
الغير مستقيم وخيانتهم الشنيعة وتخطّيهم حقايق الشريعة
وتركهم لخواص رجال المملكة الفرنساوية في ممالك البربرية
من دون عون ولا اسعاف ورميهم في الهلاك والتلاف فنهض
اليه بعض روساء المشيخة فبدا يبثّ له العذر لما قبل عذره
وجرره فلما جرره ضربه بالشيش على هامه فحين حسّ
بونابارته بالالم وثب على ذلك الشيخ وثب الاسد الضيغم
واطلق في صدره الرصاص فالقاه قتيل وفي دمّه جديل وهجم
على بقية ارباب الديوان مع اصحابه بالسيف والنيران فقتل
منهم اثنان وهما اللذان كانا له مبغضين وعلى هلاكه بالديار
المصرية متّفقين وانتبهت اصحاب بونابارته وطفقوا يصيحون
فليعش ريّس شعبنا الامير الشهير الليث الخطير بونابارته
النحرير وحينما سمع شعب مدينة باريز اسم هذا العزيز
طفقوا يتهلّلون وبالندا يعلّون فليعش بونابارته مخلصنا وعظيم
مشيختنا ثم ان بعد انقضاء الهياج وهدوّ ذلك العجاج
عقد بونابارته ديوانًا مع عظماء الجمهور وذوى التدبير في

الامور واوعظهم ان يختاروا رئيسًا على شعب يكون خبيرًا وبامور الدهر عليمًا فاجابوه جميعهم بصوت واحد لا رئيس لمشيختنا سواك ولا لنا مدبّر الّا ايّك ودعوه القنصل الاوّل فى الجمهور الفرنساويين كما كانت هذه العادة عند الرومانيين وابتدا من ذلك الوقت والحين بتجهيز العساكر الكثيرة والجيوش الغزيرة وفتح مدارس التعليم وارسل الجيوش الى ممالك ايطاليا واخفض المقامات السامية ومهد الجبال العلية وداس تلك الرتاع والبقاع واسترجع المدن والقلاع وملك الاقاليم والبلاد وخضعت له تلك العباد ورحض عساكر الانبراطور واخلا منهم الدور وانقادت له الملوك وسالوه الصلح فلم ياب بل سلك معهم غاية السلوك وقررهم على الرضى والاتّفاق مع العهود الوثاق ورجع بالجيوش الى مدينة باريز بنصر عزيز وارتجّت جميع الممالك الافرنجية من سطوته القوية ومن بعد هذه الانتصارات الجزيلة التى تمّت بايّام قليلة كتب القنصل الاوّل بونابارته الى البابا سلطان رومية كتابًا بالصلح والسلام ويردّه لكرسيه بالعزّ والاكرام وفتح الكنايس جميعها فى ساير بلاد فرنسا واشهر ايمانه بالمسيح واعترف جهارًا امام كل الشعوب بهذا الدين الصحيح وانتشر ذلك فى كامل البلاد الافرنجية وابتدا يجاهد ويفرغ جهده لكى يُعين زمرة الفرنساويين الذين بالاقاليم مصر

مقيمين فلم يمكنه عدوّه الانكليز من ذلك وقد سدّد عليه
جميع الطرقات والمسالك وكان قبض على مقدار سبعة الاف
اسير من المسكوبيين فى حرب نمسا وارسل اعلم بهم دولة
الانكليز وطلب منهم ان يستفدى بهم ما عنده من اسير
الفرنساوية فابى الانكليز من ذلك وحين تحقّق بونابارته انه
لا يقبل ذلك الاتّفاق فاحضر تلك الاسارى المسكوبيين ومنّ
عليهم بالاطلاق اجمعين وكساهم كسوة جديدة وصنع
لهم وليمة عظيمة وحبًا بهم امر فى زينة جسيمة وارسلهم
الى كرسى دولتهم مع احد الجنرالية من قبله وحرّر الى
سلطان باولو انه قد كتبت الى سلطان الانكليز صديقكم
ان يستفدى بالاسارى المسكوبيين بما عنده من اسرآ
الفرنساويين فابى من ذلك ولم يرض وحين وصلت الاسارى
اعلموا السلطان باولو بما فعل بونابارته من الاكرام بعد
الاسر والاعدام ففرح فرحًا شديدًا ما عليه مزيد وامر
بزينة حبّا بالمشيخة الفرنساوية واجرا الصلح بينه وبين
القنصل الاوّل بونابارته على حرب الانكليز والدولة العثمانية
بواسطة اقتدارها وانتشار قوّتها واستعدّ الملك باولو المشار
اليه على مضادّة الانكليز والعثمانى وكتب السلطان بالو
للسلطان سليم ان يمنع الحرب عن الفرنساوية المتملكين
الديار المصرية لبينما يدبّر امرًا الى الصلح وان لم يمتنع عن

حرب الفرنساويين بينما اجرى صلحهم مع الانكليز والآ
يقتضى الامر ان ينادى فى الحرب فحين وقف على هذا السلطان
سليم فخرّج حالاً الامر من الدولة العثمانية برفع الحرب عن
الفرنساوية الذين هم بالديار المصرية فهذا ما كان من القنصل
الاوّل بونابارته واما ما كان من الانكليز فانهم لم يرتضوا بان
يمتنعوا عن محاربة الفرنساويين فاخذوا يدبّرون مكايد لهلاك
السلطان باولو سلطان المسكوبيين وبدوا يجمعون العساكر
ليسيّروهم الى مصر فبلغ بونابارته ذلك ففى الحال ارسل
مركبًا صغيرًا الى مدينة الاسكندرية واخبر امير الجيوش
ان حاضرة لمحاربتهم عساكر الانكليزية بعشرين الف
مقاتل واخبره بموت الجنرال ديزه فى حرب النمسا فكان حزن
عظيم عند الفرنساوية واخبرهم ان يصنعوا ميتمًا كعادة
على رؤساء العساكر وان يتشدّوا للحرب والجلاد واوعدهم
بالاسعاف والامداد واوصاهم بحفظ البلاد بقوة الحرب والجهاد
وحين دخل ذلك المركب للاسكندرية واوصل الكتابات
الى عبد الله منو من بونابارته القنصل الاوّل فعقد ديوانًا
فى مصر وحضرت رؤساء العساكر والاوفيسيالية وفرحوا
فرحًا عظيمًا لانتصاره والصلح مع الملوك وهدوء المملكة وسكون
حركاتها وتاملوا بالامداد وانسرّوا بصلح البابا وركون البلاد
وحزنوا لفقد الجنرال ديزه وصنعوا له ميتمًا واجتمعت

الفرنساوية الى بركة اليربكية مع العلماء والحكام وارباب
الديوان وصنعوا له تابوت وخرجوا به من باب النصر وهم
منكسين البندق وساروا الى ارض القبة وهناك عملوا المراثى
والمناحة واوردوا شجاعته وفروسيته والانتصارات التى صارت
عن يده ثم اطلقوا البندق حول التابوت وبكوا على فقد
ذلك البهموت ورجعوا الى القاهرة بحسرة وافرة ثم نرجع
لما كنّا فى ارادة من الوزير الاعظم فانه بعد رجوعه الى
ارض فلسطين بعد تلاشى عسكره ذلك المتين ابتدا يفرّق
الفرمانات على ساير الاقاليم والبلاد بطلب العساكر للجهاد
وابتدت تتوارد عليه العساكر من ساير الاماكن فجدّد عسكرا
عظيمًا وقد حدث بفلسطين وتلك الاقطار غلاء جسيم ومات
من القحط اكثر اهل الديار من كثرة تلك العساكر المتبادرة
والجيوش المتقاطرة وتضايقت تلك العساكر من عدم المآكل
وماتت البهايم والدوابّ ثم اعقب الغلا الطاعون المريع
والموت الفجيع فمات منه الشريف والوضيع وحاق التلاف
بكل الاطراف بلا شكّ ولا خلاف وحلّ بهم الوبال والنكال
وماتت منهم خواصّ الرجال ولم يبق من تلك العساكر
الا الوجيز ومات كل رهط وعزيز وقد مات من السناجق
احسنهم وافرسهم واجملهم وعدّة وافرة من المماليك الجبابرة
وهم مصطفى بيك الكبير وايوب بيك الكبير وعثمان بيك

الشرقاوى وعثمان بيك الطاويل وحسن بيك الجرداوى وقاسم بيك ابو سيف وقاسم بيك امين البحر والامير شروان وذلك من غير الكشاف والسناجق الصغار وتجمهمت عساكر الاسلام على ربّ الانام اذ كانوا يقولون ما يحلّ من الله العلىّ العلّام ان الكفار يتنعموا فى خيرات مملكة الاسلام بتلك الديار ونحن نهلك بالبرارى والقفار ونلتقى الجوع وبرد الليل وحرّ النهار وقد كان بلغ الوزير الاعظم الاتّفاق الذى وقع بين مراد بيك والامير كليبر وانه وعده اذا رحلت الفرنساوية يسلّمه الديار المصرية ثم بلغه ما حلّ بالامير كليبر من المنية ففرح فرحًا شديدًا ما عليه من مزيد وتامّل بتملّك تلك الاقطار بعد زوال ذلك الاسد المغوار فدعا ابرهيم بيك وامره يكتب الى مراد بيك ان يطالب عبد الله منو امير الجيوش بوعد سلفه كليبر وان لا بدّ لهم من الخروج عن هذه المملكة لكون لا قدرة لهم على الثبات حيث لا اسعاف لهم ولا امداد وقد بقوا قليلين العدد وكثيرين الاضداد واخصامهم فى ساير البلاد ومن المستحيل ان يقتدروا على هذا الجلاد ومحاربة جميع العباد والعساكر العثمانية والمراكب الانكليزية قايمة عليهم من كل الجهات فخروجهم الان بالصلح والسلام اوفق لهم من خروجهم بالقهر والارغام واوعد الوزير لابرهيم بيك ان متى عوّلوا على الامتثال وخرجوا

على هذا المنوال يسلم المملكة الى الغز المصريين كما وعدهم كليبر ويرتحل هو للقسطنطنية بالعساكر الهمايونية ويرسل وزيرًا يكون بالقلعة السلطانية وذلك حكم الايام السالفة بدون مناقضة ولا مخالفة فكتب ابرهيم بيك ما امره الوزير وكتب ايضًا الوزير فرمان الى مراد بيك بهذا الشان ولما وصلت الى مراد بيك هذه الكتابات رأيها صواب وفى الحال كتب الى الامير الجيوش يعرّفه بتلك الاسباب وارسل بها عثمان بيك البرديسى وامره ان يشرح الى امير الجيوش عبد الله منو ما ذكره الوزير الاعظم ويعرض عليه ذلك الفرمان الذى اتاه فتوجّه عثمان بيك الى مصر واخبر امير الجيوش فى تلك الكتابات واعرض عليه الفرمان فتغيّرت منه الاحوال واجابه اننا نحن لسنا عازمين الان على الخروج من هذه المملكة فمتى عزمنا واردنا ان نتركها نبقى فى ذلك الوقت نقيم بوعدنا مع مراد بيك ومع ذلك مراد بيك قاطن بمملكة مصر براحة كلّية وقد صار عضوًا من اعضاء المشيخة الفرنساوية ولا يكن مهتمًّا الّا بذاته فاجابه عثمان بيك البرديسى ان مولاى مراد بيك ارسلنى للتخبير لك بالصورة الواقعة والمكاتبة لا على صورة السوال والمطالبة ولا بدّ عن رفع الريب والشكوك عنه لان لا بدّ كان يبلغ حضرتك رسالة الوزير الاعظم لمولاى فيحصل الشكوك والريب وقام

عثمان بيك بمصر بعد هذا الكلام مدّة ايّام بالعزّ والاكرام وقد كان جاب جانبًا من الاموال المرية المستوجبة على مراد بيك للمشيخة الفرنساوية وبعد ذلك اخبر مراد بيك بجواب امير الجيوش فكتب لابرهيم بيك عن جواب الفرنساوية وقد كان مراد بيك غير مطماءن من طرف الدولة العثمانية فلذلك لم يُبال بذاك الجواب وبالنفور الذى ابداه امير الجيوش على الوزير لانه كان قايمًا فى صعيد بعيش رغيد واما ابرهيم بيك ومن معه من الغزّ المصريين الذين كانوا مع الوزير متّحدين كانت قلوبهم ايضًا غير امينة والخشية فى قلوبهم مكينة وهم خايفون من غدر الدولة ونياتها المدغولة فاجتمعوا فى بعضهم ودبّروا امرهم وانهم يلتجوا الى الانكليز فقبلهم السرعسكر سميت وامّنهم بميثاق شديد واعرض امرهم الى باب الدولة العثمانية واستخرج لهم الخطوط الشريفة من الدولة المنيفة بالامانات الوثيقة والعهود الحقيقة فاطمأنوا الغزّ المماليك وامنوا من المهالك فاشتهر امرهم وبان سرّهم بانهم قد صاروا فى حماية الانكليز بكل امن حريز وكانت فى ذلك الوقت الحركة ساكنة فى مصر من شهر صفر سنة ١٢١٥ الى شهر شوال كالة الثمانية اشهر وفى شهر رمضان ثمانية ايّام منه ظهرت الشمس والقمر معًا فى وسط النهار وكان فى القرب من القمر نجوم يشعشع جدًّا كالنار

وكانا النيران اى الشمس والقمر ظاهران وقد تمّ ما قيل اذا
ظهر النيران بميقات واحد يلطف الله باهل الكنانة وفى
هذا الشهر المذكور اقبلت على البواغيط الاسكندرية ماية
وخمسون مركبًا انكليزية مشحونة بالرجال والابطال فارتجت
لقدومهم اسكندرية وتلك الاطلال وكتب الجنرال فوريه
الحاكم بالاسكندرية يعلّم امير الجيوش بمصر بقدوم تلك
المراكب ويستنجده ولما وصل الكتاب حالاً جهّز العساكر
وارسلهم عن طريق رشيد وثالث يوم حضر له كتاب ثانى
من الجنرال المذكور بان المراكب اذ لم تستطع الوقوف
تجاه الاسكندرية من المدافع فرجعت بطريقها مولّية فكتب
امير الجيوش للعسكر المرسول ان يرجعوا واطماءن قلبه ظانًا
ان اعداءه الانكليز هربت منه وكان الامر ضدّ ذلك لان
المراكب المذكورة اذ لم تستطع المقابلة بوجه الاسكندرية
لكثرة حصونها فرجعت الى ابوقير وخرجت العساكر من
المراكب الى البرّ وبنت المتاريس المنيفة وكانوا عشرين الف
مقاتل وهولاء الذين اخبر عنهم بونابارته من باريز وحذّرهم
من ذلك حدّ التحريز وقد بلغ الخبر الى الجنرال فوريه ان
تلك العمارة اخرجت عساكرها الى ابوقير فبالحال سار
اليهم بثمانماية مقاتل وانتشب فيما بينهم القتال وقد كانت
واقعة من الاهوال وانكسرت الفرنساوية ورجعت للاسكندرية

وارسل لجنرال المذكور واخبر امير الجيوش بتحصين الانكليز
فى ابوقير وقدوم عمارة العثمانيـة فارتجّت الفرنساوية رجّةً
قويّةً وجهّز امير الجيوش العساكر وارسلهم على طريق رشيد
وقد خافت باقى الفرنساوية الذين بقوا بمصر وبان عليهم
اشارات الغلبة وبدوا يخلّون المنازل القاطنين بها ويتحصّنون
فى القلعة الكبيرة وفى الجيزة وسقطت عليهم الاوهام وتنكّست
منهم الاعلام وتيقّنوا بالزوال وعدم الدوام من كثرة
الاخصام ومبادرة الاعادى من كل فجّ ووادى وكانت العساكر
الانكليزية والعثمانيـة يفوقـون عن الخمسـة وثلاثـون الفـًا
جنكيـة وذلك ما عدا عساكر الوزير الاعظم الـوارد من
الشام وعسكر وارد من ارض الهند الشرقى على طـريـق
القُصَير خلا عن سكّان الاقاليم المصرية القايمة على قدم وساق
مع العساكر القادمين بالاتّفاق ومن هذا القبيل قد ارتجّت
قلوب الفرنساوية وكانت قلوبهم منقسمة وغير محتزمة كرهًا
منهم فى امير الجيوش لانه فرق قلوبهم لان فى جلوسه على
تخت القاهرة كره رجال سلفه كليبر وبالاختصار نقول ان
الامير عبد الله منو من بعد ثلاثة ايّام سار بباقى العساكر
على طريق رشيد وولّى مكانه لجنرال بليار قيمقام وهذا الجنرال
من رجال الجنرال ديزه حاكم الصعيد سابقًا وكان رئيسًا
فى الاحكام شديد الباس فى الحرب والصدام وكانت الفرنساوية

بدت تخلى الاقاليم والبلاد ويتجمّعون فى مدينة مصر ثم قد اخلوا قطية وبلبيس والصالحية وجميع الوجه الشرقى وارض الصعيد ودمياط والمنصورة وقد انحصروا فى القاهرة والرحمانية وفى رشيد امام العساكر العثمانية والانكليزية وكانت عدّة المحاربين من الفرنساوية ثلاثة عشر الف مقاتل فقط ماعدا ارباب الصنايع والنساء والاولاد فكانوا مقدار سبعة الاف والبقية ماتوا بالحروب والجلاد والبعض توجّهوا للبلاد فهولاء جميعهم انحصروا فى القاهرة والرحمانية ورشيد والاسكندرية وبقى فى بوغاظ دمياط المعروف بالعزبة مايتان صلدات ومن بعد حضور حسين قبطان باشا سارى عسكر العمارة العثمانية مع عمارة الانكليزية وطلوعهم لابوقير هجموا على رشيد واذ لم يستطع الجنرال حاكم رشيد والعساكر الفرنساوية لمصادمة هولاء الجيوش فسلّم المدينة وخرج وبنت العساكر الفرنساوية متاريسها فى الرحمانية وانتشب الحرب بين العسكرين وكان ذلك فى ابتدا شهر ذى القعدة الى ثمانية ذى الحجّة ختام سنة ١٢١٥ وكان فى تلك الايّام حدث طاعون عظيم فى مدينة مصر واقطارها ومات فى الصعيد الامير الشهير صاحب الكوكب المنير الامير مراد بيك وكان حزنًا عظيمًا عند الغزّ المصريين لانه طفى سراج زمرة المماليك الشجعين ومات سليمان بيك وعدّة من الكشّاف والمماليك وعند موت مراد بيك جمع مماليكه واقام عليهم

مملوكه عثمان بيك الطوبجى وسلّم الخزنة الى مملوكه عثمان بيك البرديسى واوصاهم بان يكونوا فى طاعة ابرهيم بيك الكبير ويكونوا متّحدين مع بعضهم بعض ومات هذا الامير المذكور فى ختام سنة ١٢١٥ ومات فى مدينة مصر عدّة من الفرنساوية وكذلك من الرعية وفى هذا الشهر المذكور نهض الوزير الاعظم يوسف باشا من اراضى غزّة بالجيوش العثمانية قاصدًا الديار المصرية وكان بطيًّا فى مسيره خشيةً من انقلاب الوقت وتغيره لانه قد كان جرّب حرب الفرنساوية واختبر جسارة قلبهم المتين وقد عظمت الاهوال على الفرنساوية واحاطت بهم الاعداء من كل ناحية وشرع الجنرال بليار يحصّن القاهرة وحفر خندقًا عميقًا من باب الحديد الذى بالقرب من اليزبكية الى شاطى بحر النيل ببولاق وغرس على حافات الخندق اصول النخل وصنع من ورايه ابراجًا من النخل والرمل بمتاريس عظيمة ووضع عليهم المدافع الكبار وحصّن مدينة الجيزة والقلعة الكبيرة واشحنها بالجبخانات العظيمة وادخل المشاق والزيت استعدادًا للحريق هذا والحرب مشتدًّا بين العساكر الفرنساوية والجيوش العثمانية والانكليزية وذلك فى اراضى الرحمانية ومات من الفريقين جمع عديد بهذا الحرب الشديد ومات اربع سوارى عسكر من الانكليزية وعدّة

جنرالية من الفرنساوية وانجرح الجنرال لانوس جرحًا بليغًا ومات منه وقبل وفاته دخل عليه امير الجيوش عبد الله منو وبكى عليه وقال له سلامتك ايها البطل من الهلاك ولا تشمت بك اعداءك فتنفّس الجنرال لانوس الصعداء من فواد مجروح من سهام الاعداء واجابه قايلاً قد القيتنا ايها الجنرال ببحر الهلاك من فساد رأيك وكبرياك فلا يسوغ للذى نظيرك ان يكون امير الجيوش الفرنساوية ومدبّر حروبها القوية بل يجيب ان يكون مدبّرًا فى مطبخ المشيخة لانك لو كنت تركت العساكر سايرة فى طريقها لما كانت اعداءنا الانكليز قدرت تملك منا البرّ وتتمكّن هذا التمكين فكان ذلك من جبروتك وعنادك المبين ومات هذا الجنرال وحزنت عليه الفرنساوية حزنًا عظيمًا وقد كانت هذه الوقعة الاخيرة التى انجرح بها لانوس ومات غلبت الفرنساوية وانتصرت على العثمانية والانكليزية وعزمت عساكر الانكليز ان تسلّم ارواحها الى الاسر وقد كان مقدّم الحرب فى تلك الوقعة لانوس البطل المشهور الليث الجسور وهذا المذكور كان فى ذلك اليوم اظهر فى الحرب عجايب وفنون الغرايب وجاهد فى الكفاح الى ان غُلبت الاعداء وارموا السلاح وعند ما اصابه ذلك الجراح حضر الى معونته امير الجيوش وحمل على الاخصام وامر الى رؤس

العساكر لجنرال رانيه والجنرال داماس وهم المكروهين منه ان يتقدّما لمساعدة لانوس فتخلفا وابيا عن التقدّم وقرعت طبول الكسرة والرجوع لى ورا نكايةً فى امير الجيوش وارتدّت العساكر الفرنساوية وتظاهرت عليهم العساكر الانكليزية لما علموا من الانفساخ الذى ظهر فيما بينهم فانتصروا عليهم نصرةً عظيمةً من بعد ما كانوا ايسوا من السلامة والغنيمة وارتدّت الفرنساوية لى متاريسها وظهر فى هذه المعركة لجنرال نقولا الروم وعارك عراكًا شديدًا فعند ما نظر امير الجيوش انقسام قلوب العساكر اجمع رأيه ان يترك جانبًا بالمتاريس بارض الرحمانية نحو ثلاثة الاف وسار بباقى العسكر الى الاسكندرية وبدا يبنى المتاريس فى خارج المدينة وقفل ابواب البلد فجاءت الانكليزية وقطعت السرى الذى بين بحر المالح وبين خليج النيل المودّى لى الاسكندرية وكان قصد الانكليز قطع الطريق ما بين اسكندرية والقاهرة لاجل شدّة المحاصرة وكان ابرهيم باشا قد احرق قطية وتسلّم مدينة دمياط واما العساكر التى كان ابقاها امير الجيوش فى المتاريس بالرحمانية فانهم عملوا حربًا عظيمًا وتركوا المتاريس ليلًا وتوجّهوا الى مصر وصارت العساكر الفرنساوية قسمان قسم بالاسكندرية مع امير الجيوش وقسم فى القاهرة مع لجنرال بليار اعظم لجبابرة وتقدّمت

عساكر الوزير للحصار من كل فجّ ودیار وداروا حول مصر شرقًا
وغربًا وبرًّا وبحرًا ونهضت الغزّ المصريون عروة مراد بيك
من اراضى الصعيد واتوا الى مدينة رشيد وقابلوا حسين
باشا قبوطان واختلطت العساكر العثمانية مع المصرية
والانكليزية حول مصر الغربية وقدم الوزير الاعظم بعساكره
من الجهة الشرقية وابطى ايابه ابطاء زايدًا وكان السبب انه
حضر له اوامر من الباب العالى والى حسين باشا قبوطان
ان يتوقّفا فى الحرب عن الفرنساوية المقيمين فى مصر وكذلك
كنا ذكرنا سببه سابقًا وان المكاتب التى ارسلها السلطان
باولو ملك روسيا وفى غضون ذلك جدّت الاعلام من الباب
العالى بوفاة المشار اليه السلطان بالو الذى كان مع الفرنساوية
ضدّ الانكليزية فعند حقيقة تلك الاخبار رجعوا لما كانوا
عليه من الحصار واخراج الفرنساوية من الديار المصرية وكان
ذلك فى شهر محرّم سنة ١٢١٦ هذا والجنرال بليار لم يكن
عنده افتتاح اخبار وكل ذلك من انقطاع الطرق والمسالك
فارسل ماية هجّانًا على طريق البرّية الى مدينة الاسكندرية
لينظر الاخبار من تلك الديار وما جدّ من الامور من طرف
الجمهور وسارت الماية هجّان وغابوا مدّة طويلة نحو اربعوين
يومًا وما خبر منهم بان وكان الجنرال بليار فى اضطراب
عظم ووسوس جنسم من عدم ايابهم وطول غيابهم وبعد

المدّة المذكورة حضروا الهجانة عن طريق الجبل وجازوا ليلًا على معسكر الانكليز المقيم امام الجيزة غربى الكنانة ولم حسّوا بهم حين مرّوا عليهم ودخلوا الجيزة وحضروا لدى الجنرال بليار واطلعوه على صحّة الاخبار واتى له جواب من امير الجيوش يعلمه انه حضر مركب صغير من مدينة باريز وصحبته كتابات من القنصل الكبير يعلم بها ان السلطان باولو سلطان المسكوبية اتحد معه على حرب الانكليز وارسل الى الدولة العثمانية برفع الحرب عن الفرنساوية الذين بالديار المصرية ولم يكن داريًا بوفاة السلطان باولو الذى كان قد اوقف الحرب وحضر كتاب الى الجنرال يعقوب القبطى يمدحه على شجاعته وفروسيته ويوعده بسمو مرتبته ويشدده على الحرب والجلاد ومصادمة الاضداد وان لا بدّ له من الاسعاف من المشيخة والامداد وعند ما تحقّق الجنرال بليار تلك الاخبار اخذ الفين مقاتل وسار بهم ليلًا الى معسكر الوزير وكانت قد وصلت طلايع الوزير الاعظم الى بلبيس مسافة يوم عن القاهرة وهناك تلاطمت العساكر العثمانية مع عساكر الفرنساوية ومات عدّة من الارناوط ومن الغزّ وحين نظر الجنرال بليار ان جيوش الترك كثيرة وهم قاصدون الجلاد والغزو والجهاد وليس الامر كما زعم امير الجيوش بان الحرب متوقّف فرجع الى مصر فى حينه وتمكّن داخل

الحصارات القوية وابتدت العساكر تتوارد في شهر صفر
سنة ١٢١٦ الى ان بلغوا لقرب القاهرة وكان الوزير الاعظم
قادمًا من الشرق وحسين باشا من الغرب مع عسكر الانكليز
وضرب الوزير الرستاق في ارض شيرة والمكاس في القرب
من الكنانة وحسين باشا ضرب الرستاق مع عسكر الانكليزية
امام مدينة الجيزة غربي مصر وتكاثرت جيوشهم واجتمع
عليهم طموش غفيرة وعربان كثيرة هذا وذلك الجبّار
والاسد المغوار الجنرال بليار قايمًا في الكنانة امام ذلك الجمّ
وقلبه اشدّ من الصخر الاصمّ ووقعت هيبة عند ذلك الجمع
الملتئم لان قد شاع ذكر هولاء الشجعان في ساير البلدان
واشتهرت سطوتهم وانتشرت صولتهم وقد كانوا هولاء
العتاة لا يعرفون الموت من الحياة فلذلك اجتهدت الدولة
العثمانية باخراجهم من مملكة مصر بالسلامة والاطمأنينة
وقد خافوا ايضًا ليلا اذا ضايقوهم يطلقون النار في البلد
ويحرقوها وكانوا قادرين على ذلك لما عندهم من الاستعداد
وقوّة الجلد والجهاد فلذلك استقامت تلك العساكر والممالك
يتداولون في ان كيف يحتالون وكيف يخرجونهم بالسلامة
والسكون وفي نصف صفر ارسل السرعسكر الانكليز رسولًا
يطلب من الجنرال بليار ان يرسل احدًا من طرفه لاجل
المفاوضة بامر الصلح فارسل له احد الكوميسارية ولما وصل

الى مقابلته اخبره اولاً بموت السلطان باولو وكان قصده بهذا الخبر لاجل قطع امالهم من اعانة المسكوب وانقطاع رجاهم ثم بدا يتفاوض معه بامر الصلح وتسليم المملكة الى اصحابها واذهابهم الى وطانهم بالامان ويُريه انقطاعهم في هذه البلاد وعدم اسعافهم والامداد وان الخروج لا بدّ منه وكلّ محصور ماخوذ وبعد ذلك سيّره ان يردّ عليه الجواب فرجع الكوميسار الى عند بليار واعلمه بهذه الاخبار وعن وفاة السلطان باولو وكلام سرعسكر الانكليز فلما سمع الجنرال بليار هذه الاخبار صنع ديوانًا وجمع ساير الجنرالية ورؤساء العساكر الفرنساوية واخبرهم بمخاطبة سرعسكر الانكليز وطلبه الصلح والتسليم ثم استشارهم كيف يكون الجواب وما يقتضى رأيهم من الصواب فمكثوا برهةً يتداولون ويتشاورون ثم انه اجتمع رأيهم ان التسليم اوفق وعدم الحرب ارفق بحيث ان الخروج يكون سليم العاقبة على شروط مناسبة وعلى ذلك عقدوا الرأى وبدوا يسطرون شروطًا وعهود لتسليم مملكة مصر ومن بعد ان حرّروا الشروط قدّموها الى الجنرال بليار وارسلها الى سرعسكر الانكليز مع الكوميسار ثم نصبوا خيمة في برّ الجيزة بين العسكرين وهناك تصير المفاوضة بين الفريقين فالذين انقاموا وكلاء لامر الصلح من طرف الفرنساوية الكوميسار ويوسف التنرزى

الارمنى ومن طرف الانكليز لجنرال سميت سارى عسكر واحد
الكوميسارية ومن طرف الوزير الاعظم عثمان بيك ومن طرف
حسين باشا قبطان اسحق بيك واستمرّت المداولات بامر
الصلح اربعة ايّام فحينما تمّت تسجّلت المواثيق والعهود
وانعقد الرأى على تسليم مصر واعطاها الى الدولة العثمانية
وخروج العساكر وجميع الفرنساوية منها على موجب الشروط
الاتى ذكرها عن يد سيدنه سميت سرعسكر الدولة
الانكليزية ثم حتمت الفرنساوية بان يكون التسليم عن
يد حسين باشا قبطان بوسطة الانكليز وسببه كان هذا
المشار اليه يميل لطرف الفرنساوية ميلًا عظيمًا وذلك قبل
دخولهم واخذهم الاقطار المصرية وقد تهمه الوزير الاعظم
ان دخولهم كان باطلاعه وتحتمت الفرنساوية على الوزير
لدخوله فى الجمعية وقالوا نحن لا نعقد معه شروطًا ولا نقبل
منه خطوطًا لانه قد كان خان عهوده مع امير جيوشنا
الامير كليبر واذ لم يقدر على التغلّب عليه ارسل قتله
خفيةً ثم ثبت التسليم عن يد حسين باشا وسرعسكر
الانكليز وتسطرت اسطر الشروط واختمت من الثلاث دول

وهذه صورة الشروط

الشرط الاوّل

ان بلوكات العساكر الفرنساوية برّية وبحرية وبلوكات

العساكر المساعدة المتّحدة معهم الذين امرهم لجنرال بليار يسلموا مدينة مصر والقلعة الكبيرة وكامل القلع الصغار ببولاق والجيزة وكامل اطراف مصر الموجودة بها الفرنساوية

الشرط الثانى

كامل البلوكات العساكر الفرنساوية والعساكر المتّحدة معهم يتوجّهوا برًّا الى بندر رشيد من طرف شمالى النيل بسلاحهم وعزالهم ومدافع البرّ وصناديق لجبخانة لاجل يوسقوهم من رشيد ويتوجّهوا الى اساكل بلاد فرنسا الموجودة فى بحر الابيض وكامل مصاريف ما ذكر تقوم بها الدولة العلية (؟) المصالحة وسفر العساكر المذكورين والمتّحدين معهم ونزولهم فى المراكب يكون باسرع وقت وغاية ما يكون من العاقة خمسين يومًا اوّلها من تاريخ هذه الشروط المحرّرة ومن غير شكّ ان عساكر المذكورين يوخذوا بالمراكب فى اى اسكلة كانت فى الطريق الاعدل والاقرب للفرنسا

الشرط الثالث

من ابتدا هذه الشروط تكون العداوة مرفوعة من الطرفين بالكلية وينسلّم فى الدولتين المتّحدين قلعة الظاهر وباب مدينة لجيزة المسمّى الباب الهرامات وعلى الوكلاء المشار اليهم ان يضبطوا لحدود وعدم التخطّى والاحتراز من وقوع الخلل

الشرط الرابع

بعد اثنا عشر يومًا من هذا التاريخ مدينة مصر وقلاعها والقلعة الكبيرة والباقية ومدينة بولاق يخلون من العساكر الفرنساوية ومن المتّحدين معهم ويتوجّهون الى قصر العينى والروضة واتباعها والجيزة واطرافها ومن هناك يسافرون فى غاية جهدهم الى مسافة خمسة ايّام لكى يتوجّهوا الى محلّ المراكب التى يسافرون بها وكامل حكّام الانكليزية والعثمانية يلتزمون يقدّمون مراكب ويقيمون بمصارفهم ولزومهم فى بحر النيل لاجل وسق عزالهم ومونتهم لحدّ البحر المالح وجميع هذه المراكب تكون محضرة بغاية السرعة والاهتمام وتتسلّم عساكر الفرنساوية بالجيزة

الشرط الخامس

مشى العساكر ومحطاتها يكون معيّن لها جنرالية واهل مراتب من الطرفين وكذا الايّام المعيّنة للمشى من الواجب يكون المدبّر فيها الجنرالية الانكليزية والعثمانية وكذلك العساكر الفرنساوية المذكورون والذين متّحدون معهم يكونوا مصطحبين بطريقهم من كوميسارية الانكليزية والعثمانية فهم الذين يقومون بالمعاش الضرورى فى مسافة الطريق ومحطاتهم

الشرط السادس

كامل العزال والجبخانات الذين يوسقونهم فى مراكب بحر

النيل يكونوا مغفرين مع بعض عساكر فرنساوية ومراكب حربية من طرف الدولتين المتّحدتين

الشرط السابع

فيكون محضرًا لل العساكر الفرنساوية والمتّحدين معهم واتباعهم والذين محبتهم المونة المرتّبة حسب قانونهم من يوم سفرهم من الجيزة الى يوم نزولهم فى المراكب ومن ذلك اليوم تكون المونة مرتّبة حسب قانون الانكليز الى يوم طلوعهم للبلاد فرنسا

الشرط الثامن

يحضر من طرف حكّام الانكليزية وحكّام العثمانية فى برّ وبحر المراكب الضروية الطيّبة لاجل سفر العساكر الفرنساوية وكامل ما يلوز بهم لاجل وصولهم الى اى اسكلة كانت من بلاد فرنسا الموجودة فى بحر الابيض ولاجل اتمام ذلك يجب ان يحضروا كوميسارية من قبل حضرة الجنرال بليار ومن قبل رؤساء عساكر الدولتين المتّحدتين برًّا ام بحرًا ومن بعد تاريخه يجب ان الكوميسارية المتعيّنين من الطرفين يتوجّهون الى رشيد وابوقير لاجل تحضير المراكب وكامل المطلوبات للسفر

الشرط التاسع

ان الدولتين المتّحدين يجب يحضرون اربع مراكب ام اكثر ان امكن لاجل نقل الخيول واللوازم لهم لحين نزولهم

الشرط العاشر

يجب ان يتقدم الى العساكر الفرنساوية وكل المتّحدين معهم من الدولتين المتّحدتين مراكب حربية كفاية لاجل تغفيرهم ووصولهم سالمين لله فرنسا والدولتين المتّحدتين يضمنوا عدم وقوع الخلل والعداوة من طرف عساكرهم الى حين وصول عساكر الفرنساوية والذين معهم الى فرنسا سالمين وكذلك الجنرال بليار يوعد ويتعاهد مع جميع العساكر التى تحت امره ان لا يحصل منهم ادنى خلل للعمارة ولا لبلاد حضرة الدولة الانكليزية فى هذه المسافة وكذا لا يحصل ادنى تعرّض وخلل ببلاد الباب العالى ولا ببلاد الدول المتّحدة معها مما لهم ان يتوقّفوا فى اسكلة من الاساكل فى مسيرهم بل انهم يقصدون بلاد فرنسا ما عدا الامر الضرورى ثم رؤساء عساكر فرنسا والانكليز والعثمانى يكون معهودًا عندهم جميع ما ذكر اعلاه ومحفوظا طالما عساكر الفرنساوية موجودة بمصر ومن هذا التأريخ لله دخولهم للمراكب وان حضرة الجنرال بليار حاكم العساكر الفرنساوية والمتّحدين معهم يتعاهد عن حكّام دولة فرنسا ان جميع المراكب المغفرة والمراكب الموسوقة التى مسافرون بها فبعد وصولهم يخرّجونهم جميعا وترجع جميعًا ولا ينعاق منها ولا مركب وان القباطين

بالمراكب المذكورة يشترون بمالهم مونتهم الضرورية الى رجعتهم والجنرال بليار يتضمّن رجوع هذه المراكب الى مواضعها بحيث انها لم تتداخلوا بامور حرب بالكلّية

الشرط الحادى عشر

جميع حكّام السياسة وارباب الحرف والصنايع وجميع الاشخاص المتعلّقة بالفرنساوية يحصل لهم سويةً ما يحصل للعساكر الحربية وان حكّام السياسة وارباب العلوم والصنايع يصحبون وياخذون معهم جميع الاوراق والكتب ليس التى تخصّهم فقط بل كلما يروه نافعًا لهم

الشرط الثانى عشر

جميع سكّان مصر من اى طايفة كانت من اراد منهم يتبع العساكر الفرنساوية مسموح لهم ذلك ومن بعد سفرهم لا يحصل لاعيالهم ولاموالهم اذية

الشرط الثالث عشر

جميع سكّان مصر من اى مذهب كانوا لا يحصل لاحد منهم اذية لا فى مالهم ولا فى اعيالهم ولا فى انفسهم بسبب رفقهم للفرنساوية

الشرط الرابع عشر

جميع المشوّشين الذين ليس لهم طاقة على السفر يستقيمون فى مصر فى بيمارستان ويبقى عندهم حكماء وخدّام يداورونهم

لحين شفاءهم ثم يرسلوا لفرنسا بالحفظ والصون وان حكام الدولتين يتعهدوا تحضير امر هولاء المشوشين من كامل النظام

الشرط الخامس عشر

فى وقت فروغ مدة تسليم المدن والقلع كما ذكر قبله فيحضروا الكوميسارية يتسلموا المدافع والجبخانات والحواصل وقوايم واوراق ومحلات وجناين وغير اشياء عمومية التى للفرنساوية لدى الدولتين المتحدتين

الشرط السادس عشر

حاكم البحر لازم يحضر قبل بساعة مركب يسافر الى فرنسا وياخذ واحد فسيال وكوميسار الى طولون وياخذ لهم صورة هذه الشروط لدى المشيخة الفرنساوية

الشرط السابع عشر

الذين يخالفون هذه الشروطات يحصل قصاصهم عن يد الكوميسارية وكذلك اذا وقع اختلاف فى الامور يكون نظامه واصلاحه بيد الكوميسارية

الشرط الثامن عشر

بحال اتمام هذه الشروط جميع اسراء الحرب من الانكليز والعثمانى الموجودين عند الفرنساوية يحصل لهم الاطلاق والحرية وكذلك حكام عساكر الدولتين المتحدتين يعتقون كامل اسراء الفرنساوية الموجودين فى عرضيهم (٢٣)

الشرط التاسع عشر

واحد من اكابر عسكر الانكليز وواحد من اكابر عسكر الوزير الاعظم وواحد من قبطان باشا يكونوا موجودين عند الفرنساوية رهينةً ويعطى بدلهم ثلاثة من مقامهم من الفرنساوية ولما ينتهى وصول الفرنساوية فى بلادهم يرجعون الرهاين المذكورين ويروحون الذين كانوا بدلهم وكل منهم الى محلّه

الشرط العشرون

هذه الشروط ترسل مع واحد فسيال فى الجنرال منو للاسكندرية وله مهلة عشرة ايّام من بعد وصولها ليده ان كان يرضى على هذا الاتّفاق بذاته وعساكر الفرنساوية ويحرّر قبوله ورضاه بخطّ يده الى سرعسكر الانكليز الذى مقيم قدّام الاسكندرية لغاية عشرة ايّام بعد تاريخ وصول هذه الشروط ليده

الشرط الحادى والعشرون

صورة هذه الشروط يعلم عليها (ده) سوارى عسكر العامّ من طرف الثلاثة دول ويرجع بعد اربعة وعشرين ساعة وينتهى كل ذلك

وقد تحرّر اربعة نسخ مختومة فى محلّ المسافة ما بين العرضين فى تاريخ مسّيدور سنة التاسعة للمشيخة فى نصف النهار

الواقع فى ٢٧ حزيران سنة ١٨٠١ مسيحية الموافق ١٦ صفر سنة ١٢١٦

وهذه هى الامضاوات

دنزلو　　موران　　تارار

جنرال ويرجاه　　جنرال ويرجاه　　جنرال ويرجاه

حُن هوب　　عثمان بيك

جنرال ويرجاه انكليز　　وكيل يوسف باشا

اسحاق بيك　　قد اثبت ذلك هلى هوتجنسون

وكيل قبطان باشا　　سارى عسكر عام

قد اثبت ذلك للورد كايط

جام استونسون قبطان مركب انكليز

نحن قد اثبتنا جميع الشروط الواقعة فى هذا الاتفاق لاجل خلو مصر وتسليمها للباب العالى المشيد

ونحن قد شهدنا واثبتنا جميع هذا الاتفاق الواقع فى هذه الشروط لاجل خلو مصر

يوسف باشا وزير الختام　　حسين قبطان باشا

لقد ثبت وتحقق هذه الشروط

فى مسيدور سنة ٩ للمشيخة

الجنرال ناربون بلميار

قد طبعت فى مطبعة الفرنساوية بمصر

ومن بعد تمام تلك الشروط شرع الجنرال بليار بتخلية مدينة مصر وخروج العساكر منها الى قصر العينى والى الجيزة وتهيّا للخروج معه الجنرال يعقوب واتباعه والجنرال برتولمى كومنداان بنى الروم مع عساكر الاروام والكومنداان يوسف الحموى واتباعه المعينون من شفا عمر وارض عكّا وعبد العالى اغاة الانكشارية وجميعهم خشون الاقامة فى الديار المصرية بعد خروج الفرنساوية وتهيّا معهم عدّة انفار من عامّ الناس ونساء كثيرات من الاسلام كُنَّ متزوّجات للفرنساوية واستعدّوا للسفر معهم وقبل خروجهم الجنرال بليار اقام جسد كليبر من المحل الموضوع به بتابوت رصاص فامر بنقل التابوت للجيزة باحتفال عظيم ومحفل جسيم وضربوا مدافع كثيرة وامر بتنزيل جثّة سليمان القاتل مع الثلاثة رؤس ارفاقه لانهم كانوا محنطّين ومصبّرين فانزلوهم بحقارة للجيزة لاخذهم لفرنسا ثم ان بعد الاثنى عشر يومًا المعيّنة لخروجهم من مصر الى الجيزة بعد تجهيز كامل ما يلزم للجمهور الفرنساوى نهض بليار فى العساكر الفرنساوية من القاهرة الى الجيزة فى ٢٨ صفر سنة ١٢١٦ وخليت مصر من الفرنساوية ودخلت عساكر الوزير للمدينة وكان فرح لا يوصف عند الاسلام وغمّ عظيم عند من كان من طرف الفرنساوية خاصّ وعامّ وتخبّت النصارى واليهود فى منازلهم وكانت العساكر الاسلامية اى من

وجدوه يعيروه بعد ما يهيّنوه وعند ما بلغ الصدر الاعظم
احوال العساكر ارسل اغاة الانكشارية اطلق التنبيه بالمدينة
على الامان وعدم معارضة الرعية ورفع الظلم والعدوان
وفرّق الظابتان على جميع الحارات وفى الشوارع والمحلّات هذا
والعسكر الفرنساوى لم يزل مقيم فى برّ الجيزة لحينما تتجهّز
لهم المراكب لحمل اثقالهم لابوقير ومن بعد اربعة ايام من
دخولهم فى الجيزة تحضّرت لهم المراكب فاشحنوا بها من
الاثقال والامتعة والنساء والاولاد وجميع الذين لا يقدرون
على المسير فى البرّ وساروا برًّا وبحرًا وسارت امامهم عساكر
الانكليز ومن وراهم حسين باشا بعساكره وهم فى وسط
الفريقين وساروا اربعة عشر يومًا من الجيزة الى قرب
رشيد ومكثوا هناك بينما تتجهّز لهم الذخاير والمراكب
فتجهّزت وسافروا من ابوقير فى غاية ربيع الاوّل سنة ١٢١٦
طالبين فرنسا وكانت الانكليز حينما خرجت الفرنساوية من
مدينة الجيزة تسلّموها وجعلوها محلًا لعساكرهم ومن بعد سفر
الفرنساوية بثمانية ايّام مرض الجنرال يعقوب القبطى ومات
فهذا ما كان من بلليار وامّا امير الجيوش منو والفرنساوية
الذين بمدينة الاسكندرية فابوا الصلح والتسليم وانهم لا
يخرجون منها الّا بعد حرب عظم وكان بعد خروج
الفرنساوية من مصر ودخول عساكر الاسلام دخل وزير

للختام وحسين باشا قبطان بمحافل عظيمة ودخل صحبتهم ابرهم باشا المحصّل والى حلب وابرهيم باشا والى ديار بكر ومحمد باشا ابو مرق وطاهر باشا ارناوط واغاوات الانكشارية ورجال من الدولة العلية ومن امراء مصر ابرهم بيك الكبير وولده مرزوق بيك وعثمان بيك الطنبورق وعثمان بيك البرديسى والالفى ومحمد بيك المنفوخ ومراد بيك الصغير وعثمان بيك الاشقار وسليم بيك ابو دياب وعلى بيك وايوب بيك وعدّة كشّاف وكان يومًا عظيمًا وخرجت لمقابلتهم علماء مصر واعيانها وكافة اعوامها وسكّانها وانتشرت الاعلام وانسرّت الانام وفرحت الاسلام بخروج الافرنج الليام وصاحت المسلمون ما هذا الاّ نصرًا من الله وفتحًا وهاجوا هياجًا عظيمًا على النصارى وقدّموا عروضات الى الوزير فى قتلهم ونهبهم وسلبهم فلم يصغ ذلك العادل لبغيهم ووشيهم ولم يلتفت لفسادهم ومكرهم واصدر فرمان خطبًا لساير الحكّام والقضاة بان لا يقبلوا دواعى التى حدثت بايّام الفرنساوية فى الايالة المصرية جزئية كانت ام كلّية ولم يرتض هذا الصدر النبيل ان يلتفت الى هذا القال والقيل بل سلك مع الرعايا سلوك الملوك العادلين والسلاطين الاقدمين وترك الانتقام لله الملك العلّام وكان يساقًا ثانيًا بالامانة فى مصر الكنانة وابتهجت مصر بزمانه من شيمه وعزيز امانه وكثر البيع

والشرا وعمرت المدن والقرا وربحت التجّار وتوادرت من سائر الاقطار وفرحت الخلق طُرّا وبارت به مصر وانشدت بذلك شعرًا وهو هذا

اتى صدر الصدور لارض مصر بنصر اشرقت فيه الديانة
بعام قد كساه النور ارّخ به فتحت بيوسف الكنانة

واما حسين باشا قبطان بعد ما بات ليلة في مصر خرج الى الجيزة وسار مع الفرنساوية كما ذكرنا وبعد ما مهّد الوزير مصر اعطا ولايتها الى محمد باشا ابو مرق الذى كان عنده وكيل خرج وهذا كان اصله من مدينة غزّة من عامة الناس فاسعدته الاقدار باذن الوحد القهّار حتّى ارتقى الى هذه المنازل العالية عند الصدر الاعظم بالتفاته اليه والتى نظره عليه فتنقمت الوزراء الباقون كونه ابن عرب تقدّمه على الاخرين ومن المعلوم ابن العرب عند ابن الترك مقاماتهم مخفوضة وراياتهم منقوضة وقد كان الوزير الاعظم قبل تملك القاهرة اوعد لطاهر باشا الارناوط بولاية مصر ان فتحوها بالسيف فحيث التفت الامور وخرج بالصلح الجمهور فبطّل الوعد لطاهر باشا وكذلك لارضاء رجال الدولة به فلاجل ذلك عدل عن تولى طاهر باشا وولّى محمد باشا ابو مرق وارسل لدمياط احمد باشا ميرمران وامره باخراج

الفرنساوية من العزبة بامان فارسل احمد باشا طمّن الفرنساوية فلم يامنوا بل تركوا القلعة وساروا لرشيد ليلاً وسلّموا انفسهم للانكليز فهذا ما كان من الوزير وما دبّر بالديار المصرية واما ما كان من الاسكندرية فان امير الجيوش عبد الله منو حين حصلت له تلك الشروط فاعتمد على المحاربة وبدا فى بناء الحصون والمتاريس خارج البلاد وكان منتظر الامداد من بونابارته بما سبق من الاوعاد وبعد سفر بليار ومن معه من العساكر سارت العساكر الانكليزية والعثمانية الى الاسكندرية ودارت بها برًّا وبحرًا وانتشب بينهم الحرب والقتال بالمدافع والقنابر الثقال ولم تزل القنابر والمدافع تتساقط وتزداد وهم صابرون من تلك الحرب والجلاد الى ان قلّ ما عندهم من الزاد وصار قحط مريع وجوع فزيع ومات كثير منهم من الجوع وبليوا بالويل والنجوع وكانوا يطحنون الرز وياكلونه فيكون به اداء دون الغداء وانقهر امير الجيوش من مخامرة الجنرالين رانيه وداماس فعقد ديوانًا وشرع يبرهن خيانة الجنرالين المذكورين والضرر الذى حدث منهما ضدّ العسكر فاثبتت الشريعة عليهما الحقوق وامر امير الجيوش بالترسيم عليهما فى منازلهما وخلع الجنرالية عنهما وضبط اموالهما وتعلّقاتهما هذا والحروب قايمة والنيران دايمة والهجمات على متاريس الفرنساوية متّصلة وملاحمة غير

منفصلة وفى تلك الايّام حضر من بلاد الفرنساوية ستّة الاف صلدات فى المراكب وقصدوا اسكلة درنة وهذه بلد على شطّ البحر المالح فى برّ الاسكندرية فبلغوا الانكليز قدومهم فساروا اليهم مجدّين وحين شعروا بهم ولّوا منهزمين وحضروا ايضًا مراكب انكليز الى قُصير وبهم عساكر من بلاد الهند ورؤساءهم انكليز ورجال الهند بلون السودان وهم مختلفون الاديان فمنهم يعبدون النيران ومنهم يعبدون الاوثان ولهم مذاهب متفرّقة ولغات متنوّعة ولا يلبسون سوى القمصان فقط فهولاء القوم قد خرجوا من مراكبهم الى القصير واتوا الى مدينة الجيزة حيث كان المعسكر هناك ونصبوا المضارب والخيام واستقرّوا بها ايّام وقيل انه جاز فى ذات يوم احد العساكر المصريين فى وطاق هولاء الهنديين واخذ نارًا فوثبوا عليه وكادوا يقتلونه وقدّموه الى سارى عسكرهم ليقضى عليه بالموت وادّعوا انه لمس الاههم فخاف الرجل خوفًا عظيمًا وقال انى لست اعلم ما ذنبى فرجه السرعسكر اذ هو من الانكليز وامر لذلك المصرى ان يدفع لهم ثمن الطعام الذى نجّسه لما لمس النار وبعد ما استقرّوا ايّامًا وجيزة فى مدينة الجيزة ساروا الى مدينة الاسكندرية لاجل محاربة الفرنساوية وكان فى ذلك الوقت مشتدّ القتال والجدال وازداد الحصار فى البرارى

والبحار وزادت النار وقصرت الاعمار وكلّ من الحرب كل قرم جبّار وبعد مضايقة كلية ومحاصرة قوية ملّت العساكر الفرنساوية وعزمت على التسليم الاسكندرية ومسيرهم فى الامان الى منازلهم والاوطان فارتضت معهم الاسلام بان يخرجوا بالسلام ويتركوا جبخاناتهم واسبابهم ويمضوا بسلاحهم وذهابهم فقط وخرجوا من الاسكندرية على هذا النمط وبعد وقوع الصلح والاتّفاق صنع امير الجيوش عبد الله منو وليمة عظيمة للسرعسكر الانكليز والى رجال الدولة العثمانية وقدّم لهم الطعام وهو من لحوم الخيل والغار والقطاط والكلاب الوخام واذ تفرّسوا بها سالوه عن تلك اللحوم ولم ينكر عنهم واجابهم انه ليس يوجد عندى غير ذلك ولم يوجد عند الفرنساوية ما يسدّوا به رمق الفواد لما سلّموكم البلاد فرفعوا اياديهم عن الطعام وهم متعجّبون من تلك الكلام وخرجوا الفرنساوية من الاسكندرية وتقاسما الدولتان الانكليزية والعثمانية جميع ما تركوه الفرنساوية لانهم خرجوا بسلاحهم فقط وساروا فى مراكب الانكليز الى بلاد باريز وخلّوا مدافع وجبخانات؛ وامتعة وذخاير وخيرات وكان تسليم الجنرال بليار وخروجه اصلح شان من تسليم منو فى الذلّ والهوان ولكن قد افتخر الجنرال منو على بليار انه ما وقع التسليم الّا

بعد الحرب العظيم والجوع الجسيم فهذا على مقتضى شرايع
مشيختهم واحكام دولتهم وكانت مدّة حصار الاسكندرية
ستّين يومًا وكان خروجهم فى اواخر ربيع الثانى سنة ١٢١٦
وحضرت البشاير للصدر الاعظم فامر بشنلك عظيم وفرح
فرحًا جسيم وضربت مدافع كثيرة وحراقات غزيرة وابتهجت
الاسلام ورفعت الاعلام وحمدوا ربّ الانام وقالوا الحمد لله
على تاييد الدين وهذا نصر من الله وفتح مبين امين

وقد تمّت اخبار الفرنساوية وما حدث من الوقايع فى الديار
المصرية وكانت اقامتهم بتسعة وثلاثين شهرا
وكانوا من دخولهم الى خروجهم ما استكنوا
من الحرب والقتال والمنازعة والجدال وقد مات
منهم خلق كثير واهلكوا من الاسلام
عالم لا يرام
والحمد لله على الدوام
امين

ERRATA DU TEXTE ARABE.

Pag.	Lig.	Au lieu de :	Lisez :
١٧.	13,	اكثر	اكثره
٢٤.	9.	لاحرب	لحرب
٤٧.	12,	جيوش	الجيوش
٧٢.	16,	جرّبوا	جذبوا
٨٧.	11,	والكثيرة	الكثيرة
٩٤.	10.	امراة	بلدة
١٤٨.	20,	كمال	كمل
١٥٨.	20.	لا زالت	لازالة